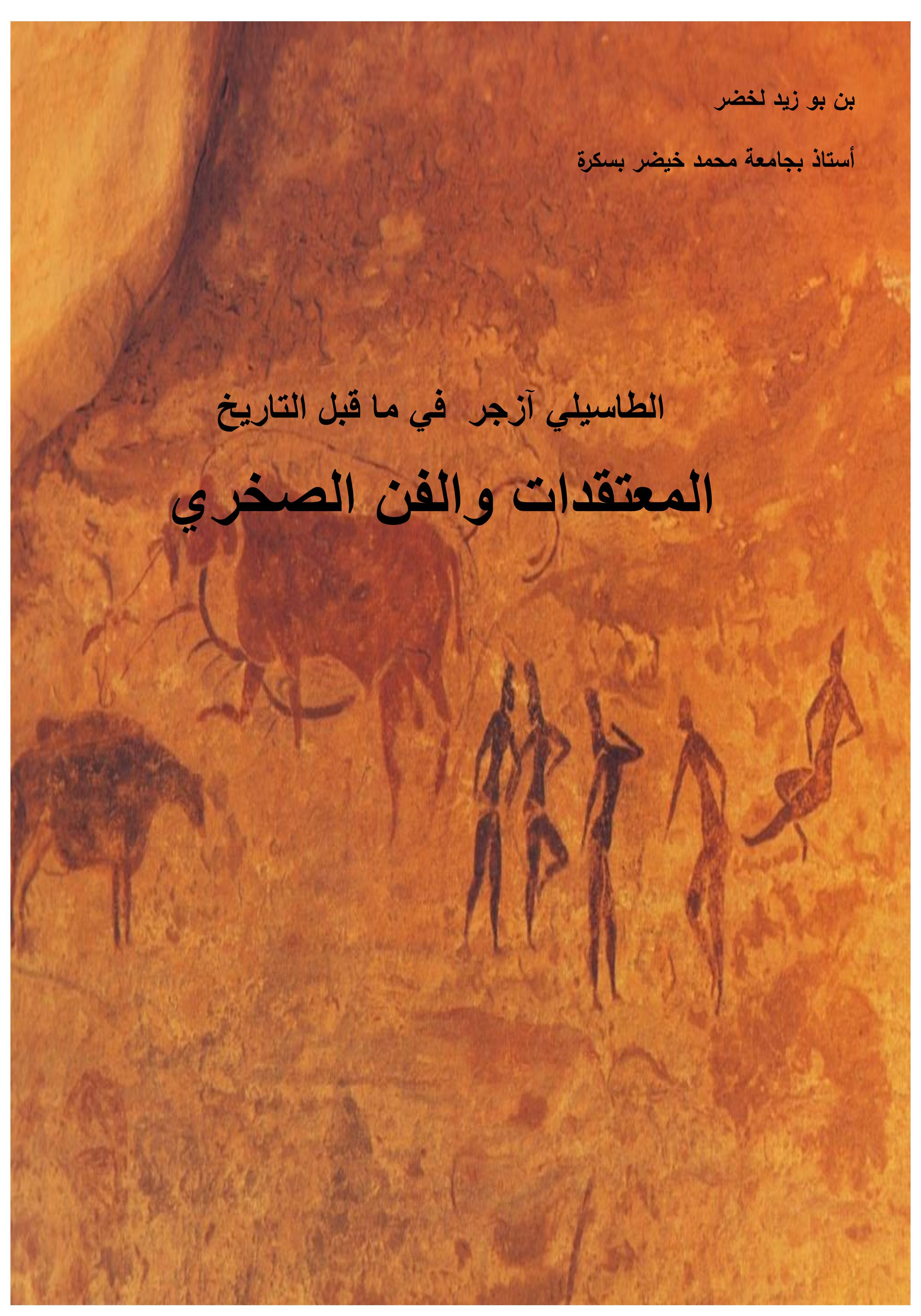
بن بو زيد لخضر

أستاذ بجامعة محمد خيضر بسكرة

الطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ

المعتقدات والفن الصخري



الاهــــــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى روح والدي العزيز وأسأل الله له الرحمة بما قدم لي من إهتمام ورعاية ، و إلى والدتي أبقاها الله لي ،والتي لا تزال دعواتها لي ورضاها عني ينيراني طريقي ، وإلى زوجتي الغالية التي وقفت إلى جانبي وتحملت مشقة البعد وقلة الاهتمام ، كما أهدي هذا العمل إلى كل من يشاركني الاهتمام بتاريخ الجزائر .

قائمة المختصرات:

-هـ ج هوجو : هنري جون هوجو

-A L : Andri leroi

-A. M. G : art et matières graphiques

-A. S. S. R: archives des sciences sociales des religions

-B. S .P .F : bulletin de la société préhistorique française

-C. E .A :Cahiers d'études africaines

-CNRS: Centre national de la recherche scientifique

-C.R.A.I : Comptes rendus (des séances) de l'académie des Inscriptions et Belles Letters

- C.N.R.P.A.H: Centre national de la recherché préhistoriques anthropolologique et historique

- C.R.A.P.E : centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques

- E: Emmanuel

-G : gabriel

-H. A. A. N : Histoire Ancienne Du L'Afrique Du Nord

-H:henri

- ICOMOS : International Council on Monuments and Sites

- INORA : international newsletter on rock art

-I.R.S : institut de recherche saharien

-Jd : jean demonique

-J L : jean loïc

-H J Hugot : Henri-Jean Hugot

-J.S.A : Journal De La Société Des Africanistes

- M : Malika

- M C: Marie Claude

- P : Paul

-R : rené

- R. H .R : Revue de l'histoire de religions

-R. O.M.M : revue de l'occident musulman et de méditerranée

مقدمـــة :

تعد منطقة الطاسيلي المركز الرئيسي لحضارة كبيرة شملت الصحراء الوسطى وامتد إشعاعها إلى أجزاء من إفريقيا خلال فترة ما قبل التاريخ ، فقد كانت الظروف المناخية مواتية لاستقرار الإنسان وازدهار الحضارة ، ولأن الفن هو المعيار الرئيسي لتطور المجتمعات كونه نتاج تفتق الذهن البشري، و الطاسيليون القدامى وصلوا إلى درجة كبيرة من التطور، فقد سجلوا معتقداتهم وأفكارهم وكل تفاصيل حياتهم على جدران الملاجئ الصخرية التي أصبحت اليوم تشكل متحف طبيعيا على الهواء الطلق.

لقد قام بعض الباحثين بدراسة الجانب الديني في بلاد المغرب القديم خاصة في العهدين القرطاجي والروماني ، لكن لم يتطرق أحد إلى جذور هذه الديانة في فترة ما قبل التاريخ ، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الباحثون اهتموا بشكل عام ببلاد المغرب وأهملوا الصحراء رغم مساهمتها الكبيرة في تاريخ المنطقة ، وفي فترة ما قبل التاريخ شكلت الصحراء وخاصة منطقة الطاسيلي مركزا سكانيا وحضاريا كبيرا فكان الفن الصخري هو طابعها المميز.

إن الدرسات المتعلقة بما قبل التاريخ في شمال إفريقيا تتميز على قلتها بالعمومية وعدم التخصص وفي الواقع فإن هذا الامر ينطبق على العالم العربي كله ، بالإظافة إلى أن الدرسات باللغة العربية شبه منعدمة ، أما البحث عن الافكار الدينية الاولى للإنسان و التخصص في مجال في ما قبل التاريخ فهو قليل جدا ، وما نعلمه هو أن عدد قليل من الباحثين تناولوا الموضوع ، ومن اشهر الاعمال : كتاب « أديان ما قبل التاريخ» للباحث أندري لوروا كورهان ، وكتاب «أصول الأديان في ما قبل التاريخ » للباحث إيمانويل أناتي ، وكتاب « تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية» للباحثة مارسيا إلياد ، وأعمال كل من خزعل الماجدي وفراس السواح ، مع ذلك يمكن ملاحظة أن معظم هذه الأعمال تتميزت بالتكرار وعدم التجديد إذا تكاد تجد نفس الموضوعات مكررة في كل الاعمال .

لذلك فهناك حاجة ماسة لدراسة متخصصة تأخذ في الحسبان خصوصيات منطقة شمال إفريقيا ، وتعتمد على المخلفات الحضارية التي تركها الانسان وعلى وجه الخصوص الفن الصخري ، وهو ما أحاول الخوض فيه من خلال هذا الكتاب بحيث أدرس الديانة من خلال الفن الصخري والمخلفات الحضارية الاخرى ، ويتطلب الامر دراسة الحضارة بشكل عام في عصور قبل التاريخ ، وتحليل مختلف اللقى الاثرية لاستنتاج الجانب الديني فيها ، لاعتقادنا بأن الدين كامن في كل ما أنجزه الانسان الاول ، ومع أن العلماء لم يحددوا بشكل دقيق الفترة التي ظهر فيها الفكر الديني عند الانسان ، وإن كان بعضهم يربطونه بالتطور العقلي للإنسان ، إذ يعتبرون أن إنسان نيادرتال الذي تميز بتطور عقلي كبير مقارنة بالأنواع الاولى ، هو أول من عرف العبادة فقد عرف عبادة الدببة ، وجعل من الكهوف معابده الاولى ، كما أنه إستخدم العظام في حياته وبذلك فقد عرف تقديس الاجداد ، على أن

البعض الآخر يعتبر أن إكتشاف النار أول مؤشر على الفكر الديني ، حيث تعامل الانسان مع النار بإعتبارها أول مقدس بالنسبة له ، والمعروف أن النار إكتشفت في الحضارة الاشولية التي مثلها الانسان المعتدل .

وبدون الخوض في تفاصيل التطور العقلي للانسان فالمعروف لدينا أن الانسان الاول وهو آدم عرف العبادة فطريا بحيث لا يحتاج به الامر لإكتشاف النار من أجل عبادته لله تعالى والمعروف ايضا أنه عرف الدفن في وقت مبكر ، حيث يعرف الجميع قصة أول جريمة على الارض ، وكيف علم الغراب الانسان طريقة الدفن .

في ذلك الزمن السحيق كان التطور بطيئا فمنذ ما يقرب من إثنين مليون سنة أو أكثر قليلا ظهر أسلافنا ، وبدؤوا في إستخدام الحجارة وإستغلوا ما وجد في الطبيعة في حياتهم التي كانت صعبة ومليئة بالاخطار ، لكن منذ عشرة آلاف سنة حدثت تغيرات هامة على الانسان وعلى الطبيعة ، فقد تحسن المناخ وإنحسر الجليد وساد الدفء ، وتوفرت للإنسان ظروف ملائمة للتطور ، ومن جهة ثانية فإن الانسان الذي ظهر في هذه الفترة كان له قدرة أكثر على التفكير والاستيعاب ، فقد تمكن من التعامل بسرعة وبيسر مع ما توافر له من إمكانيات ، فأنتج طعامه بدلا من أن يبقى عالة على الطبيعة يستهلك ما هو متوافر، تمكن وبشكل متزامن من إستأناس الحيوان وتدجين الزراعة وصناعة الفخار... ، مما يجعلنا نعتقد بشكل جازم بأن الانسان الذي إكتشف هذه الامور كلها ليس هو نفسه الانسان البليد السابق ، حتى من وجهة النظر التطورية فإن الانسان الذي ظهر في هذه الفترة هو الانسان الحديث وهو سليل الانسان العاقل الذي ظهر قبل ما يزيد عن اربعين ألف سنة .

من وجهة نظري فإن أكبر تطور عقلي حدث للإنسان هو إنجازه لأولى الاعمال الفنية ،والذي هي في الواقع محل خلاف بين الباحثين ،على أن أهم المنجزات الفنية تمثلت في الفن الصخري ، والتي تعد منطقة شمال إفريقيا وبصفة خاصة منطقة الطاسيلي أكبر مسرح له على مستوى العالم ، وما يميز الفن الصخري في الطاسيلي عن أي مكان آخر في العالم هو إستمراريته وتنوعه بحيث لم ينقطع على مدار عشرات آلاف السنين إلى القرون الأولى للميلاد ، وقد قسم الباحثون هذا الفن إلى عدة مراحل منها مرحلة ذووي الرؤوس المستديرة وهي موضوع دراستنا.

وإذا كان هذا الكتاب يتناول الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية بشكل عام فإن التركيز كان على مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة ، نظرا لكونها أقدم المراحل تقريبا من حيث الزمن ، كما أنها شغلت فترة زمنية أطول وتميزت بتعدد الاساليب الفنية فيها ، مما يدل على التنوع البشري في المنطقة ، كما تميزت على الخصوص بمشاهدها الغامضة التي يبرز فيها الجانب الديني والسحري بشكل واضح ، مما جعلها تشكل مادة رئيسية عن الديانة في ما قبل التاريخ.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع بصفة خاصة هي الرغبة الشديدة في التعرف على حضارة الإنسان الأول في الطاسيلي، ومعرفة نمط تفكيره، ومعتقداته والأشياء التي أحاطها بالتقديس، وكذلك الرغبة في التعرف على أصول السكان في الصحراء والظروف المناخية التي عاشوا فيها ، وعلاقتهم بالمناطق المجاورة في تلك الفترة الموغلة في القدم.

بالإظافة إلى ما يعانيه هذا الموضوع أصلا من قلة الأبحاث وقدمها وقلة المختصين وكثرة الهواة ، الذين توزعت أبحاثهم على هذه المنطقة الشاسعة فلا تكاد تجد إلا شذرات هنا وهناك ، وكذلك ندرة المراجع التي تتناول فترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا بشكل عام والصحراء بشكل خاص ، إذ لا يكاد الطالب يجد إلا كتاب أو إثنين عن ما قبل التاريخ ، وقد لاحظت ذلك خلال تدريسي لمقياس ما قبل التاريخ ، لذلك عسى أن يضيف هذا الكتاب مادة علمية تساعد الطلاب والمختصين على التعرف على جانب هام من حضارة منطقة الطاسيلي .

أردت الخوض في هذا المجال رغم صعوبته لان ذلك يتطلب العودة إلى بداية هذه الظواهر الدينية ، وبما أن الفن الصخري يمثل المصدر الرئيسي لهذه الدراسات وخاصة مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة بما تمثله من مشاهد غامضة، فأصبح الهدف مزدوجا : الكشف عن الجوانب الغامضة فيها، ثم محاولة البحث عن مظاهرها الدينية .

وتكمن أهمية الكتاب في معرفة جذور الفكر الديني في منطقة الطاسيلي وامتدادها في الوقت الحاضر في المنطقة وخارجها والبعد الإفريقي الذي تميزت به ، كما أن الكتاب له أهمية في معرفة النتائج التي أسفرت عنها التغيرات المناخية في الصحراء من حيث الانتشار السكاني والحضاري في إفريقيا ، فهذا الكتاب يجيب عن تساؤلات عديدة حول الفن الصخري بوجه عام ومرحلة ذوي الرؤوس المستديرة بوجه خاص ، وكذا معتقدات الانسان في ذلك الوقت ، ومختلف الاثار التي خلفها الطاسيليون القدامى ، وبما أن هذه المرحلة طويلة جدا فإن الإطار الزمني يتوافق تقريبا مع العصر الحجري الحديث ، أما الإطار المكاني فهو منطقة شمال إفريقيا والطاسيلي آزجر بشكل خاص و الأراضي التي تشكل امتدادا له .

وقد تطلب حجم الموضوع تقسيمه إلى ثلاثة فصول ، قمت بالتقديم للبحث بفصل تمهيدي حددت فيه إطار الدراسة الزمني والمكاني ، أما الفصل الأول فهو يتناول التعريف بالفن الصخري بشكل عام ، ثم بمرحلة ذووي الرؤوس المستديرة ومناقشة أصول هذه الشعوب التي عبرت عن نفسها بعدة مشاهد غامظة ، وأهم خصائصها والمواضيع التي تناولتها المشاهد، كما قمت بدراسة علاقتهم بالمناطق المجاورة من خلال دراسة امتداد هذا الفن في المناطق المجاورة وآثاره في عالم إفريقيا اليوم.

أما الفصل الثاني فهو يتناول المظاهر الدينية لدى الرؤوس المستديرة من خلال دراسة أهم معالم الفكر الديني بما فيها الطوطمية وتقديس الحيوانات ، والمشاهد التي تبرز فيها الديانات الروحانية والسحرية مع مقارنة هذه المشاهد بما هو موجود لدى الشعوب الروحانية التي لا تزال تعتقد بأن الارواح تتحكم في الطبيعة، كما أن هناك مشاهد أخرى تعبر عن الأساطير التي كانت منتشرة أنذاك ، والطقوس المختلفة المعبرة عنها والتي يمكن تحديدها من خلال دراسة المشاهد ومقارنتها بالكثير من المعطيات في مناطق مختلفة من العالم .

أما الفصل الثالث فهو عبارة عن دراسة تفصيلية للكثيرمن المشاهد التي تدل على وجود آلهة عظيمة كان يعبدها الانسان ، وعبر عليها في بعض المشاهد خاصة منها آلهة الخصوبة والتي لاحضنا أنها متعددة ، فقد عرفت منطقة صفار آلهة مختلفة عن منطقة جبارين ومنطقة أونراحات أما منطقة وادي جرات فقد عرفت عبادة آلهة ذات قوة جنسية كبيرة جسدها الانسان بكائنات ذات راس كلب وجسم إنسان ، والملاحظ هنا هو كثرة المشاهد الجنسية في هذه المنطقة بالذات وقلتها في المناطق الاخرى.

بعض المناطق عرفت عبادة آلهة أنثوية تجسدت بنساء جميلات وعاريات بشكل يشبه آلهة الحب الاغريقية والرومانية ، لنخلص في الاخير إلى الدور الذي قامت به المرأة في ذلك الوقت ، كما ندرس في هذا الفصل كل ما يتعلق بالرمزية التي وجدت في هذا الفن بما فيها مختلف الرموز ذات الطابع السحري مثل الزينات الجسدية والأيادي والأقنعة .

يعتمد هذا الكتاب على المنهج الوصفي والتحليلي وذلك بدراسة الظواهر الدينية بالرجوع إلى نشأتها في فترة ما قبل التاريخ، فقد قمت بوصف المشاهد الصخرية وتحليلها لاستخراج ما تمثله من مظاهر دينية للإنسان، كما قمت بمقارنتها بمشاهد أخرى في مناطق مجاورة ، وحاولت ربطها بماُوجد في بلاد المغرب القديم وما يوجد اليوم في إفريقيا ، وما نجده من أثار في الذاكرة الجماعية للإنسان في الصحراء وفي شمال إفريقيا بإجراء إسقاطات عليها بما يخدم الموضوع.

كان الحصول على مراجع حول الموضوع يشكل صعوبة كبيرة لكون الموضوع جديدا بحيث لم يتناوله أحد بالدراسة، والفن الصخري بشكل عام ما زال يفتقر إلى أبحاث لذلك فقد اعتمدت على مجموعة قليلة من الكتب المتخصصة مدعما ذلك بأبحاث تناولت مناطق مجاورة للطاسيلي، ومع ذلك حصلت بطرق مختلفة على بعض الأبحاث وقدم لي بعض الباحثين الأجانب مساعدة كبيرة في الموضوع .

وقد إقتضت ضرورة البحث الاعتماد على بعض المصادر الكلاسيكية مثل بلين الأكبر وديودور الصقلي وهيرودوت ، هذا الاخير أشار إلى بعض المعلومات عن الصحراء والشعوب التي كانت تعيش فيها في عصره ، وذكر معلومات قليلة عن عادات الليبيين

وحياتهم الاجتماعية والدينية التي سمعها من خلال وجوده في مصر إذ لم يزر بلاد المغرب.

واعتمدت في الكتاب بصورة رئيسية على المصادر المادية المتمثلة في مشاهد الرسوم الصخرية ، وتعد هذه المصادر ذات أهمية كبيرة بالنسبة للبحث فهي مادة البحث الحقيقية، و تحليل هذه الرسوم ليست بالأمر الهين لذلك فقد اعتمدت على العديد من المراجع التي تمثل نتائج أبحاث أثرية قام بها المختصون في الفن الصخري وتتضمن مختلف الآراء التي قدموها حول المشاهد المختلفة.

يعد هنري لوت أشهر الباحثين في هذا المجال وقد اعتمدت على عدة كتب له منها بعنوان« اكتشاف جداريات الطاسيلي» سنة 1958 وكتاب بعنوان «نحو طاسيليات أخرى » سنة1976 ، وآخر بعنوان« النقوش الصخرية في وادي جرات» سنة 1976 بالإضافة إلى مقالات وكتب أخرى له نقلت منها معظم المشاهد الصخرية ، ويتميز هنري لوت عموما بقلة وصفه وتحليله للمشاهد فقد كان هدفه إكتشافها أكثر من تحليلها ومعالجة مواضيعها، كما استعنت بكتب أخرى لكل من ألفرد موزيليني وجون لاجو jd lajoux .

واعتمدت أيضا على أبحاث عديدة لجون لوكلاك وهو من الباحثين المختصين ، منها كتاب بعنوان« الرمزية والفن الصخري في الصحراء »سنة 1993،وهو كتاب هام استفدت منه بشكل خاص في الفصل الثالث ، وكتابه الذي خصصه لهضبة المساك الليبية إلا انه يتضمن معلومات قيمة عن الطاسيلي وفن الرؤوس المستديرة استفدت منه في موضوع الكائنات الأسطورية ، ويوجد لهذا الباحث الكثير من المقالات تحصلت على بعضها واستفدت من أفكاره فيما يخص موضوع الشخصيات النصف إنسانية ، وفي موضوع تقديس الأبقار وكذلك في ما يخص الجانب السحري والشامانية ، كما اعتمدت على كتاب لجون لكلو leclant j بعنوان « ثقافة الصيادين في النيل والصحراء» وهو كتاب ضخم من جزأين ، أفادني كثيرا فيما يخص العلاقات بين منطقة النيل و الصحراء .

واستفدت كذلك من الكتب التي تدرس المجتمعات الإفريقية اليوم خاصة الشعوب التي تعتمد على حياة الصيد ، أو تلك التي تملك رصيدا أسطوريا كبيرا مثل الدوغون في مالي والفولاني في غرب إفريقيا ، إظافة إلى الكثير من المقالات التي تضمنت أبحاثا عن الأقنعة وعن الديانات الروحانية والطوطمية والديانات السحرية نذكر من بينها مقال هام للباحثين حامباتي با وج دياترلان g Dieterlen hampaté Bâ عن علاقة الرسوم الصخرية للتاسيلي بتقاليد الفولاني .

ومن بين الاهداف التي نريد الوصول إليها بواسطة هذا الكتاب:

- تكملة الأعمال التي قام بها المستكشفون الأوربيون الذين أخرجوا هذا الفن إلى النور، والهدف المنشود هو إعادة بناء حضارة الطاسيلي بكل مظاهرها إعتمادا على اللقى الأثرية

ومشاهد الرسوم الصخرية، فنحن ندرس في هذا البحث المظاهر الدينية ونأمل أن نأتي بالجديد في هذا المجال والأمل الأكبر أن يهتم الباحثين بدراسة المظاهر الحضارية الأخرى.

- معرفة علاقة منطقة التاسيلي بالمناطق المجاورة من خلال دراسة مدى إمتداد تأثيرها الحضاري.

- محاولة تفسير بعض المشاهد الغامضة والتعرف على المظاهر الدينية فيها .

- معرفة الدور الذي لعبته المرأة ومكانتها في فكرهم الديني.

إطار الدراسة

أولا : وصف منطقة التاسيلي آجر والهوقار

ثانيا: الإطار الزمني للدراسة.

ثالثا:تاريخ الأبحاث في الصحراء .

الوصف الجغرافي للصحراء الوسطى :

الصحراء هي منطقة جغرافية شبه خالية من النبات، يقل فيها تساقط الامطار ، وترتفع فيها درجة الحرارة في النهار بشكل كبير وتنخفض في الليل ، وأكبر الصحاري في العالم هي الصحراء الكبرى الافريقية التي تمتد من المحيط الاطلسي إلى البحر الاحمر وتتجه شمالا لتلامس البحر المتوسط في الشواطئ الليبية ، غير أنها تنحصر في الغرب بسبب وجود جبال الاطلس في الجزائروالمغرب ، وتنقسم هذه المساحة الشاسعة إلى عدة أجزاء تبعا للجغرافيا والتضاريس ، عملية التقسيم هذه قد تأخذ إعتبارات سياسية من حيث وجودها ضمن حدود الدولة الواحدة فيقال مثلا الصحراء الغربية وهي تلك التي تمتد على حدود مصر الغربية وأما الصحراء الشرقية فهي صحراء سيناء ، على أن مصطلح الصحراء الغربية قد يعني بالنسبة لبلاد المغرب تلك المناطق الصحراوية الواقعة جنوب المغرب الاقصى ، أما مصطلح الصحراء الوسطى فالمتعارف عليه من الناحية الجغرافية أنها المناطق الواقعة في الجنوب الجزائري ونقصد بها مناطق الطاسيلي والهوقار .

تشكل الصحراء الوسطى إمتداد لمنطقة شمال إفريقيا وهي على شساعتها محدودة من حيث التضاريس ، ورغم أنها منفتحة في الجنوب على إقليم الساحل إلا أنها محدودة من الشمال بحاجز من الجبال يتمثل في جبال الاطلس، الذي يحجز تاثيرات الصحراء في الشمال ، لكن الصحراء تلامس شواطئ البحر المتوسط في السواحل الليبية ، وعلى ما يبدوا فإن جبال الاطلس لا تمثل حاجز طبيعيا أمام التاثيرات المناخية فحسب ولكنها ايضا تمثل حاجزا امام التاثيرات الحضارية بين بلاد المغرب والصحراء ، ففي عصور قبل التاريخ خاصة في الفترات الرطبة كانت الغابات الكثيفة تغطى جبال الاطلس ، مما جعل الانتقال البشري والحضاري بين بلاد المغرب والصحراء محدودا ولكن مع ذلك فقد إنتقلت حضارات ما قبل التاريخ لتمتد في الصحراء فقد أكتشفت مواقع حضارية تعود إلى معظم الحضارات كالاشولية والموستيرية والعاترية وحتى الايبرومغربية والقفصية .

التضاريس:الصحراء الوسطى تتكون أساسا من التضاريس التالية :

– كتلة جبلية كبيرة هي كتلة الهوقار التي تصل مساحتها إلى 350.000 كلمتر مربع ، وإرتفاع متوسط يقدر ب1000 متر مع وجود قمم مثل تاهات 2918 متر [1]

– بالاضافة إلى الهوقار يوجد الطاسيلي التي هي هضبة من الحجر الرملي .

– التضاريس المعزولة: هذه الجزر من الصخور متكونة من الكارتزيت والصخور الغرنيتية داخل درع التوارق ،من بينها أدرار أحنات أو أدرار تازات.

[1]Ginette aumassip et michel tauvron(1993) ;le sahara central à l’holocène , Sahara, 1993, P64

– مجاري أودية كبيرة وعريضة بشكل يفوق حجم الوادي مما يدل على درجة التمطر في الازمنة القديمة، ومن الممكن أن تعود الامطار ننفس الوتيرة إذا حدث تغير بيئي، وهذه المجاري الكبيرة لها مسارات غير منتظمة ، حيث أن منطقة التانزروفت غرب الهوقار أبرز مثال على ذلك.

–الهضاب التي تعرف بالحمادة محاطة بأخاديد شكلت خوانقضيقة ،تشرف على منحدرات معزولة ومصقولةبواسطة جريان المياه علىالسطوح المستوية (الشطوط)هذه الحمادة التي تكون بعضها ذات مساحات كبيرة مثل حمادة القير guir أو حمادة تندوف لا تنتمي إلى طبقات محددة ولكنها تمثل سطوح متآكلة .

– تلال شاهدة أو أغوارمع بداية الاخاديد.

– الرق : هذه المساحات المستوية والخالية تماما من أشكال التضاريس في بعض الاحيان تكون كبيرة جدا منها تادمايت وتانزروفت [2].

أولا : منطقة التاسيلي آجر:

تقع التاسيلي أزجر[3] في الجنوب الشرقي الجزائري ضمن الصحراء الوسطى تتميز بكتلها الصخرية من الحجر الرملي، فهي عبارة عن هضاب صخرية جرداء وجبال تتقاطع بها أودية كثيرة تشكل البطون الجافة لطرق مائية قديمة تستضيف بعض الكهوف الواسعة المنفتحة بفعل ظاهرة الحت [4].

كما توجد بها سهول واسعة تغطيها الرمال تسمى العروق وهي غالبا تعد بمثابة أحواض منخفضة تختفي فيها معظم الأودية، والتاسيلي منطقة متداخلة الأراضي بحيث يصعب تحديد حدود حقيقية لها فهي تقع بين دائرتي عرض 21°و28° شمالا وبين خطي طول 5°و20° شرق خط غرينتش[5] ، وقد حددها جون دوبياف بين 23°و30° بالنسبة لدوائر العرض شمال خط الاستواء وبين 5° و14°بالنسبة لخطوط الطول شرق خط غرينتش[6].

يحدها من الشمال العرق الشرقي الكبير ومن الجنوب منطقة عيسو وإين الزوا والأراضي النيجيرية ومن الغرب أمقيد، ومن الشرق إن أزاف وفزان[7] ومنطقة سردليس

---

(2) Jean Fabre(2005) ;Géologie du Sahara occidental et centralroyal museum for central africa , 2005 Tervuren, belgique ,p439

(3)كتابة التسمية بهذا الإسم مستمدة من النطق المحلي بالتمهاق.

(4)إبراهيم العيد بشي (2009) تاسيلي ناجر، البنية الجغرافية والحضارية.دار الحبر،الجزائر، ج1 ،ص133.

(5)المرجع نفسه، ص82 .

(6)J Dubief (1999) l'Ajjer Sahara Central ,paris: Edition Karthala, P25.

(7) منطقة فزان هي : الخلفية الصحراوية لولاية طرابلس يحدها من الشمال صحراء الحمادة الحمراء وجبل السوداء، ومن الجنوب جبل طومو الذي يشكل الحدود السياسية بين ليبيا وتشاد ينظر :إسماعيل العربي (1983) الصحراء الكبرى وشواطئها،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص175، لكن يمكن أن تعود التسمية إلي وقت قديم حيث أن هيرودوت

الرومانية ومدينة غات [8]،من جهة ثانية فإن بعض الباحثين يضعون اعتبارا للجانب السياسي،حيث يعتبرون منطقة التاسيلي[9]:هي الأراضي الموجودة داخل التراب الجزائري فقط وحدودها كالتالي :« من الشمال عرق إساون نيغرغارن وعرق بوراغت ومن الشرق تادرارت أكاكوس الليبية ومن الغرب عرق أمقيد ومن الجنوب عرق أقدي وعرق تيهوداين وعرق أدمير » [10].

أما جون دوبيافdubief زفله وجهة نظر مختلفة عن منطقة التاسيلي حيث يقول : « أنها تمثل الأراضي التي تجوبها قبائل الكيلآزجر kel ajjer في رعيهم،وهي تمتد من الشمال الغربي بواسطة الحدود الجنوبية للعرق الشرقي الكبير الذي يفصل الكَيلْ أزجر عن الشعانبة ومن الشرق بالجزء الشرقي من العرق الذي يمثل حدود طبيعية تفصل الكيل أزجر عن القبائل العربية الفزانية ،وأيضا بالجبال الغربية لغات[11] ،ووادي الآجال[12] وكلها ضمن منطقة فزان ومن الجنوب سهل آدمير وأمادرور l'amadrorفي حدود منطقة الهوقار الشرقية» [13] .

أما فيما يخص الحدود الفاصلة بين التاسيلي وفزان فيحددها جون لوكلاك j l le Quellec في شكل تكوين جيولوجي يأخذ شكل نتوء يمتد من الشمال إلى الجنوب ويتواجد في سهل غرب هضبة المساك يمكن رؤيته من خلال الأقمار الصناعية وفي الأرض هو عبارة عن منحدر حاد يسمى «سليطة الحمراء» Slaita elhamra [14] ،ويبدو أن تلك المرتفعات تمثل حدود طبيعية وكذلك حدودا إثنية وثقافية بين الطاسيلي وفزان ،حيث يذكر أحد شيوخ المنطقة وهو خليفة محمد السوقي في مناقشة مع الباحث جون لوكلاك j l Le

---

hérodote وبلين الأكبر pline l'ancien يذكران قبيلة القمفزانتس gamaphasantesوضمن القبائل التي تسكن المنطقة الجنوبية، ينظر :Hérodote (1948) histoires,trad par E legrand,paris:les belles lettres IV,174. pline l'ancien(1950) histoire naturelle, trad. Beaujeu j,paris:Edition hachette, V,8.

[8] بشي،المرجع السابق ،ص82

[9] تعني كلمة التاسيلي السلسة الجبلية التي يغطيها السواد أما ازجر فهي تعني جلد« الثور المسلوخ» أو« رأس الأقرع » ،ينظر: بشي ،المرجع السابق ص 84، أما هنرى لوت h lhote فيقول إن أزجر تعني نهرا أو بحيرة و كذلك هو رأي الباحث كبو راي capot ray ، حول الآراء الأخرى لمعنى كلمة الطاسيلي ازجر، ينظر:
C Leredde (1957)Etude Écologique Et Phylogéographies Du Tassili Et Nil, Travaux L'IRS, Alger ,T 2. P47, J Dubief,Op.Cit.P25

[10] leredde c(1957) op.cit.pp47-48

[11]مدينة غات : من المدن الهامة التي يسكنها الطوارق وهي واحة ليبية قريبة من الحدود الجزائرية ، كان لها دور كبير في التجارة الصحراوية.

[12]وادي الآجال هي: المنطقة التي تتواجد بها جرمة عاصمة الجرامنتس القدماء ، تقع إلى الجنوب من سبها بفزان وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول 200كلمتر وعرض 30كلمترا، ينظر : عبد اللطيف محمود البرغوثى (1971) التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ،ج1، دار صادر:بيروت، ص224.

[13]j dubief ,op cit. p25

[14]J L Le Quellec(2007) «Ni hommes, ni animaux: les théranthropes Un aliment pour l'esprit ?». In Jean-Pierre Poulain (Ed.), *L'homme, le mangeur, l'animal. Qui nourrit l'autre? Actes du colloque organisé par l'OCHA avec la participation du CETSHA du CR 17 de l'AISLF et de l'ERITA (EA 3683) de l'Université de Toulouse 2 – Le Mirail, les 12 et 13 mai 2006 à l'Institut Pasteur à Paris* ,p68.

Quellec[15] أن الطوارق يعتبرون أن المنطقة المعروفة باسم "تادرارتأكاكوس" هي إقليم تابع للطاسيلي وأن الطوارق لا علاقة لهم بفزان[16].

وبالنسبة للأراضي الواقعة داخل التراب الجزائري من التاسيلي ، فهي نفسها إقليم الحظيرة الوطنية للتاسيليالتي أنشأت بموجب القرار الوزاري المؤرخ في 26 جويلية 1972، حيث ورد في المادة 168 حدود المنطقة كالتالي :« شرقا الحدود مع الجماهيرية الليبية ، من الجنوب الشرقي ابتداء من الحدود مع النيجر إلى وادى تفساست غربا ،ومن الجنوب الغربي مرتفعات ادمبو لتصل هضبة تين أمنوار لغاية امقيد شمالا توجد منطقة حدودية تعرف بمنطقة تلاقي الطاسيليات و العروق و هي مجسدة بالطريق الرابط بين إليزي و أمقيد غربا و الطريق الرابط بين اليزي و ترات شرقا أما منطقتا آدمير وتيهوداين فيشكلان منطقة حدودية لكنها محتواة داخل الحظيرة »[17]وهذا الإقليم يمتد بين 23°و26,5° بالنسبة لدوائر العرض شمال خط الاستواء وبين5°و20°بالنسبة لخطوط الطول شرق غرينتش[18] (الشكل رقم 3).

وفيما يخص التكوين الجيولوجي للمنطقةيذكر الباحثون أن منطقة التاسيلي قديمة التكوينحيث تعود مجموعة الهضاب المشكلة للطاسيلي إلى حقبة الباليوزويكPaléozoïque أي الزمن الجيولوجي الأول بين 550 مليون سنة و370مليون سنة »[19]والتاسيلي عبارة عن هضبة صخرية ترسبت على قاعدة بلورية تسمى السهل تحت التاسيليpleine infratassilienne ويعرف أيضا باسم النجد الجزري المتبلور les payes cristallin[20]،وتقسم منطقة التاسيلي والأراضي القريبة منها إلى أربعة أشكال :

1- النجد الجزري المتبلور يعود إلى حقبة ما قبل الكمبرى المؤرخة بحوالي 600مليون سنة يتمثل في منطقة الهوقار والأرض الجنوبية وهو في منطقة التاسيلي ممثلا في سهل أمادرور Amadror وآدمير Admer،أما الأقسام الثلاثة في التاسيلي فهي التاسيلي الداخليinterne Tassiliوالطاسيلي الخارجيexterneTassili،والأخدودبداخلالطاسيلي (الأوسط) sillon intra Tassilien[21].

---

[15]قام جون لوكلاك بأبحاث هامة في هضبة المساك ونشر أبحاثه سنة 1998 ، ينظر :

[16]J L Le Quellec(1998) Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara.Le Messak ,Paris :Payot.
J L Le Quellec(2007) loc.cit.

[17]قانون رقم 72-7-178 الجريدة الرسمية بتاريخ 26 جويلية 1972.

[18]Sid ahmed kerzabi(1986) conservation et gestion du Park national de tassili:dans l 'art rupestre saharien concervation et méthodologie et gestion, UNESCO,1986,p1.

[19]S beuf,et al (1971) les gresdu paléozoique inferieur au sahara,technip:paris .p 7, j dubief op.cit. p330.

[20]j dubief , op.cit. p335.

[21]ibid.pp 332-340.

2- الطاسيلي الداخلي: يمثل أول إرتفاع فوق السهل تحت التاسيلي يقل ارتفاعه كلما اتجهنا نحو المناطق الموالية[22] يعود تكوينه إلى حقبة الكامبرى- الأردوفيني Cambro-ordivicien[23] ، وهو واقع بين النجد المتبلور للهوقار في الجنوب والأخدود بداخل الطاسيلي في الشمال [24].

3- الأخدود بداخل التاسلي sillon intra tassililienneوهو منخفض يقع في قاعدة الطاسيلي الداخلي وعلى قاعدة الطاسيلي الخارجي يعود تاريخه إلى حقبة السيلورى حوالي 420 مليون سنة[25]، تصب فيه معظم أودية الطاسيلي الداخلي[26].

4- الطاسيلي الخارجي tassili enterne يمتد بين الأخدود الأوسط (الأخدود بداخل الطاسيلي) في الجنوب ووادي إغرغارن ighargharen وحوض إليزي في الشمالتاريخه بين السيلورى silurien والدوفيني الأسفل dovonien inferieur[27] .

من ناحية أخرى فان أغلب الحضارات الإنسانية قامت على ضفاف الأنهار والبحيرات ,فوجود الماء بكمية كبيرة يعد العامل الرئيسي في تطور الحضارات الإنسانية،ورغم أن منطقة التاسيلي تبدو جرداء قاحلة إلا أنها تتوفر على مخزون هام من المياه الجوفية تعود إلى مرحلة ما قبل التاريخ و تغذيها الأودية باستمرار ،وهذه الأودية تصنف إلى صنفين هما:

أ- الوديان المتجهة نحو البلد ما قبل التاسيلي Le payes prétassilien[28] ،نذكر من هذه الأودية واد إميهروا ووادي جرات .

ب- الوديان المتجهة نحو السهل تحت التاسيلي وأهمها أودية أمدور وأجريو أما وادي أغرغار فهو الوحيد الذي يجتاح سور التاسيلي بأكمله من الجنوب إلى الشمال [29].

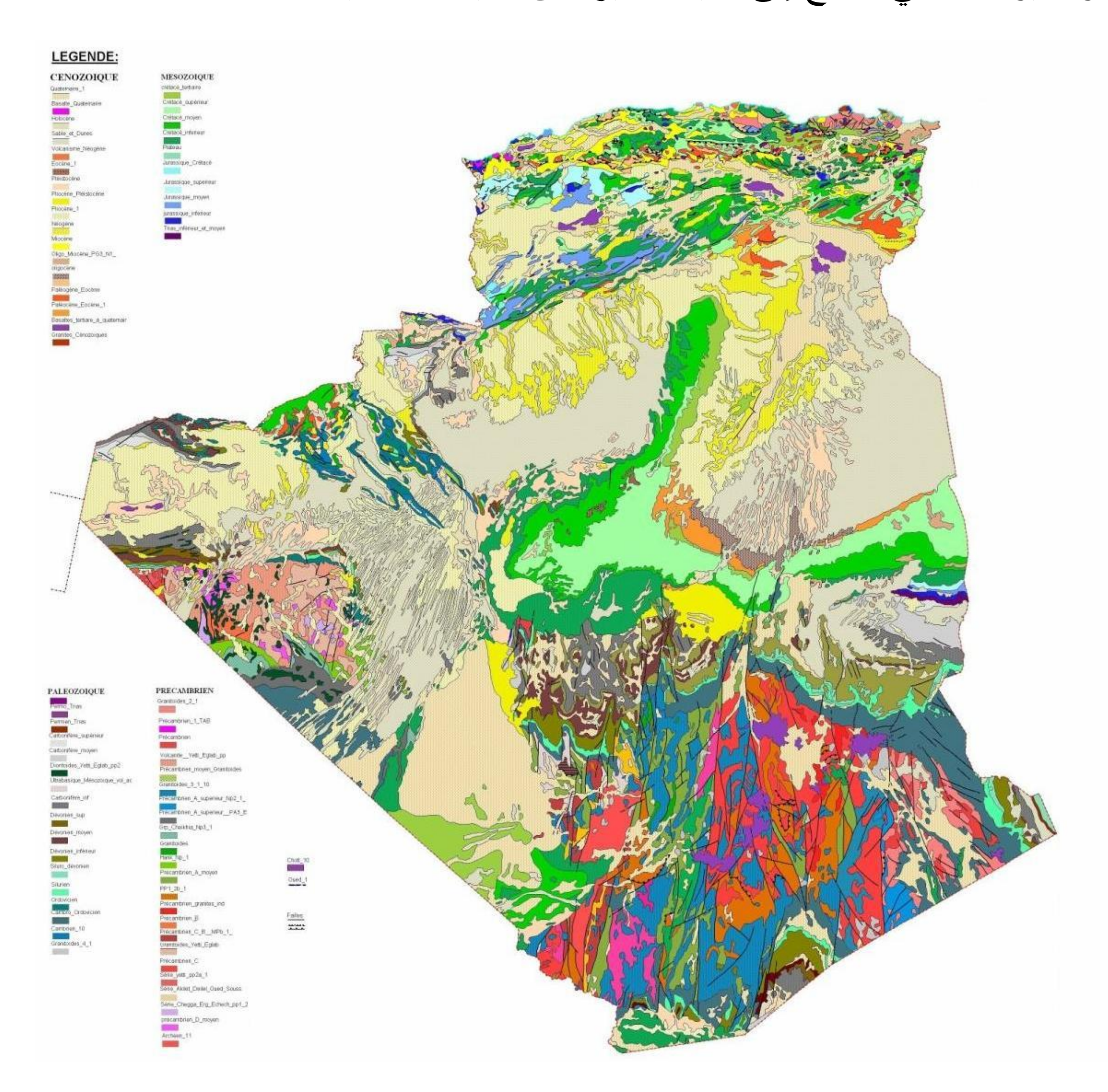
وهناك عدد كبير من الأودية والأحواض منها وادي أمستان L'ouedAmastane ووادي ترات l'oued tarat[30] ووادي سامن l'oued samenوهناك بعض الأودية تعتبر بمثابة الأنهار لكونها ذات مجاري واسعة ، حيث وصف قابريل قارديل gabriel

---

[22]leredde ,op.cit.p31.c
[23]j dubief , op.cit. p332.
[24]ibid.p217.
[25]Beuf et al, op.cit.pp8-10, j dubief, op.cit. p332.S
[26]j dubief , op.cit. p218.
[27] Ibid. p332 ,S beuf et al ,op.cit. p335.
[28] البلد ماقبل التاسيلي هي المنطقة المحدودة من الغرب و الشمال بهضبة تنغرت tinghert و الحمادة الحمراء، ومن الشرق بأدرار إن تاكريود ومن الجنوب بالطاسيلي الداخلي .ينضر : j dubeif. (1999) op.cit p220
[29] C leredde , op.cit. pp47-48.
[30] بشي ،المرجع السابق، ج 2 ،ص 63.

Gardelوادي إراران و وادي تماجرت أنهما عبارة عن أنهارا صحراوية غير دائم الجريان[31] .

على أن أهم الأودية وأغناها بالمياه هو وادي تفساست ووادي تماجرت l'oued tamadjart يقول في هذا الإطار إبراهيم العيد بشي أن الكثير من الأودية يتغير اسمها حسب المنطقة[32] ،كما أن العديد من الأودية تصب في العروق مما يجعلنا نعتقد أنها كانت في ما قبل التاريخ تمثل بحيرات،حيث ذكر جون لوكلاك أن عرق مرزوق كان بحيرة في فترة ما قبل التاريخ أرختب8445 ± 160 (أقل أوأكثر من160)[33]ويدل على وجودها صور الرسوم الصخرية التي تمثل حيوانات نهرية مثل فرس النهر ،وكذلك صور القوارب والحيوانات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه مثل الفيلة.



الشكل رقم 01 : خريطة جيولوجية للجزائر، المصدر :www.mem-algeria.org

[31]gabrial Gardel (1961) les touareg Ajjer. édition baconnier: Alger, pp76, 117.

[32]بشي ، المرجع السابق ،ص 78.

[33]J L Le Quellec(1998) Op.Cit ,P151.



اللوحة رقم 01 : غابة الصخور في تامريتtamrit الطاسيلي

المصدر: Alain sèbe (1991) op.cit. pp22-23



اللوحة رقم 2 : غابة الصخور منطقة تافيلالت (الطاسيلي)

المصدر : M hachid (1998) op.cit . p 39

ثانيا : منطقة الهوقار :

يغطي إقليم الهقار أكثر من 500.000كلم2 فهو يمتد على حوالي 1000 كلم من الشرق إلى الغرب و 760 من الشمال إلى الجنوب كما يمتد إلى دولة المالي بسلسلة أدغاغ نفوغاس الجبلية إلى الجنوب الغربي و سلسلة الأيير بدولة النيجر إلى الجنوب الشرقي.
أعلى القمم الموجودة بها : الأسكرام، إيلمان، طاهات و هي أعلى قمة في الجزائر حيث يبلغ إرتفاعها 3003 م و الهقار يمثل كتلة تضاريسية موحدة النمط و مختلفة كل الإختلاف عن تضاريس بقية الصحراء من حيث بنيتها المورفولوجية فهي عبارة عن كتلة صخرية منحصرة بذلك بين كل من هضبة تيدكلت شمالا، التنزرفت غربا صحراء " تينري " شرقا يخترقها مدار السرطان و يقسمها إلى قسمين .

ومن المناطق التضاريسية في الهوقار :

1- منطقة الاتاكور :

هي الأكثر إرتفاعا في المنطقة بفضل موقعها الوسطي هذا و إرتفاعه الكبير فإن الأتاكور يتحكم في مجمل الشبكة المائية للصحراء الوسطى فهناك تشكلت أكبر الأودية التي كانت مجاريها في وقت سابق حتى الشطوط، النيجر، التشاد كما يرى عدة باحثين أن التوارق يقسمون الأتاكور إلى قسمين : أتاكور الأعلى و أهقرين و أتاكور الأسفل تظهر أعلى القمم بها، وهي قمة إلمان (2760م)، طاهات (3003م) الأسكرام (2728م . »

2- تازوليت: TAZOULET

هي إمتداد للأتاكور شرقا و سميت بذلك الإسم لإحتوائها على معدن الحديد (تازولي) التضاريس أقل وعورة و صعوبة من المناطق الأخرى فالوديان واسعة و الإختناقات الصخرية القليلة.

3-تفاديست: TAFIDAST

سلال جبلية غرانيتية متجهة من الشمال الغربي لمنطقة الأتاكور و هي سلسلة ضخمة تأخذ وجهة الشمال الجنوبي حيث تنتشر عدة قمم مشهورة مثل أودان أوقارة الجنون.

4- أمدغور: AMADROR

هضبة رسوبية واسعة تمتد إلى الشمال شرق منطقة تافيديست ، و هي عبارة عن رق شاسع بدون ماء و لا غطاء نباتي و تظهر به أحيانا روابي غرانيتية المنشأ و هي محصورة بين مناطق الأجيري تورها، أغشوم و آنهف و التاسيلي .

5-الآميدير Amudir:

هي عبارة عن جبال و سلاسل تمثل إمتداد إلى الغرب للطاسيلي ناجر، أهم المناطق المعروفة بها هي إنخناقات آراك و تكومبارت مكونة من ركامات لجلاميد صخرية ضخمة غنية بالنقاط المائية حيث تنتشر بها عدة ينابيع كبريتية.

6-**تاسيليات الجنـوب:**

تنتشر على هيئة حزام إقليم الهقار و هي عبارة عن مجاميع كتلية من الصخر الرملي الرسوبي، منفصلة فيما بينها بعدة كيلومترات و أهم مثال عنها هو تاسيلي تيمسا الذي يمتد على طول 60 كلم و على عرض 40 كلم أما تاسيلي تين غرهو في الجنوب الشرقي

7- منطقة إجيري egéré تحتوي الكثير من العروق والاحواض [34]

8- منطقة لاوني الواقعة جنوب تمنراست لا توجد فيها الكثير من التضاريس.

---

[34]Jean Fabre, op cit.p 89



لوحة رقم 03 : الكتلة الجبلية للهوقار ذات التكوين البركاني



اللوحة رقم 04: تضاريس صخرية من الحجر الرملي في الهوقار

المناخ القديم في الصحراء الوسطى :

قسم الباحثين الزمن الرابع* إلى فترتين زمنيتين غير متساويتين الأولى تدعى البلايستوسان Pléistocène**والثانية تدعى الهلوسان halocène[35] الفاصل بينهما يصادف نهاية آخر عصر جليدي وقبل بداية المناخ الأنسب أي في حوالي 9800 قبل الميلاد[36] ، وهناك اختلاف بين الباحثيين في تحديد تاريخ بداية الهلوسان فقد حدد الباحث جون لوكلاك بدايته بتاريخ يعود إلى10آلاف سنة حيث انتهت المرحلة الجافة التي أعقبت البلاستوسان، يقول الباحث بابكرسال Babacar sallعن هذه المرحلة الجافة أنها ظهرت منذ حوالي 19ألف سنة قبل الميلاد، انتشرت أثناءها صحراء كبرى تدعى في الأوساط العلمية باسم "الصحراء الجليدية" غطت الجزء الشمالي من إفريقيا ، وهذه المرحلة الجافة سبقتها مرحلة رطبة تسمى المرحلة الرطبة العاترية بين 38 ألف و19ألف سنة قبل الميلاد[37]، وهي التي شهدت فيها المنطقة امتداد الحضارة العاترية[38]، ويعد زوال هذه الحضارة وهجرة الإنسان من المنطقة نتيجة للجفاف الذي ضربها ،حيث امتدت صحراء أكثر من الصحراء الحالية فقد وصلت الكثبان الرملية إلى الصحراء الجنوبية ، أي بين 10°و12°شمالا واستمرت لعدة ألاف من السنين ، ويعتقد أنها بدأت في الانحصار تدريجيا ابتداء من 10500 ق م[39].

باختفاء هذه الصحراء الباردة عرفت منطقة شمال إفريقيا تواجد بشري كبير، ويبدو أن الرطوبة أصبحت كبيرة بين 10500ق م و8000 ق م حيثظهرت بحيرات جديدة كما اتسعت بحيرة تشاد بشكل كبير على حد تعبير الباحث روباركورنوفا R.cornovin[40]وهذه المعلومات حصل عليها العلماء من خلال دراسة ترسبات الأنهار والبحيرات التي أعطت

---

*الزمن الرابع quaternaire هو أخر طور جليدي للأرض عمره بين 2 و3 مليون سنة ينظر :
M hachid (1998) tassili –n-Ajjer au source de l'histoire il y a 50 siècle avant les pyramids. Edition paris –méditerranée,france :p304.

**البلايستوسانPléistocène هي الفترة الأولى من الزمن الرابع وهي الأطول تبدأ من بداية الزمن الرابع حوالي 3مليون سنة وتنتهي في حدود 9800 ق م، ينقسم إلى ثلاثة فترات هي البلايستوسان الأسفل والأوسط والأعلى
ينظر: محمد سحنونى (1990) ماقبل التاريخ ،ديوان المطبوعات الجامعية :الجزائر ،ص12.

[35]الهلوسان هو الفرع الجيولوجي الحديث من الزمن الرابع بدا مع نهاية المرحلة الجليدية المسماة الفورم wŭrm قبل 10 ألاف سنة ، ينظر:M hachid (1998) op.cit.p304.

[36]سحنونى ، المرجع السابق،ص.12

[37]Babacar sall « hommes et culures du sahara ancien» revue ankh,n°6/7 1997-1998 pp121-137.

[38] الحضارة العاترية Atérien نسبة إلى موقع بئر العاتر 90كلمتر جنوب تبسة ،وجدت به بقايا مهمة من رؤوس السهام وأدوات أخرى، ينظر:
Serge lancel(2003) l'Algérie antique de Massinissa à saint augustin ,Edition mengés paris:p254.

[39] Pierre rognon (1989) «les périodes arides au sahara durant le dernier cycle climatique » dans l'homme maghrébin et son environnement depuis 10000 ans», acte colloqueinternational de maghnia du 27-30 novembre 1989[dir] , A, ben naoum,p11.

[40]Robert.cornovin (1964) l'histoire de l'afrique des origine à la deuxième guerre mondiale,paris: Petit bibliothèque payot p13.

أدلة للباحثين عن التغيرات المناخية في الصحراء ،مثلوادي الساورة الذي يعد موقعا مثاليا لهذه الدراسات فقد قام الباحثة هانريت اليمان H-allimmen سنة 1950 بدراسة التوضعات والترسبات في هذا الوادي[41]،ويبدو أن مرحلة الجفاف قد انتهت في حدود 10آلاف سنة مضت وهذا التاريخ يمثل بداية الهلوسان بالنسبة لجون لوكلاك [42]أما مليكة حشيد فتقول: إن الرطوبة عادت إلى الصحراء بين 13000 و12000 سنة مضت [43] وهي تختلف حسب المناطق وقد أكدتأن الصحراء كادت تفرغ من سكانها بسبب الجفاف الذي إستمر لعدة آلاف من السنين،ربما هذا ما يفسر فقدان بقايا الإنسان والحيوان في الطبقة الأثرية قبل مستوىالعصر الحجري الحديث néolithique[44]في موقع هام في التاسيلى وهوكهف تين هناكتن[45] حيث يقولڤوتيyves gauthier أنالطبقة الأثرية التي تعود إلى مستوى أدنى من العصر الحجري الحديث خالية تماما من البقايا الإنسانية والحيوانية [46].

ولكن إلى أي درجة كانت الصحراء خالية من السكان ؟ فإذا عرفنا أن المرحلة الجافة كانت درجة الحرارة فيها منخفضة ،والأرض كانت رطبة ومغطاة بالنبات أكثر مما هي عليه اليوم إلا أن الجو كان مشحونا بالغبار خاصة في شمال الصحراء[47].

لم يتمكن العلماء من تأكيد ذلك فربما قد تجيب الأبحاث الأثرية في السنوات المقبلة على مثل هذا التساؤلات ،ومهما يكن من أمر فإن الأمطار عادت إلى الهطول وعاد معها السكان إلى الصحراء ،حيث أصبح المناخ مثاليا في حوالي 8000 ق م، ثم تعرضت الصحراء لخطر الجفاف مرة أخرى لكن هذا الجفاف لم يستمر لأكثر من ألف سنة وهو يختلف من منطقة لأخرى[48]،عودة الأمطار هذه المرة كانت في حوالي 4500 ق م حيث استمر هذا الجفاف حوالي ألف سنة من 5500 إلى 4500 ق م، وتستمر التذبذبات المناخية في الصحراء حيث في حوالي2500 ق م تحدث مرحلة جفاف أخرى تدوم ألف سنة بين2500و1500ق. م،وبين 1500 و1000 ق م تعود الأمطار في مرحلة رطبة قصيرة تدوم

---

[41]سحنوني، المرجع السابق. ص 20

[42]J-L Le Quellec (2006) «L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara centralDurant l'Holocène.». In M'hammed Hassine Fantar (Ed.), *Le Sahara et l'Homme: un savoirPour un savoir-faire. Actes du colloque organisé à Douz du 27 au 29 décembre 2003*,Tunis: Université de Tunis El Manar, p110.

[43]M hachid (1998) op.cit. p168.

[44]النيوليتي أو العصر الحجري الحديث néolithiqueيأتي من الكلمة الاغريقية niosوتعني الجديد وlithos وتعني الحجارةتصبح الكلمة عصر الحجارة الجديدن ظهر منذ ما يقرب من 9000 سنة قبل الميلاد ، وهو في الصحراء أبكر بعدة ألاف من السنين عن شمال افريقيا و يتميز بالاقتصاد الإنتاجي:الاستئناس ،الزراعة، الفخار ،الاستقرار البشري ينظر: M hachid (1998) op.cit.pp304-305

[45] حول كهف تين هنكاتن ومختلف الاكتشافات ومستوياتها ينظر :سميرة عمراني، دراسة اركيوباليونولوجية لأوساط الهلوسان بمنطقة تين هناكاتن، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار جامعة الجزائر2002،ص ص 61-67.

[46]Yves gauthier 2000 «Algérie et Libye sanctuaire de l'art rupestre saharien», les lettres de clio ,juin2000:http:www.clio.fr.

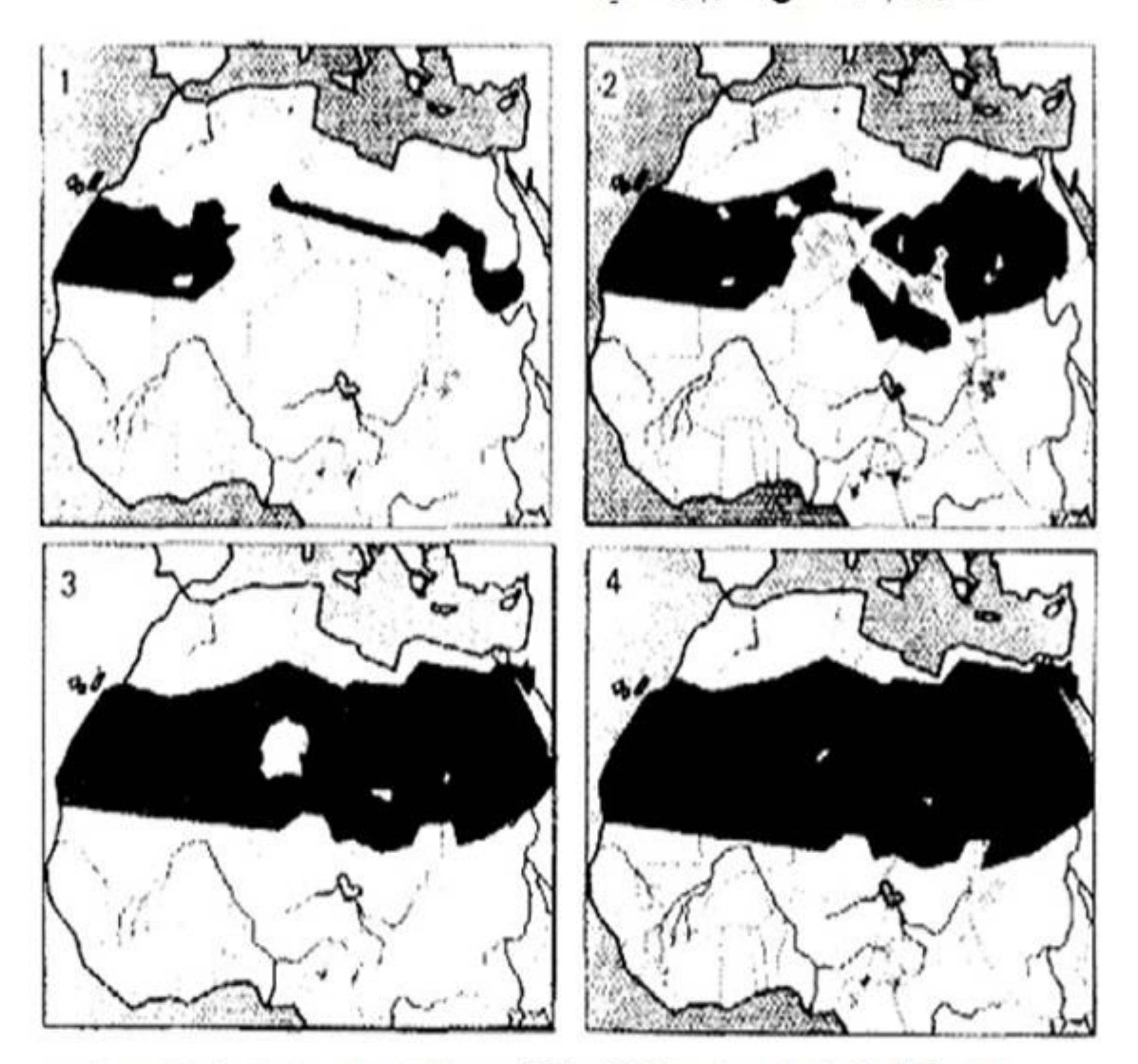
[47]Pierre rognon (1989) op.cit.pp12-13.

[48]J L Le Quellec (2006)«L'adaptation…» op.cit.p110.

خمسمائة سنة يليها الجفاف الذي يتزايد تدريجيا ليكرس المناخ الحالي[49] ، وعموما فإن هناك اختلاف بين الباحثين حول المراحل الرطبة والجافة في الصحراء حيث تعطي مليكة حشيد نتائج مختلفة فيما يخص بداية الهلوسان وكذا تاريخ المرحلة الرطبة للعصر الحجري الحديث و المرحلة الجافة بعده[50].

[49] J L Le Quellec (1998).Op.Cit.P 164.
[50] M hachid (1998) op.cit.p p109-113.

الشكل رقم 2 : المناخ القديم والحالي



الخريطة رقم 1: الفترة الزمنية بين 8000- 6500ق م حيث كانت الصحراء يمتد في الجنوب الغربي وصولا الى المحيط الاطلسي على شريط واسع لكنها تتقلص في الجهات الوسطى فمنطقة الهوقار والطاسيلي تقع خارج نطاق الصحراء

الخريطة رقم 2: الفترة الزمنية بين 2000 ق م حتى 500 ق م حيث تتسع الصحراء في الشرق لتقترب من المناطق المتاخمة للبحر المتوسط في سواحل ليبيا بينما تظل منطقة التاسيلي خارج نطاق الصحراء .

الخريطة رقم 3 : امتداد الصحراء خلال الفترة القرطاجية الرومانية حيث تحيط الصحراء بمنطقة الهوقار والطاسيلي التي تبقى محتفضة بمناخ معتدل مختلف عن الصحراء.

الخريطة رقم 4 : يمثل الفترة الحالية حيث اصبحت منطقة الطاسيلي جزء من الصحراء الكبرى

Rudolph kuper (1978) «sahara 10000 jahre zwischen weide und wuste» museen der stadt koln.trad par charlotte von graffenried , p 114, fig 2.

ثالثا :تاريخ الأبحاث في التاسيلي :

قبل القرن 19 كانت المعلومات التي قدمها الجغرافيون والمؤرخون اليونان والرومان والرحالة العرب هي المعلومات المتداولة عن الصحراء ، وعلى الرغم من توغل بعض المغامرين الأوروبيين في الصحراء إلا أن رحلاتهم لم تكن ذات طابع علمي،وقد انفتح المجال أمام الاستكشافات الأوروبية بعد احتلال الجزائر [51] وأولى الكتابات عن الصحراء تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر منها كتاباتDuveyrie :1864و jacquot 1849.[52]

أما الاكتشافات حول الرسوم الصخرية فيعود الفضل فيها أولا إلى النقيب كورتي capitaine cortier الذي كشف رسوم وادي إيسون ملان عام 1909 ،[53] وبين سنوانت1920-1930أصبح الفن الصخري موضوعا للبحث من طرف ج ب م فلامند g.p.m.flamand(1921)حول الأطلس الصحراوي،[54] وكان تيودور مونو théodore monod قد قام بدراسة منطقة أهنات ahnet سنة 1932[55]وفي سنة 1935 قام موريس ريقاس بدراسة نقوش وادي جرات[56]،ثم بدأت أولى عمليات النسخ التي قام بها شارل بريان lieutenant brenans التي نشرها القس بروي l'abbé breuil سنة 1954 [57].

وفي سنة 1932 قام الإثنولوجي الألماني ليوفروبينوس Léo frobeniusباكتشافات في إدوا iddo وازاك أن إميران azak némiren[58]، ثم قام روبرت بيري rebert perret بتقسيم أعمال وادي جرات إلى ذات زنجار أسود وذات زنجار أحمر وقد كان هنري لوت معه في هذه الحملة[59] ،في نفس الفترة قام ريموند فوفري raymond voufréy بدراسة الفن الصخري إلا أن أهم الأعمال في الثلاثينات كانت إكتشافات الملازم بريان lieutenent brenans ،وبعد الحرب العالمية الثانية قام القس بروي مع تلميذه هنري لوت باكتشاف ثمانية مواقع للفن الصخري عرضت في ملتقى ما قبل التاريخ المنعقد بالجزائر سنة 1952 وبما أن القس بروي كان كبيرا في السن فقد كلف الباحث الشاب هنري لوت بالتنقل إلى الصحراء وبين 1950 و1951 قامت الباحثة السويسرية يولاندا تشودي

---

[51]حول كتابات المؤرخين العرب و المسلمين عن الصحراء ينظر: بشي المرجع السابق، ج 1، ص ص 40- 43، وحول المستكشفين الأوربيين ينظر: إسماعيل العربي،المرجع السابق، ص ص 73-82 وينظر أيضا:

j dubief , op.cit. pp 61-140, M hachid (1998) op.cit. pp171-172 .

[52]Christian dupuy (2007) «sous zone 2 algerie –tunisie» ICOMOS 2007 UNISCO, p29

[53]J l le Quellec (1998) op.cit. pp 152-153

[54]Christian dupuy(2007)«sous zone 2…»op.cit. p29.

[55] J l le Quellec (1998) op.cit. p 153.

[56]Ibid pp 155-156, M hachid (1998) op.cit. p 173.

[57]J l le Quellec (1998) op.cit. p 153.

[58]M hachid(1998) op.cit.p 173.

[59]H lhote (1976) vers d'autre tassilis, paris: editions arthaud, p 12.

Yolandatschudiبدراسة واكتشاف مواقع تاشيكيلاوت tachekelaout وأوان بندي وتين تزاريفت ومواقع أخرى ونشرت أعمالها سنة 1956 (60) .

في نفس السنة تمكن هنري لوت من تنظيم أول رحلة له وقام بإحضار فرقة من الرسامين لرفع الرسومات من مواقع وادي إيدو، تين بجاج ، تين زوميتاك وغيرها وقد نشر أعماله سنة 1958 (61) ، ومع أهمية إكتشافات يولاندا تشودي إلا أنها لم تكن مدوية مثل أعمال هنري لوت(62) ،نظم هنري لوت رحلات أخرى في أعوام1957،1969،1960، 1962، وكانت حملاته تدوم عدة أشهر فقد دامت الحملة الأولى مدة 16 شهرا (63) ،كما أن هنري لوت خصص حملة لوادي جرات ونشر أعماله في كتاب من جزأين عن نقوش وادي جرات سنة 1976 ، وكانت الاكتشافات كبيرة جدا، فقد شملت الحملة الأخيرة لسنة 1969 مناطق أهرير شمال الطاسيلي ومحطات تاهيلاهي إهيرن، ان تبوبقت، تين أبنهار تين خديجة ومناطق أخرى ونشرت سنة 1976 (64) .

ونتج عن ذلك ميلاد مشروع الحظيرة الوطنية للطاسيلي(65) الذي تم تحقيقه عام 1972، وإن كان لهنري لوت فضل كبيرا على اكتشاف ونشر الفن الصخري بالطاسيلي فإنه لا يجب أن ننسى ذلك الرجل الذي له الفضل في اكتشاف الرسوم الصخرية و هو أحد الطوارق من كيل مداك واسمه الكامل ماشار جبرين حاج محمد Machar ag mohamed djebrine لكنه يعرف باسم جبرين(66).

وبعد تأسيس الحظيرة الوطنية للتاسيلي إنتهت مرحلة الحملات الكبرى، إلا أن العمل إستمر بالحملات الصغرى ، أما في الفترة الأخيرة فقد ظهرت أبحاث متخصصة وانصبالاهتمامعلى مواضع الفن الصخري وتفسيراتها المختلفة، وبالنسبة لمرحلة الرؤوس المستديرة فإن الكثير من الباحثين ينظرون إلى خصوصية هذا الفن والمعاني الروحية التي تضمنها، ومن الباحثين المختصين بهذه المرحلة نذكر: ميشال توفرو M tauveron وإمبرتو سانسوني Umberto sansoni، كما أن فرانسو سولاهافوبfsoleilhavaup أبدى اهتماما بهذه المرحلة وقدم العديد من المقالات بهذا الشأن ،بالإضافة إلى باحثين آخرين منهم الزوجين هالي ulrich hallier et brigite c hallier وجون لوكلاك وجينات اوماسب .

شارك الباحثون الجزائريون إلى جانب الأجانب في عملية البحث، فقد شارك نجيب فرحات مع ميشال توفرو في أبحاث في منطقة تادرارت الجنوبية ، كما قدمت مليكة حشيد

---

(60)M hachid (1998) op.cit. p 174.

(61)H lhote (1958) *A la découverte des fresques de tassili.*: Paris, Arthaud, pp29, 38.

(62)H lhote (1958)op.cit.pp34-35, H lhote (1976) vers …op.cit.pp12-13.

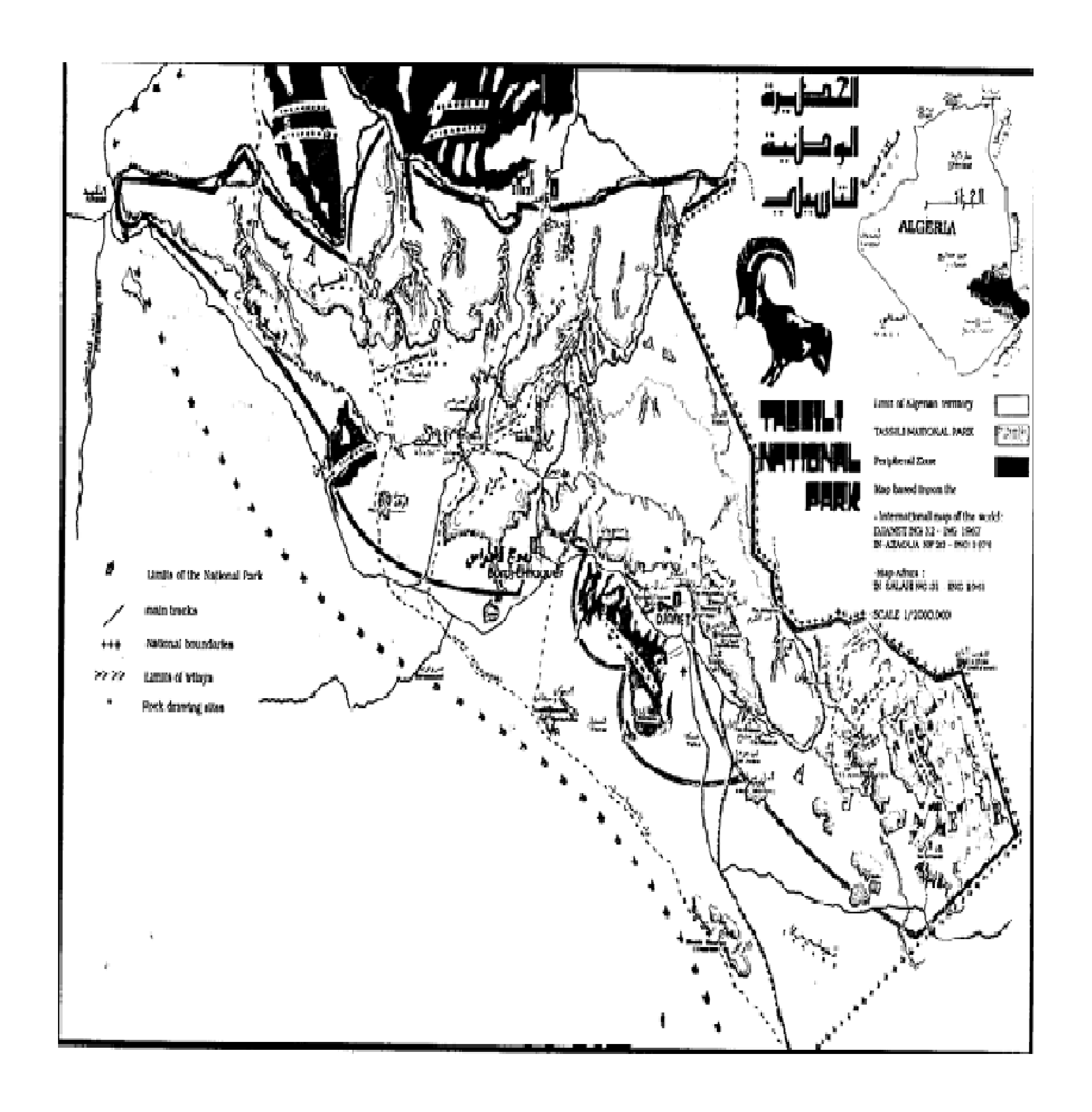
(63) عن الحملة الأولى ينظر: H lhote (1958) op.cit.pp 204-205

(64)H lhote(1976) les gravures rupestre de l'oued djeret, 2vol , mémoire de CRAPE, n°25, 1976.

(65) قانون رقم 72 178 بتاريخ 26 جويلية 1972 الجريدة الرسمية بتاريخ 26 جويلية .1972.

(66)M hachid (1998) op.cit. pp 176-178.

دراسات عن الأطلس الصحراوي ونشرت أعمالها سنة1983 ، وقدمت دراسات هامة عن الطاسيلي في سنوات 1998و 2000 ، وقد إهتم الباحث حاشي سليمان بالجانب الانثروبولوجي، أما سليم شاكر فقد إهتم بالفن الصخري لمرحلة الحصان والعربة وبالنقوش الليبية البربرية خصوصا ومن الباحثين الجزائريين نذكر أيضا نجيب فرحات الذي نشر أبحاثابين سنوات 1996و1997عن الفن الصخري وعن مقبرة منخور *Mankhor*، وكذلك الباحثة يسمينة شايد سعودي وغيرهم.



الشكل رقم 3 0: خريطة لتضاريس وحدود التاسيلي

المصدر: الحظيرة الوطنية للطاسيلي

carte internationale du monde djanat NG 1967 , In-azoua nf 23-ING1976

Carte de l'afrique :in-salah

NG31 –ING1961, echelle 1/2000,000

تاريخ الاستقرار البشري في الصحراء الوسطى :

تميز التاريخ الانساني بأربعة مراحل من التحولات الاساسية كل تحول كان يحدث إنقلاب شاملا في حياة الانسان ، واقدم تحول حدث في مطلع البلايستوسين الاعلى أي منذ 40الف سنة إلى 10الاف سنة قبل الميلاد ،حيث تشير الدلائل الى إنفصال الانسان عن الحيوانات وتكيفه مع البيئة فقد اصبح يستغل البيئة لصالحه وقد إصطلح على تسمية تلك التغيرات بإسم الثورة الباليوليتية paliolithic اي ثقافة العصر الحجري القديم والتي تم تقسيمها الى ثلاثة عصور هي الباليوليتي الأدنى والاوسط والأعلى.

والتحول الثاني حدث في أواخر الالف التاسعة قبل الميلاد قد ادى هذا التحول إلى هزة كبيرة في تاريخ البشرية أصطلح على تسميته بإسم الثورة النيوليتية الإنتاجية وقد حدثت بتأثير ثلاثة عوامل هي الاستقرار في الارض وبناء أولى المستوطنات البشرية ثم أكتشاف الزراعة وبداية تدجين الماشية ثم صنع الفخار* وقد أعطى هذا التحول دفعة قوية للتطور الانساني حيث مهد لقيام الحضارات الكبرى في العصور القديمة ، والتحول الثالث تمثل في ظهور المدن** حيث سمي بالثورة المدنية وقد كانت مناطق الشرق الادني لها الفضل في ظهور أولى المدن، اما التحول الرابع في تاريخ الانسانية فهو الثورة الصناعية التي حدثت في القرن التاسع عشر[67] .

الانسان العاقل في شمال افريقيا : يقدر ايمانويل اناتي ظهور الانسان العاقل في إفريقيا بحوالى 180 الف سنة وهوينحدر من نفس المكان الذي وجدت فيه البقايا البشرية الاولى في موقع ألدوفايolduvaï بتنزانيا[68] ، وكانت موجات بشرية أخرى قد قدمت من إفريقيا من بينها موجة الانسان الماهر homo habilis، والذي غالبا ما يكون قد عاش في فترة بين 2.5 مليون سنة الى غاية 1 مليون سنة ،وموجة

---

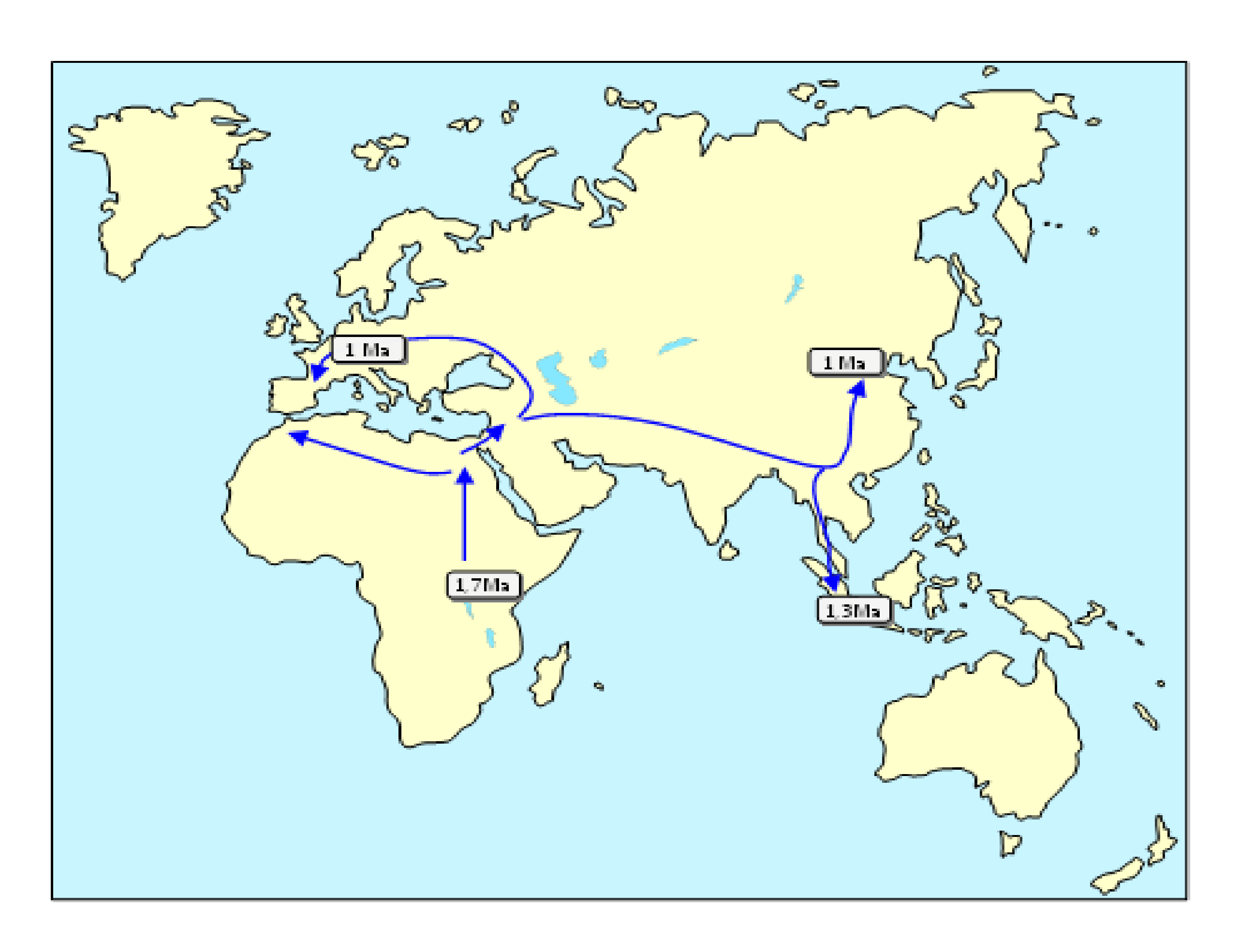
* قد تكون الصحراء الوسطى اقدم منطقة في العالم في صنع الفخار ، اما اكتشاف الزراعة ففى منطقة غير بعيدة عن وادي النيل ولكنها ضمن المناطق الصحراوية فهي واحة نبتا بلايا في الصحراء غرب مصر وكان يعتقد ان بلاد الرافدين هي اول المناطق التي ظهرت فيها الثورة النيوليتية حيث يعتقد الباحث طه باقر أن إنتاج الغذاء كان في العراق ومصر قبل غيره من المناطق (انظر طه باقر(1955) مقدمة في تارخ الفرات القديم ، ص 31، غير ان دراسات حديثة اثبتت ان الصحراء كانت مركزا سكانيا كبير في فترة ماقبل التاريخ ، وإن كانت أقدمية الفخار الصحراوي على الشرق الادنى مؤكدة ، فان إكتشاف الزراعة غير مؤكد في ضوء قلة تواريخ الراديوكربون .

** أولى المدن ظهرت في سومر في بلاد الرافدين ،اما أولى القرى الكبيرة فقد ظهرت في فلسطين خلال الالف العاشر والتاسع قبل الميلاد وقد اعتبرت منطقة فلسطين ونهرالاردن من الاماكن الاولى للتجمعات السكانية المستقرة وشكلت تلك الستوطنات البشرية قرى في مطلع الالف التاسع وقد شملت المنطقة حضارة عرفت بالحضارة النطوفية التي ظهر مركزها حول وادي النطوف في فلسطين، و تلك المستوطنات كانت بها عشرات البيوت ذات الاساسات والارضيات المرصوفة ، ومع نهاية الالف التاسع قبل الميلاد إنتهت الحضارة النطوفية وهجرت القرى، لكن قرى أكثر حجما مالبثب ان تطورت على أنقاظ تلك المستوطنات النطوفية فقرية أريحا ظهرت كمستوطنة بشرية منذ حوالي 8350 ق م وإستمرت آهلة بالسكان حتى 7350 قبل الميلاد حسب تواريخ الراديوكربون وقد إكتشف سور محيط بالمدينة وعثر على دلائل التجارة مع الانضوال وقد وصل عدد سكانها من خلال اعداد البيوت إى ما يزيد عن 2000نسمة وهي اكثر بكثير من مواقع الاستقرار النطوفية التي كانت لاتزيد عن 300 نسمة، أنظر : فراس السواح (2002) لغز عشتار الالوهة المأنثة وأصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين دمشق ، ط8، ص ص 16-19.

[67]فراس السواح (2002) لغز عشتار الالوهة المأنثة وأصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين دمشق ، ط8، ص15

[68]E Anati (1999), La Religion Des Origines , Trad Patrick Michel ,Paris:.Editions Bayard .n°2, p18-19.

الانسان المعتدل التي تعود إلى مايقرب من1,7مليون سنة وربما اقدم ، وبصفة عامة فأن أقدم الانواع الآدمية تعود إلى أكثر من 2مليون سنة، بينما أشباه الانسان المتفرعين من فصيلة الرئيسيات تعود إلى فترة أقدم ، ففي منطقة شرق افريقيا دائما وجدت بقايا بشرية تعود لانسان australopithèque*ويطلق عليه الانسان القرديعود الى ما بين 3 ملايين و 700 سنة و 2 مليون سنة(69).



الشكل رقم 04 : هجرة الانسان المعتدل من إفريقيا عبر الزمن

المصدر :-http://nicole.rolin.pagesperso-orange.fr/prehistoire/Pages/Le%20peuplement%20de%20la%20terre.htm

*تنقسم عائلة الآدميات الى جنسين الجنس الاول وهو الاقدم يسمي أسطرلبتيكوس Australopithecusوالجنس اللثاني هو الانسان homoوكان اول إكتشاف لجنس أسترلبتكوس في جنوب افريقيا وسمي استرالبتكوس افريكانوسAustralopithecusafricanus ثم توسعت الاكتشافات ليظهر موقع الدوفاي السابق الذكر والذي أكتشفتفيه بقايا تعود الى جنس أسترالبتكوس والى جنس homoالانسان، انظر : محمد سحنوني(1990) ماقبل التاريخ، ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص47.

(69)Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord etdu sahara. Paris: Edition Doine،P7.

جنس الانسان يمثل عدة انواع منها الانسان الماهر homo habilis الذي أكتشفت مواقعه في الدوفاي بتنزانيا وفي كوبي فارا بكينيا وفي اثيوبيا وفي جنوب افريقيا ، والنوع الثاني يسمى الانسان المعتدل homo erectus وعلى عكس الانسان الماهر الذي وجد في شرق افريقيا فان الانسان المعتدل وجد في أنحاء مختلفة من العالم، في الصين ويسمى انسان بيكين وفي جزيرة جاوا وكذلك في الدوفاي بتنزانيا وفي بحيرة توركانا بكينيا تؤرخ بقياه الاولى ب8, 1 مليون سنة، وقد أكتشفت بقاياه في بلاد المغرب ويسمي إنسان الاطلس عثر عليه في تغنيف بمعسكر وفي موقع الرباط الا ان حضارته تمتد الى كل أنحاء شمال افريقيا وقد أرخت بقاياه في تغنيف بحوالى 0,7 مليون سنة وفي الرباط بحوالي 120 الف سنة[70].



الشكل رقم 05 : فك سفلي لإنسان تغنيف وهو ينتمي إلى الانسان المعتدل الموريطاني Atlanthopus mauritanicus إكتشفته كاميل أرامبورغ c arambourg

المصدر: Aumassip g(2001), L'Algérie des premiers hommes Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme, 2001,paris , p25,Lional blout (1955)prehistoire de l'afrique…op.cit.p115

[70]محمد سحنوني(1990) المرجع السابق ، ص ص52-57.

والنوع الثالث هو الانسان العاقل وهو يحتوي على نوعين ، الاول وهو الاقدم يسمي الانسان العاقل النياندرتالي*sapien néanderthalensisوهو يلي إنسان نيادرتال في الزمن ، والنوع الثاني هو الانسان العاقل – العاقلsapien –sapien (71) وبظهور هذه الانواع الانسانية بدأ الانسان في التفكير في المعتقدات ، حيث ظهرت أولى عمليات الدفن لدى النيادرتاليين .

يعتبر إنسان نيادرتال مسؤولا عن الحضارة الموستيرية التي ظهرت في شمال إفريقيا في فترة ما بين 60 ألف و 40 ألف ، بينما هي في أوربا وفي شرق إفريقيا أقدم بكثير منها في شمال إفريقيا، وقد عثر على بقاياه في كهف جبل إرحودبالمغرب الاقصى ، وقد دلت المواصفات التي تميز بها على تطور للانسان في شمال افريقيا بشكل مختلف عن بقايا انسان نيادرتال في أوربا.

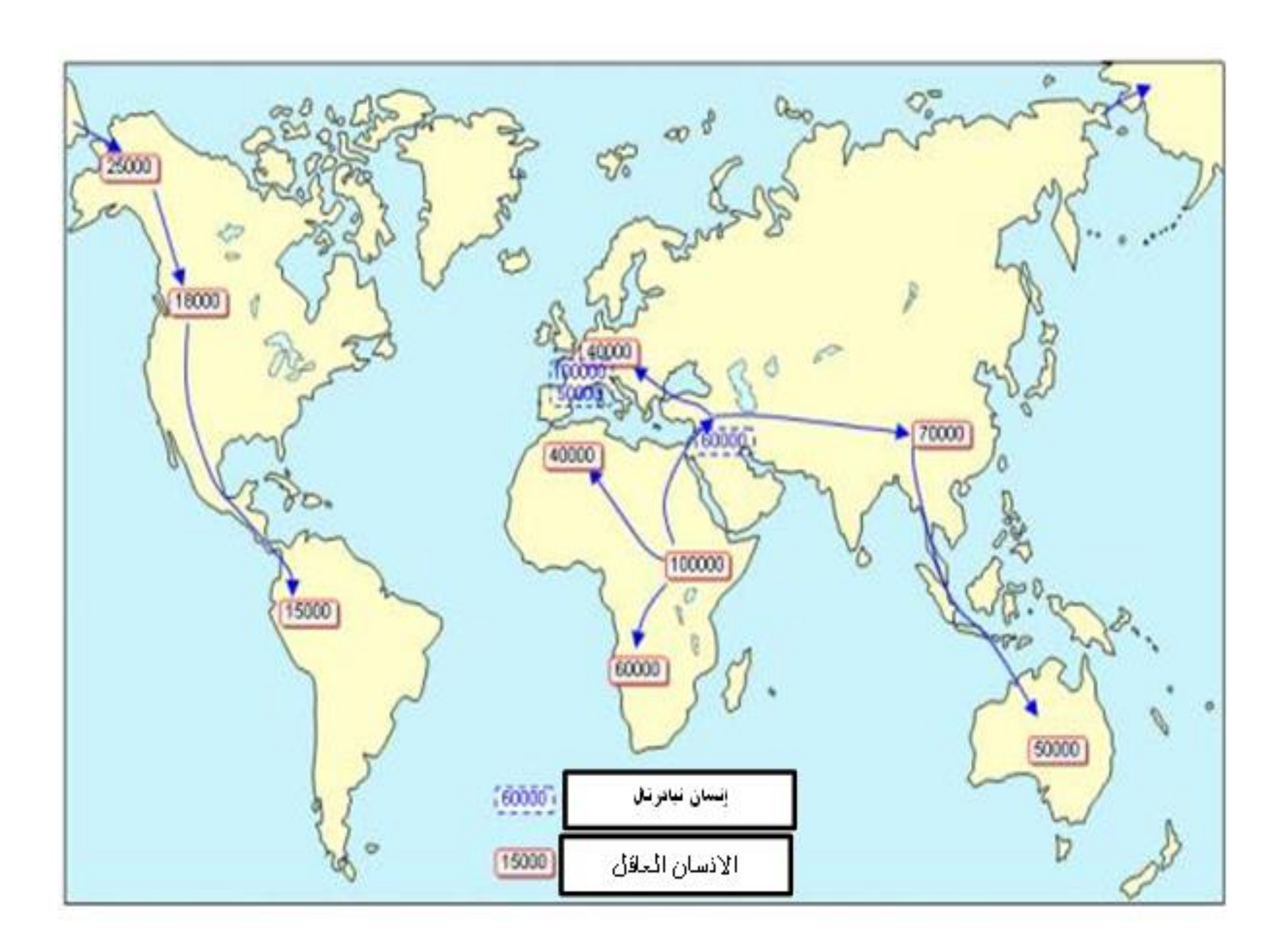


الشكل رقم 06

جمجمة إنسان جبل إرحود في المغرب الاقصى وهو ينتمي إلى الانسان النيادرتالي

*يختلف الانسان النيادرتالي عن الانسان العاقل فهو الاول من حيث الزمن كما أن قدرته العقلية محدودة مقارنة بالانسان العاقل وهو لا يعيش في مجموعات كبيرة كما أن له عادات وحشية على عكس الانسان العاقل ، ويتميزأيضا انه قصير القامة مفتول العضلات وأشعري الجسم

(71)محمد سحنوني(1990) ماقبل التاريخ ،ديوان الطبوعات الجامعية ،الجزائر ، ص61.



الشكل رقم 07 : **هجرة انسان نيادرتال والانسان العاقل من إفريقيا عبر الزمن**

المصدر :http://svt.ac-dijon.fr/schemassvt/article.php3?id_article=747

وكان لاكتشاف جمجمة إنسان نيادرتال في كهف هوافتيح وقع كبير بين الباحثين ، فهو شبيه بذلك الذي أكتشف في جبل الجليل بفلسطين وقد أكتشفه ماك بيرني سنة 1950[72]، وتعود بقايا النيادرتال الاولى إلى 400 ألف سنة وإستمر إلى 30 ألف سنة لكنها أرخت في موقع في جورجيا ب 28500 في موقع بيزافايا في الاورال ، بقاياه توجد في شمال إفريقيا في سيدي الزين ، عين محروثة في القيروان ، في القطار بقفصة ، في وادي عكريت بقابس ، وفي عين مترشم وسيدي منصور بقفصة وفي الجزائر وجد في موقع رتيمة قرب الشلف ورأس تنس ، وفي المغرب في تافوغالت (وجدة)، جبل أرحود بمنطقة صافي ، وكيفان بالغماري بتازة .

وبعد إنسان نيادرتال الموستيري ظهر الانسان العاقل العاتري والذي إكتشفت بقاياه في كهف الحرحورة بالمغرب الاقصى ، وقد إنتشرت بقاياه الحضارية في كامل أنحاء شمال إفريقيا وفي مصر وشبه الجزيرة العربية ومن الممكن أن بقاياه قد إمتدت أكثر في آسيا، ولا نستبعد أنها قد وصلت إلى أوربا أيضا .

[72]محمد الصغير غانم (2003)مواقع وحضارات ماقبل التاريخ ، ص78

أما الانسان العاقل العاقل sapiens– sapiensفقد وجدت بقاياه فيمناطق مختلفة من المنطقة وهو مسؤول عن حضارات العصر الحجري القديم المتأخر epipaléolithique الإيبيرومغربية والقفصية ، وينقسم الانسان العاقل العاقل في بلاد المغرب الى سلالتين ،الاولى هي سلالة إنسان مشتى أفالو وهو صاحب الحضارة الايبيرومغربية ,وإنسان ماقبل المتوسطي وهو صاحب الحضارة القفصية .



الشكل رقم 08 : جمجمة لإنسان المشتى الايبرومغربي على اليمين و لانسان ما قبل متوسطى القفصي على اليسار حيث يمكن ملاحظة عادة قلع الضرس الامامي للفك العلوي.

المصدر : Lional blout (1955)prehistoire de l'afrique du nord art et matières graphiques, paris ,p125

الدفن والمقابر:

من بين مظاهر الفكر الديني الاولى عند الانسان إستخدام العظام التي تتمثل في فكوك الحيوانات وقرون الغزلان التي إستخدمها كسلاح كأداة للقطع ، والمظهر الاخر هو الحصى التي يحصل عليها من تشذيب الحجارة وإستخدمها في أغراضه المختلفة[73]، وبعد إكتشافه للنار حدثت له تغيرات هامة فالنار كانت تشكل عاملا مهم في تطور الفكر الديني، وقد دلت الاثار على أن إنسان بيكين إستعمل النار في كهوفه الاولى في الصين ،وقد كان لظهور النار عاملا حركيا في القوى الدينية المميزة لهذا العصر ، فقد كانت النار أول مقدس إحتك به الانسان حيث حركت أولى النوازع الدينية عند الانسان [74].

وقد كان الانسان النيادرتالي ممثل الحضارة الموستيرية هو أول من عرف العبادة وفق ما يشير إليه معظم الباحثين ، حيث ظهرت دلائل على وجود عبادة الدببة في أوربا في فترة الحضارة الموستيرية كما عرف الإنسان الموستيرى الدفن فقد كان يدفن فى المغارات ويضع مع الميت حليه و سلاحه ، فإن الانسان العاقل قد عرف الدفن فقد وجدت عظام للإنسان في المواقع العاترية ، غير أن الدفن اصبح واضحا في فترة العصر الحجري القديم المتأخر الذي إزدهرت فيه الحضارة الابيرومغربية التي عرفت إستخداما واسعا للعظام ، ثم تلتها الحضارة القفصية .

من جهة ثانية فالدليل الذي لا يحمل الشك جاءنا من القرآن الكريم[75] فقد كان الانسان الاول وهو آدم عليه السلام هو أول من مارس العبادة ، كما أن أحد ولديه قد قتل الآخر فأرسل الله تعالى غراب ليريه كيف يدفن اخيه ، حيث قال تعالى:" فَبَعَثَ اللَّهُ غرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَة أَخِيهِ " (سورة المائدة31) .

وفي العصرالحجري الحديث كان الانسان يدفن موتاه في خنادق أو حفر محاطة بحجارة على شكل أضرحة،وهو ما نجده في موقع كلومناطة بتيارت، وموقعالروازي بالصخيرات الذي يقع على بعد 30كلم من الرباط ، حيث تم إكتشاف العشرات من الهياكل العظمية [76] ، بالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت في معالم جنائزية محضة بحيث تكون هذه الفترة مقابر واسعة مثل مقبرة بونوارة ومقبرة الركنية ومقبرة سفيان ومقبرة إيشوكان بالجزائر الشرقية ، ومايميز العصر الحجري الحديث هو بروز الطقوس الجنائزية كطلاء الجثث والتعرية من اللحم ووضع الادوات الجنائزية مع الميت .

---

[73]خزعل الماجدي (1997) ، معتقدات ما قبل التاريخ ، دار الشروق ، بيروت ، ص35

[74]المرجع نفسه ، ص 36

[75]لا تزال هناك الكثير من التساؤلات حول نظرية التطور تحتاج إلى الكثيرمن التمحيص ، فالدين يرفض هذه النظرية جملة وتفصيلا ، لذلك يحتاج هذا الموضوع إلى البحث لإيجاد رؤية مشتركة ، تضع حدا للتعارض بين العلم والدين .

[76]CadenatP., (1955) , Nouvelles fouilles à Columnata. Campagne de 1954-55. Libyca, t. III, pp. 263-285.

كان الانسان يدفن موتاه قرب الاماكن التي كان يعيش فيها ، او تحتها فالكهوف والمغارات كانت بمثابة مقابر للانسان [77] ،أما وضعيات الدفن فهي متعددة فقد كانت الجثث تطوى أو تحزم مستلقية على الظهرأو في وضعية جانبية ، وتكون الاعضاء مطوية بشدة ،كما كان يتم التعرية من اللحم واحيانا كانت عظام مختلفة متناثرة عشوائيا فوق الجثة مما يدل على أنه يتم دفن أكثر من شخص في القبر الوحد[78].

ففي موقع افالو بورمال تم إكتشاف حوالي 48 جثة في وضعية منطوية كما وجدت بعض الجثث في وضعية ممدودة [79] ، وفي موقع تازة التابعة لبلدية زيامة منصورية بجيجل وجدت مدافن بها عظام مبعثرة [80]، وفي تافوغالت بالمغرب الاقصى وجدت مدافن ذات وضعيات دفن مختلفة بها عدد كبير من الجثث مما يدل على وجود ظاهرة الدفن الجماعي لاكثر من جثة في مقبرة واحدة [81] ، وفي موقع افري نبارودالموجود بالريف الشرقي للمغرب الأقصى،حيث تم إكتشاف جثث مدفونة في وضعية جالسة[82] (أنظر الشكل 09) .

ونستنتج من ذلك عدم وجود طريقة واحدة للدفن في بلاد المغرب فالحضارة القفصية وجدت فيها الوضعية المتقلصة وتفكيك العظام وكذلك وضعيات مختلفة للمفاصل والايادي في بعض الاحياء موضوعة على الصدر (انظر الشكل 09)، اما طلاء الجثث بالمغرة فقد كان ممارسا عندهم أيضا ، غير أن أبرز ما نلاحظه هو تشويه أو إقتلاع الضرس خاصة القواطع بطريقة مختلفة عن طريقة الايبرومغربين وذلك لان قلع الضرس إنما يخص الانثى فقط والامر يتعلق بالفك السفلي فقط[83].أما الايبيرومغربين فقد فقد كانوا يقومون بتشويه قواطع الفك السفلي [84]مما يدل على نوع من المعتقدات الدينية .

أما في الآهقار و الطاسيلي– نازجر، تم تنقيب عن أشكال من المدافن من نوع الجثى و معالم جنائزية أخرى هائلة، و تم تأريخها إلى أكثر ما يزيد عن 5000 سنة قبل الحاضر، منها موقع لوني

---

[77]Camps G (1961), Monuments Et Rites Funéraires Protohistoriques, Paris: A M G ,Presse De La S R I P,p463.
[78]Camps G (1961), Monuments Et Rites Funéraires Protohistoriques, p464.
[79]Arambourg C., Boule M., Vallois H. et Verneau R., 1913. - Les grottes des Beni-Seghouals (Algérie). Arch. de l'I.P.H, Paris, Mém. n° 13, p 57.

[80]Derradji A. et al, 2003.- Algérie, deux millions d'années d'histoire : Les premiers habitants. Exposition dans le cadre de l'Année de l'Algérie en France .Edit. Oscar graphique, Alger, p 59.
[81]Ferembach D., 1962. - La nécropole épipaléolithique de Taforalt (Maroc orientale). Etude des squelettes humains. Rabat, C.N.R.S, p175 .
[82]Ben Ncer A., 2004.- Etude de la sépulture ibéromaurusienne 1 d'Ifri n'Baroud (Rif oriental, Maroc). B.M.S A.P., t. 7, pp : 177 -185
[83]محمد سحنوني(1990) المرجع السابق ،ص124
[84]المرجع نفسه ، ص119

بالآهقار حيث قام ج ب ماتر J. P. Maître بتنقيب عن الجثوة و أرخت بحوالي 3105 سنة قبل الميلاد[85]،كما قدّمت أبحاث حديثة المعالم الجنائزية لآهقار ، تم فيها تصنيف و تعريف المعالم الجنائزية في مناطق الآهقار[86].

تذكر الباحثة ماري كلود شاملة أننا لا نستطيع أن نحصل على معلومات دقيقة فيما يخص طرقة الدفن أو وضعية الجسم ، ومن خلال دراسة العديد من المواقع يمكن القول أن هناك إختلاف في الدفن من وضعية الى أخرى ، خاصة الوضعية الجانبية الى الجهة اليمنى والاطراف السفلية ملوية وهذه الوضعية ظلت منتشرة لدى الشعوب الصحراوية في فجر التاريخ أيضا ، وفي بعض المواقع الاطراف العلوية ملوية الى نحو الراس أو الوجه او تحت الرأس ، كما في موقع آخر في كاركاريشيناكت Kerkarichinkat وموقع في تمنراست tamanrasset وموقع تساليت tassalitوموقع القطارة el guettara.أما في تين لالو tin lalou الجثة التي تعود لإمرأة مستلقية على بطنها والوجه باتجاه التربة[87]. إن الأهمية التي تحظى بها عملية الدفن مع الاثاث المدفني من الأواني الفخارية و الحلي و الأسلحة و غيرها التي كانت تحيطه في حياته الدنيا، تِؤكد فكر الميت و إيمانه بحياة أخرى بعد الموت والتي سيحتاج إليها، و المدفن سواء كان فرديا أو جماعيا فإنه يعتبر إبرازا لمعتقد ديني و شعائري و رابطة موجودة ما بين المتوفى و الأحياء.

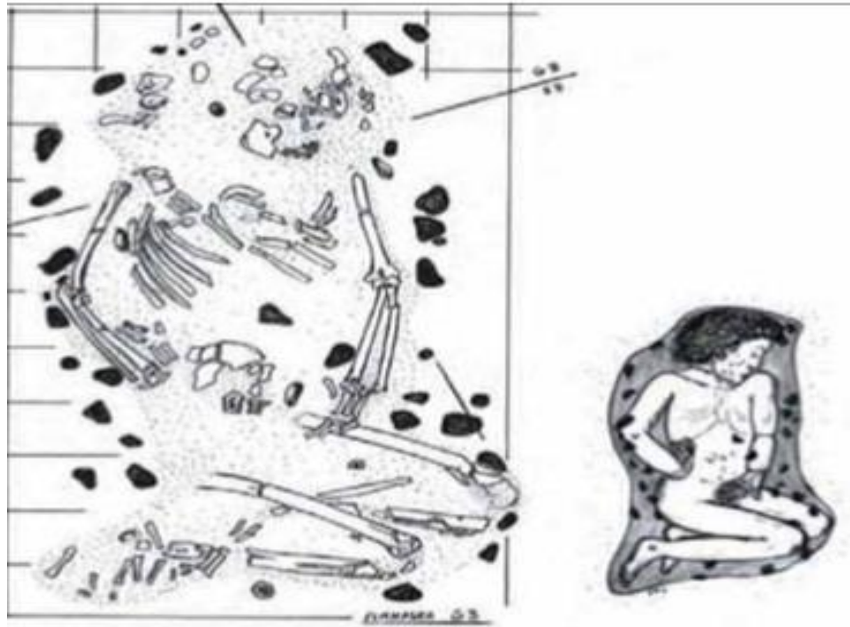
---

[85]Maître J.P.,(1971) Contribution à la préhistoire de l'Ahaggar. Téfedest centrale, Edit. A.M Paris, Mém. du C.R.A.P.E, n° XVII, p. 75.G

[86]Haddouche A., 2004.- Notes sur les monuments funéraires de l’Ahaggar. Annales du M.NA n° 13, pp : 5-22

[87]Chamla M C (1968),op.cit. p15





الشكل رقم 09: طرق الدفن في شمال إفريقيا

الدفن بالوضعية الجنينية الصورة في الاعلى تمثل زوجان مقابل بعضهما ، في مقبرة قاستيل في الشرق الجزائري.

G. Camps, (2001)« Inhumation temps protohistoriques, », in *Encyclopédie berbère, 24 | Ida – Issamadanen*, p. 3744

وفي الاسفل جثة مدفونة بوضعية الجلوس في كهف الحرحورة بالمغرب الاقصى

M. A. El Hajraoui, R. Nespoulet, A. Debénath Et H. L. Dibble Préhistoire De La Région De Rabat-Témaravilles Et Sites Archéologiques Du Maroc (V.E.S.A.M) Volume Iirabat – 2012,p126

الانتقال البشري والحضاري في العصر الحجري القديم :

إختلف الباحثون في تحديد بداية للزمن الرابع وفق للمقاييس التي يتم إعتمادها وهي : مقياس مستحاثي حيواني وإنساني ، ومقياس مناخي ، ومقياس جيوفيزيائي ، وبعد نقاش طويل تمكن العلماء من تحديد الزمن المقدر ب2.59 مليون سنة كبداية للزمن الرابع و ذلك في المؤتمر الجيولوجيون الدولي الذي انعقد في أستراليا 2007 ومؤتمر أوسلو 2008.

وقد إعتمد الكثير من الباحثين المقياس الانساني في تحديدهم لبداية الزمن الرابع بإعتباره زمن الانسان ، وهنا يذكر العلماء أن أولى التغيرات التي أحدثها الانسان على الطبيعة ، هي تلك التي حدثت في شرق إفريقيا ، والتي يعد الانسان شبه القردي (الاسترالوبتكوس) مسؤولا عنها ، وقد شملت مناطق عديدة من كينيا وتنزانيا وجنوب إفريقيا ، لكن شمال إفريقيا تحتوي على العديدمن المواقع لهذه الحضارة التي يطلق عليها حضارة الحصى المشذبة .

أقدم الحضارات الانسانية:

البلايستوسان الاسفل يتميز بثقافة الحصى لإنسان الاسترالبيثيك Australopithecinae(شبيه القرد) والانسان الماهر Homo habilis والصناعة الاشولية ، ويتناسب البلايستوسان الاسفل مع فترات جليدية قونز– وريس Gunz–Riss أي ما بين 1.000.000 و 150.000 سنة قبل الحاضر [88] .

قام الانسان بصناعة أدواته الحجرية بواسطة تشظية النواة الحجرية أولاً ثم معالجها مرة أخرى لصنع أي أداة أخرى وقد قام بصنع معظم أدواته من قطع الصوان أو من الكوارتز فى شرق أفريقيا، أما أقدم الحضارة الإنسانية في الصحراء فهي حضارة الحصى المشذبة ، وهي من الناحية الجيولوجية والطبوغرافية تعود إلى بداية الزمن الرابع ، و إلى المرحلة الستراتوغرافية المسماة الفيلا فرانشيان والتي تسمى أيضا البلايستوسان الاسفل ، ويعتقد الباحثون أنها معاصرة تقريبا للحضارة الالدوانية في شرق إفريقيا ، وقد تم تزمينها في الصحراء بطريقة البوتاسيوم – أرغون بتاريخ يقدر ب 1.000.000 سنة[89].

وحضارة الحصى المشذبةهي أدوات حجرية بدائية مصنوعة من الحصاة يرجع تاريخها إلى ما يزيد على مليونين ونصف مليون سنة ، أقدم هذه الأدوات الحصوية استخرج من منطقة حوض نهر الأومو

---

[88]Henry N. Le Hou´erou,op.cit.p633

[89]Lionel Balout.(1972) Chronologie absolue et préhistoire saharienne. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972,p15.

باثيوبيا* وتتمثل في حصاة دائرية الشكل تنزع منها شظية واحدة أو عدة شظايا ، مما يجعل جزءاً من الحصاة حداً قاطعاً ، وقد استعمل الإنسان هذه الأداة الحجرية مدة طويلة من الزمن تجاوزت المليون ونصف سنة ،وعلى الرغم من أنه لم يعثر لحد الآن على بقايا الإنسان صانع هذه الأداة في شمال أفريقيا والصحراء والذي اكتشف آخر نموذج له سنة 1972 في أولدوفاي ، فإنه يجوز لنا ، انطلاقاً من العثور على هذه الأدوات الحصوية في العديد من مواقع الصحراء وشمال أفريقيا القول بأن الإنسان صانع هذه الأدوات كان موجوداً في هاتين المنطقتين ، فقد تم العثور على الحصاة المشذبة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والصحراء مما يدفعنا إلى القول بوجود علاقات حضارية وبشرية منذ البدايات الأولى للإنسان بين هاتين المنطقتين .

منأبرز مواقعها في المنطقة موقع عين الحنش قرب سطيف في الجزائر الذي يعد اقدم موقع في إفريقيا حيث وضع له الباحث سحنوني زمنا يتراوح بين 1.95 و 1.77 مليون سنة ، وموقع الخربة القريب منه الذي قد يكون معاصر له ، وهناك موقع توماس في المغرب الاقصى المتأخر نسبيا عن عين الحنش [90] ، كما توجد مواقع اخرى قديمة جدا حول بحيرة مرزوق القديمة في الصحراء الليبية ، وقد عرفت حضارة الحصاة تطوراً تدريجياً في شكلها وفي طريقة صناعتها إلى أن أصبحت منذ مليون سنة تقريباً على شكل فاس يدوية سميت بذات الوجهين أو الحضارة الأشولية.

أظهرت دراسات في أكثر من 38 موقعا في فزان ، وجود الحضارة الالدوانية في منطقة وادي أشاشاتي ، ووجود صناعة قديمة في حوض أوباري وفي حمادة زكار مختلطة مشابهة لصناعة منطقة أشاشاتي التي تعود إلى الالدوانية [91] .

---

*الحضارة الالدوانية نسبة لموقع ألدوفاي في تنزانيا تعرف ايضا بحضارة الحصى المشذبة قام لويس لويكي بدراستها منذ 1931 من بين مواقعها ملكاكونتري في إثيوبيا و موقعغومبوري و كوبى فورا بكينيا ترجع حسب بعض الباحثين إلى 2.5 مليون سنة وبذلك فهي أقدم الحضارات الانسانية .

وتعد حضارة كافوان التي ظهرت فى بداية العصر الحجرى القديم الادنى فى شرق افريقيا أيضا أحد أقدم الحضارات الانسانية وجاءت التسمية نسبة الى نهر كافو فى كينيا ,حيث وجدت ادوات حجرية خشنة جدا وتميزت هذة الثقافة بوجود الادوات الحصوية المسطحة ، إعتبرها بعض العلماء سابقة للحضارة الالدوانية وأنها تعود لانسان الاوسترالوبيتيك يرجع تاريخها إلى بداية عصر البلايوستوسين كما كانت آلاتها مشظاة بصفة عامة من جانب واحد ، غير انها فى فترة متأخرة من هذه الحضارة شكلت الآلات الحصوية من الجانبين لتكون شظايا ذات حافة أو جزء ويعتقد بعضهم أن الحضارة الأولدوانية قد انحدرت من بداية حضارة كافوان.

وقيل بأن الحضارة الشنغورية نسبة إلى بحيرة أومو (رودولف) هي الاقدم وهي التي قام الباحث ج شافايون بدراستها ، يعود تارخها إلى 2.3 مليون سنة .

[90] Sahnouni et al (2004) op.cit .pp773-774

[91] Mirazon Lahr, Robert Foley, Federica Crivellaro, José Maillo Fernandez, Alex Wilshaw, Adam Purdon, Cornelius Halladay-Garrett, Djuke Veldhuis and David Mattingly (2010)

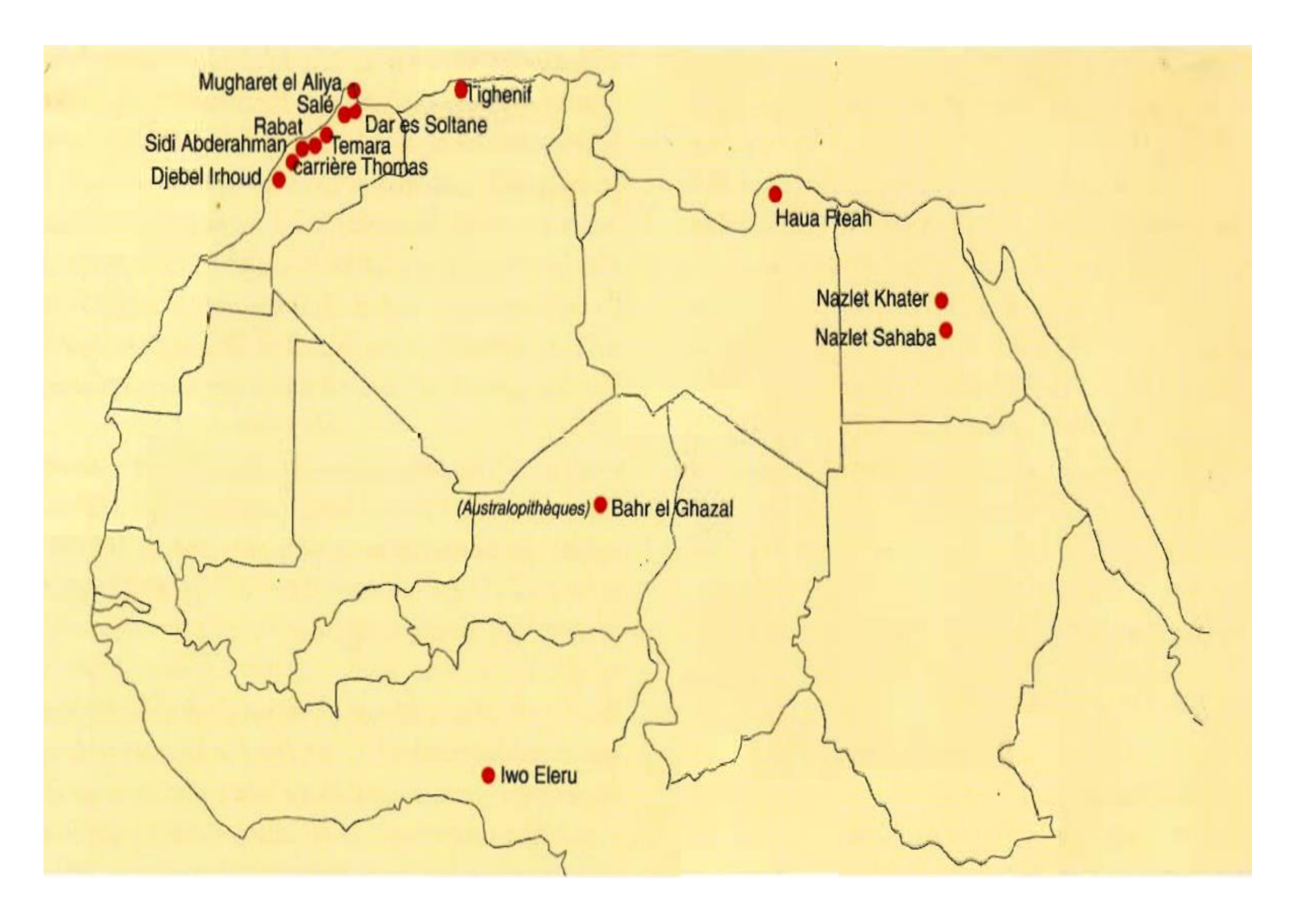
كما أن هذه الاقامات كانت متواترة من البلايستوسان الاسفل إلى الهلوسان كما وجدت بها بقايا للألدوانية والاشولية فهي تعد من بين أقدم الاقامات الانسانية في إفريقيا والعالم .

والبلايستوسان الاسفل يقابل تقريبا من الناحية الحضارية العصرالحجري القديم الذي يبدأ من 2,59مليون سنة الى 12 الف سنة قبل الميلاد ، القسم الاقدم منه يدعى العصر الحجري القديم الاسفل العتيق ويمتد من 2.95مليون سنة الى 1,4مليون سنة وجدت فيه حضارتان هما الصناعة الشنغورية الذي وجد موقعها النموذجي في اثيوبيا و الصناعة الالدوانية نسبة الى موقع الدوفاي في تنزانيا ، وقد بدا فيهما الانسان استعمال الحصى وتكسير الشظايا .

وفي بلاد المغرب توجد مواقع تعود الى ماقبل الاشولييةتدل على الاستقرار البشري القديم جدا في المنطقةومن بين اقدم المواقع الحضارية في بلاد المغرب موقع سيدي عبد الرحمان قرب الدار البيضاء حيث عثر كويرات حجرية وفؤوس يدوية تحمل سمات الحضارة ما قبل الاشوليةكما توجد مواقع أخرى في عين الحنش الذي يحتوي بقايا عظمية وصناعة حصوية وهذه الصناعة تشبه صناعة الطبقة الاولى والثانية في موقع الدوفاي السابق الذكر، كما وجد موقع أخر قرب قسنطينة، وموقع جبل تسالة في الغرب الجزائري ,اكتشف موقع في الصحراء في منطقة رقان يحتوي على حصى مشذبة من وجهين من مادة الكوارتز [92].

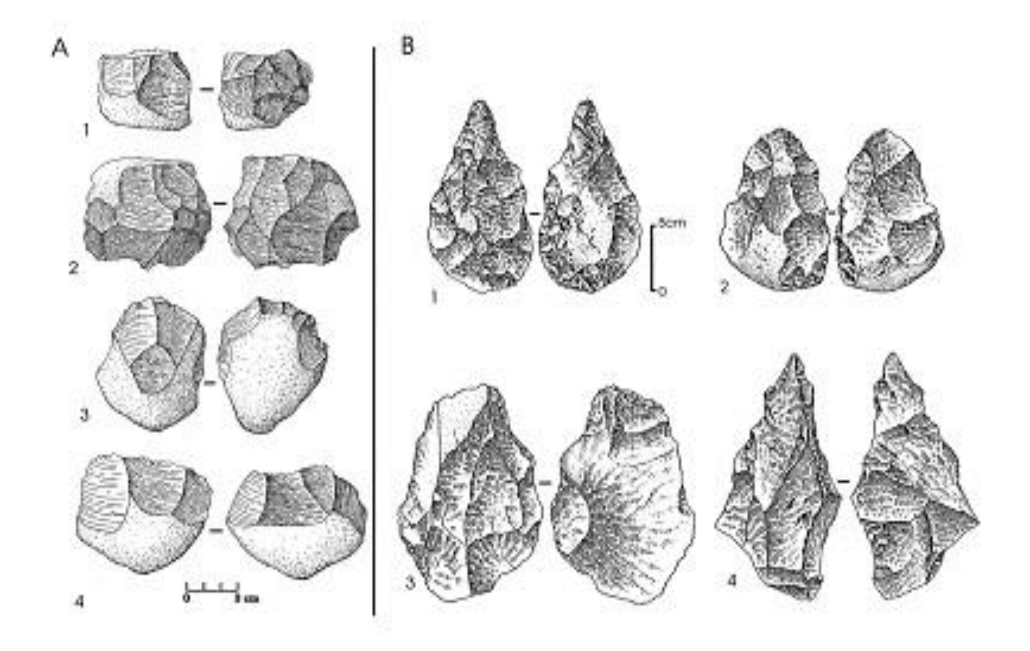
Preliminary results from 2010 fieldwork on the human prehistory in the Libyan Sahara, Libyan Studies 41 (2010), pp151-153

[92] محمد سحنوني(1990) ماقبل التاريخ ،ديوان الطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ص88



الشكل رقم 10: خريطة للمواقع البشرية العائدة إلى العصر الحجري القدم الاسفل

المصدر: rebert vernet (2004)Le Sahara préhistorique entre l'afrique du Nord et Sahel : état des connaissances et perspectives,paris ,edition Sépia ,2004, p91



الشكل رقم 11: الحصى المشذبة في موقع عين الحنش

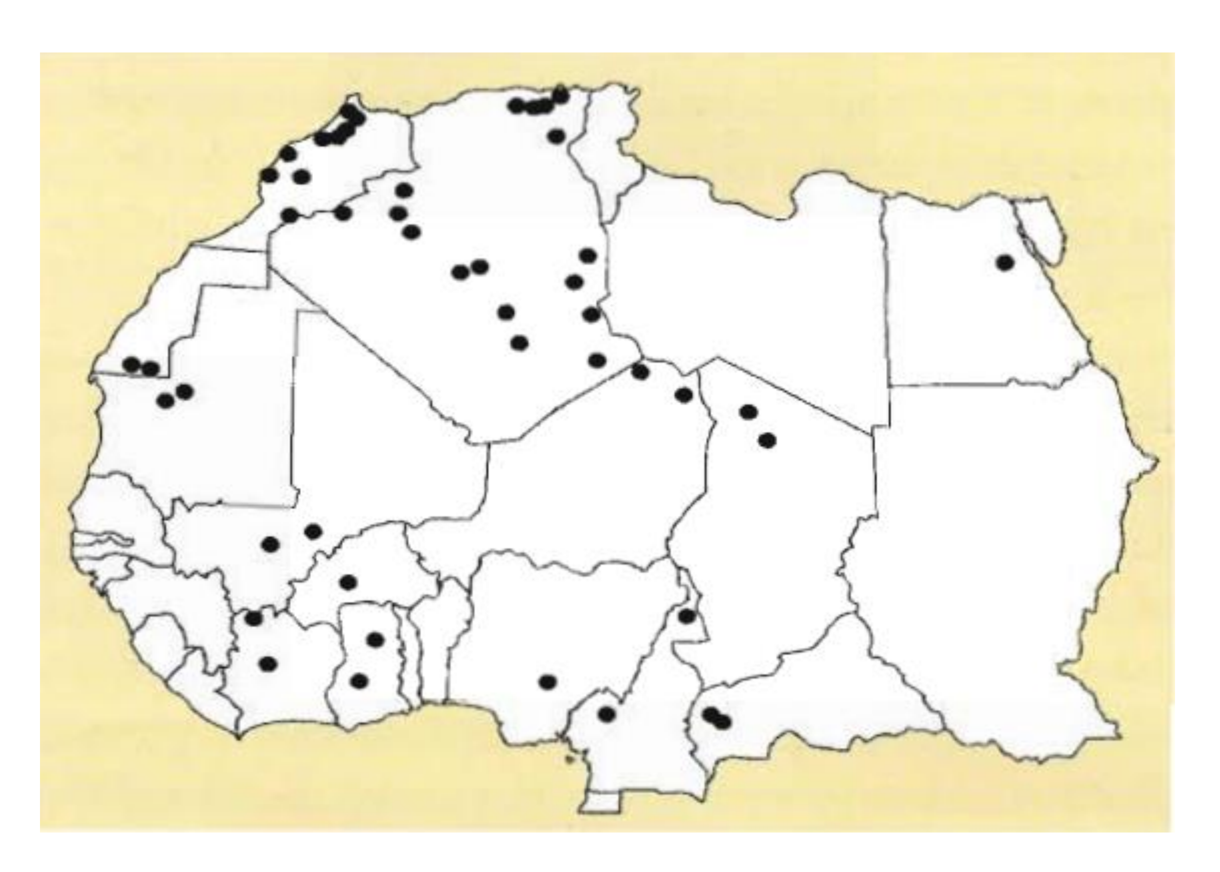
موقع عين الحنش أقدم موقع في شمال إفريقيا ، الصور الموجود في حرف A تمثل حضارة الحصى المشذبة المتزامنة مع لحضارة الإلدوانية في تنزانيا أقدم حضارة في العالم ، والقسم B يمثل حضارة الشولية في نفس الموقع .

المصدر : Mohamed Sahnouni (2004)On the earliest human occupation in North Africa: a response to Geraads et al Journal of Human Evolution 46 (2004) , pp773



الشكل رقم 12 : الحصى المشذبة في رقان (الصحراء الوسطى)

من بين أقدم الصناعات الحجرية (الحصى المشذبة) موقع رقان في وسط الصحراء



الشكل رقم 13: خريطة لمواقع الحضارة الالدوانية وما قبل الاشولية في شمال إفريقيا

المصدر: rebert vernet (2004)op.cit.p91

الحضارة الاشولية :

الحضارة الاشوليةتنتسب الى منطقة سانت اشول بالقرب من مدينة أميان في شمال فرنسا تمثلت الادوات النموذجية لها في فؤوس يدوية او ذات وجهين ومكاشط[93]، الصناعة الاشولية هي التي تمثل هذا العصر وتتقسم هذه الصناعة الى اربعة اقسام وهي: الصناعة الاشولية السفلى والوسطى والعليا والنهائية ومواقعها في بلاد المغرب وفي الصحراء كثيرة منها موقع تغنيف قرب معسكر وهو ينتمي الى مرحلة الاشولية القديمة اكتشفت به بقايا انسانية تمثل انسان الاطلس الذي ينتمي الى الانسان المعتدل homo erectus ووجدت به ادوات مختلفة منها فؤوس يدوية يؤرخ الموقع بحوالى 500الف سنة ، ومن المواقع الاخرى سيدي الزين بتونس وموقع الماء الابيض والمواقع الجزائرية الاخرى هي : اوزيدان وبحيرة سفيان وموقع تيهوداين بالصحراء [94] .

أولى الادوات الحجرية التي تمثل ملامح الحضارة الاشولية هي الفؤوس اليدوية ذات وجهين أكتشفت في إفريقيا الشرقية والجنوبية وتعود إلى 1.6 مليون سنة ، بقايا أخرى للاشولية أكتشفت خارج إفريقيا ولكنها حديثة نوع ما تمتد من الشرق الادنى إلى الصين وفي كوريا واندونيسيا وهي حديثة تعود إلى 600 ألف سنة ، أما موقع تارة أماتا في وسط مدينة نيس الفرنسية الذي درسه فريق الباحث دو لومري henri de lumley قد أعطى أدوات ارخت ب 380000 ألف سنة وقد وجد في الموقع ما يدل على أقدم موقد حيث عرف هذا الانسان النار لاول مرة ،فهو اقدم دليل في العالم على إستعمال النار .

ويعد موقع تيهوداين tihodaineومن المواقع الهامة في الصحراءوتبرز أهميته في أن صناعته تعود إلى العصر الحجري القديم الاسفل فهي شبيهة بمواقع عين الحنش وبحيرة كيرار من حيث الصناعة الاشولية ، اضافة الى عدد كبير من عظام الحيوانات المحجرة كالفيلة وأفراس النهر ووحيد القرن كما أن بصمات الانسان الذي عاش في المنطقة تدل أنه اقرب ما يكون الى إنسان شرق أفريقيا منه الى إنسان الاطلس،وموقع عرق آدمير التي وجدت به قطع ذات صناعة أشولية ، كما وجدت قطع مماثلة في وادي ميزاب ايضا ، ووجد بقايا أخرى في منطقة شتمة شرق بسكرة [95] ،ووجدت في الهوقار أدوات لوفالوازية من منطقة الهوقار نسبت الى الاشولية الموستيرية[96].

على ظفاف البحيرات مثل بحيرة مرزوق عاش اناس تركوا صناعة اشولية التي تطورت إلى اللوفولوازية Levalloisien بعد 115.000 قبل الحاضر[97]، ولم يكن المناخ مسقر في

[93]محمد سحنوني(1990) ماقبل التاريخ ،ديوان الطبوعات الجامعية ،الجزائر ، ص93 .

[94]المرجع نفسه ،ص101.

[95] محمد الصغيرغانم (2003)مواقع وحضارات ماقبل النتاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى الجزائر ص42-45

[96]المرجع نفسه،ص75

[97]Jean Fabre, op cit.pp 488-489

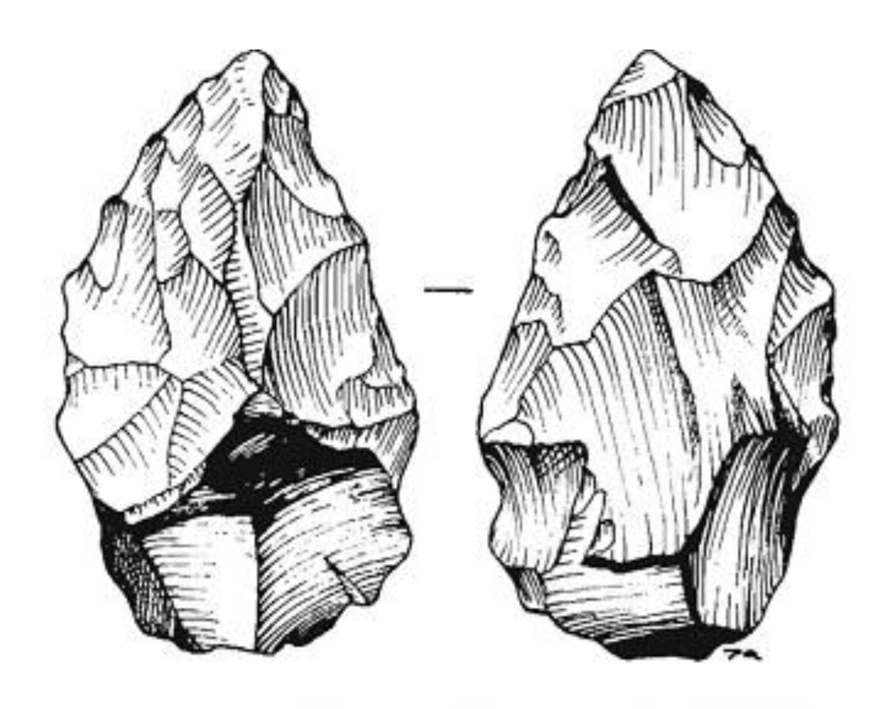
فترة الحضارة الاشولية فقد شهدت رطوبة ثم تلاها مناخ إستوائي جاف ، ومن الحيوانات التي كانت متواجدة على جوانب بحيرة تيهوداين في الصحراء الوسطى : الفيلة ، وحيد القرن ، فرس النهر ، الضباء ، الغزلان ، حمار الوحش ،التماسيح ، وقد ذكر الباحث ب رونون p regnon أن الامر يتعلق بحيوانات تعيش في السفانا الافريقية[98].

الحرارة التي بدات في الارتفاع في منذ حوالي 140.000سنة قبل الحاضر تصل أقصاها في حوالي 125.000 قبل الحاضر وعلى ظفاف البحيرات مثل بحيرة مرزوق عاش اناس تركوا صناعة اشولية التي تطورت إلى اللوفولوازية Levalloisien بعد 115.000 قبل الحاضر[99] ، بالنسبة للباليوليتي الاوسط في عموم الصحراء اللفلوازية الموستيرية كانت بين 80.000 و50.000 قبل الحاضر لكنها جد نادرة في الصحراء.

---

[98]p rognon(1967),le massif de l’atakkor et ses bordures (sahara central), etudes géomorpholoqique, CNRS ; paris , mémoire de CRZA , série géologie ,9, vol °1, p509

[99]Jean Fabre, op cit.pp 488-489



الشكل رقم 14: الاشولية ذات الوجهين في عرق أدمر (الطاسيلي)

المصدر : g. aumassip et c. roubet(1966), promiers resultats d'une mission archéologique (grand erg oriontal - erg d'admer) , p61



الشكل رقم 15: الأشولية في موقع الماء الابيض في تبسة

المصدر : , lional balout ,(1958) l'algerie prehistorique, edition Art et matières graphiques,paris p62

وهناك دلائل على الاقامات الانسانية في البلايستوسان الاسفل في : 420.000 سنة ، وفي 320.000 سنة مضت ،250.000 سنة ، 130.000 سنة مضت كما يعتقد أن المنطقة شهدت مناخ مثاليا في : 500.000 وفي 370.000 و بعد 300.000 سنة ، وفي 130.000 و125.000 وهي مختلف مراحل الحضارة الاشولية، [100] الحضارة الاشـــــولية Acheuléen موجودة أيضا في الصحراء ، والاشولية القديمة شبيهة بالابيفيلية الفرنسية وهي قد تكون في فترة ما بين ، الاشولية تقع بين 500.000 و 100.00، الاشولية المتطورة في الصحراء كثيرة وقد تكون معاصرة للمرحلة الجليدية ريسRiss أي بين 300.000 و200.000 سنة قبل الحاضر[101]، كما وجدت العديد من مواقع الحضارة العاترية [102].

قبل الحاضر ولم يعثر على بقايا للانسان الماهر صاحب هذه الحضارة في الصحراء.
تكونت العديد من البحيرات خلال مختلف فترات الحضارة الاشولية ، منها البحيرة القديمة لتيهوداين التي تنتمي إلى هذه الفترة [103] ، والجدير بالذكر أن الحضارة الاشولية كانت منتشرة حتى في الفترات الجافة في الصحراء [104] .

التزايد السريع في مستوى سطح البحر خلال عصر ما بين الجليدي المسمى إيميان* Eemian والتزايد في درجة الحرارة الذي بدا في 140000 قبل الحاضر ووصلت إلى قوتها في 125.000قبل الحاضر، تتزامن مع تزايد في درجة الاشماس في الصحراء الوسطى ، المناخ المثالي يتزامن مع توسع في البحيرات شمال منطقة مرزوق الليبية التي تمثل اليوم بحر من الرمال .

حيث أن بحيرة شاتيShati في فزان توسعت لأكثر من 2000 كلمتر مربع في حوالي 100.000قبل الحاضر وقد وجدت حول هذه المنطقة العديد من المواقع الحضارية التي تعود إلى الاشولية النهائية وإلى اللفلوازية الموستيرية كما وجدت بقايا حضارية تعود إلى العاترية وإلى النيوليتي مما يدل على توسع البحيرات وانحصارها [105].

---

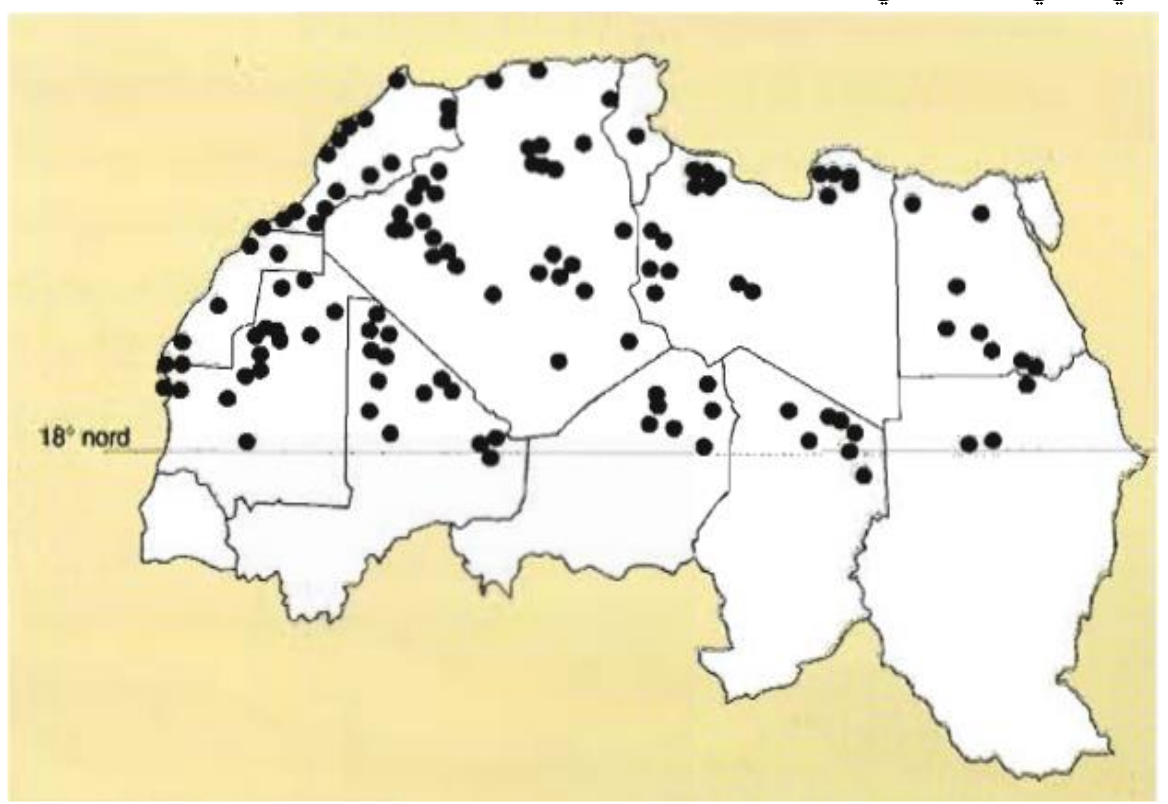
[100] Robert Vernet,(2007) Le golfe d'Arguin de la préhistoire à l'histoire,p36
[101] Lionel Balout.(1972) Chronologie. op.cit.p14
[102] Marta Mirazón Lahr ,Robert Foley ,Federica Crivellaro, José Maillo Fernandez ,Alex Wilshaw ,Ben Copsey, Frances Rivera,David Mattingly, Prehistoric sites in the Wadi Barjuj, Fazzan Libyan Sahara, Libyan Studies 42 (2011), pp117,122,135
[103] p rognon(1967) op.cit,p509

[104] Henry N. Le Hou´erou.op.cit .,p633

*إيميان هي مرحلة مابين جليدية تسمى سانقامونيانSangamonien في أمريكا الشمالية وفي جبال الالب تدعى مابين جليديتي ريس والفورم Würm–Riss تبدأ في 130.000 قبل الحاضر و تنتهي في 114.000 قبل الحاضر وهي أخر مرحلة ما بين جليدية دون إحتساب المرحلة التي نمر بها الآن والتي بدأت منذ بداية الهلوسان حوالي 10.000 قبل الميلاد .

[105] N. Petit-Maire Recent quaternary climatic change and man in the Sahara Marseille, France Journal of African Earth Sciences, Vol. 12, N° 1/2, 1991, pp. 125

توجد علاقة واضحة بين تحسن المناخ ووجود بقايا أشولية في البلايستوسان الاوسط في مواقع جنوب فزان خاصة قرب بحيرة شاتي القديمة، أدلة أخرى عن وجود بحيرات في البلايستوسان الاوسط في شمال مالي، وفي تونس ، وفي النوبة [106].



الشكل رقم 16: مواقع الحضارة الاشولية في شمال إفريقيا

المصدر: rebert vernet (2004)op.cit.p91

تطور الاشولية :

وجد في المغرب الاقصى إثنين من الباقا البشرية التي تعود إلى الاشولي هي كل من إنسان الرباط وإنسان سيدي عبد الرحمان بالدار البيضاء ، وقد قام الباحث ب بيبرسن بتقسيم الاشولية إلى ثمان طبقات ، الطبقات الثلاثة الاولى تمثل الاشولية القديمة التي تحتوي على نسبة تقدر بحوالى 20% من الحجارة المشذبة ،والحجارة المشذبة من الحجم الكبير خاصة ، وبداية ظهور الحجارة ذات الوجهين ، تعاصر الاشولية القديمة المرحلة المناخية المسماة التنسيفتية .

أما الاشولية الوسطى فهيمعاصرة للفترات الجليدية مندل – ريس الاوربية وللمرحلة المناخية الانفاتيان infatienne وتتكون من ثلاثة طبقات ، تتكون أدواتها خصوصا من الشظايا بينما يندر وجود الفؤوس اليدوية في الطبقة الرابعة وفي الطبقة الخامسة تزداد الحجارة ذات الوجهين لتصل لنسبة 50% بينما

[106]N. Petit-Maire (1991) op.cit, p. 126

تظهر بعض الادوات العظمية في كهف الدببة في الدار البيضاء ، وبداية ظهور تقنية اللفلوازية ، ويعود إنسان سيدي عبد الرحمان إلى هذه المرحلة [107].

الاشولية المتطورة : : تمثل الطبقات السابعة والثامنة وتقابلها مناخيا المرحلة المطيرة التنسيفتية المتزامنة مع لمرحلة الجليدية الاوربية الريس riss ، تنتشر الصناعة الحجرية ذات الوجهين بقوة مع وجود أدوات من الخشب والعظام ، وأدواتها متكونة من الشظايا مثل المكاشط ، كما تتطور اللفلوازية في هذه المرحلة ، وفي الطبقة الثامنة تصبح الاشولية متزامنة مع الموستيرية في المغرب الاقصى [108].

الحضارة الموستيرية :

الموستيرية هي من أهم حضارات العصر الحجري القديم الاوسط تتراوح زمنيا بين أكثر من 100 ألف إلى 40 ألف وتغطى كامل مرحلة العصر الحجري القديم الاوسط ، وتنتسب إلى كهف موستيه في فرنسا أدواتها مصنوعة من الشظايا الدقيقة المشذبة والمدببة الأطراف و كسر من الصوان استخدمت كسكاكين و محكات و مكاشط ، وتقوم الصناعة الموستيريه على استخدام الشظايا المستخرجة من النويات القرصية الشكل ومن أهم نماذج الأدوات الموستيرية مثل المكاشط ذات الوجهين ، والسكاكين ذات الظهر ، والمكاشط ذات الحافة والسنن الموستيرية، و قد انتشرت الصناعة الموستيرية فى كل أفريقيا الشمالية وآسيا وأوربا ، فقد عثر فى جبال الأطلس و بلاد الحبشة على آثار امتداد الجليد و الرواسب التى عثر فى كهوف شمال إفريقيا مما يدل على أنها كانت مستعملة لكننا من جهة أخرى كانت برودة الجو فى أوروبا فى ذلك العصر أشد من أفريقيا حيث ساعد ارتفاع الجبال على تكوين الجليد بدرجة كبيرة.

ولكن بصفة عامة فهي قليلة في شمال إفريقيا ومن بينها : سيدي الزين ، عين محروثة في القيروان ، في القطار بقفصة ، في وادي عكريت بقابس ، وفي عين مترشم وسيدي منصور بقفصة بتونس وفي الجزائر وجد موقع رتيمة قرب الشلف ورأس تنس ، وفي المغرب تافوغالت (وجدة)، جبل أرحود بمنطقة صافي ، وكيفان بالغماري بتازة ، وتعود البقايا الحضارية اللفلوازية الموستيرية في مواقع قورناية في شمال ليبيا إلى حوالي 80 الف سنة قبل الحاضر [109] ، وفي عموم الصحراء اللفلوازية الموستيرية كانت بين 80.000 و 50.000 قبل الحاضر لكنها جد نادرة.

---

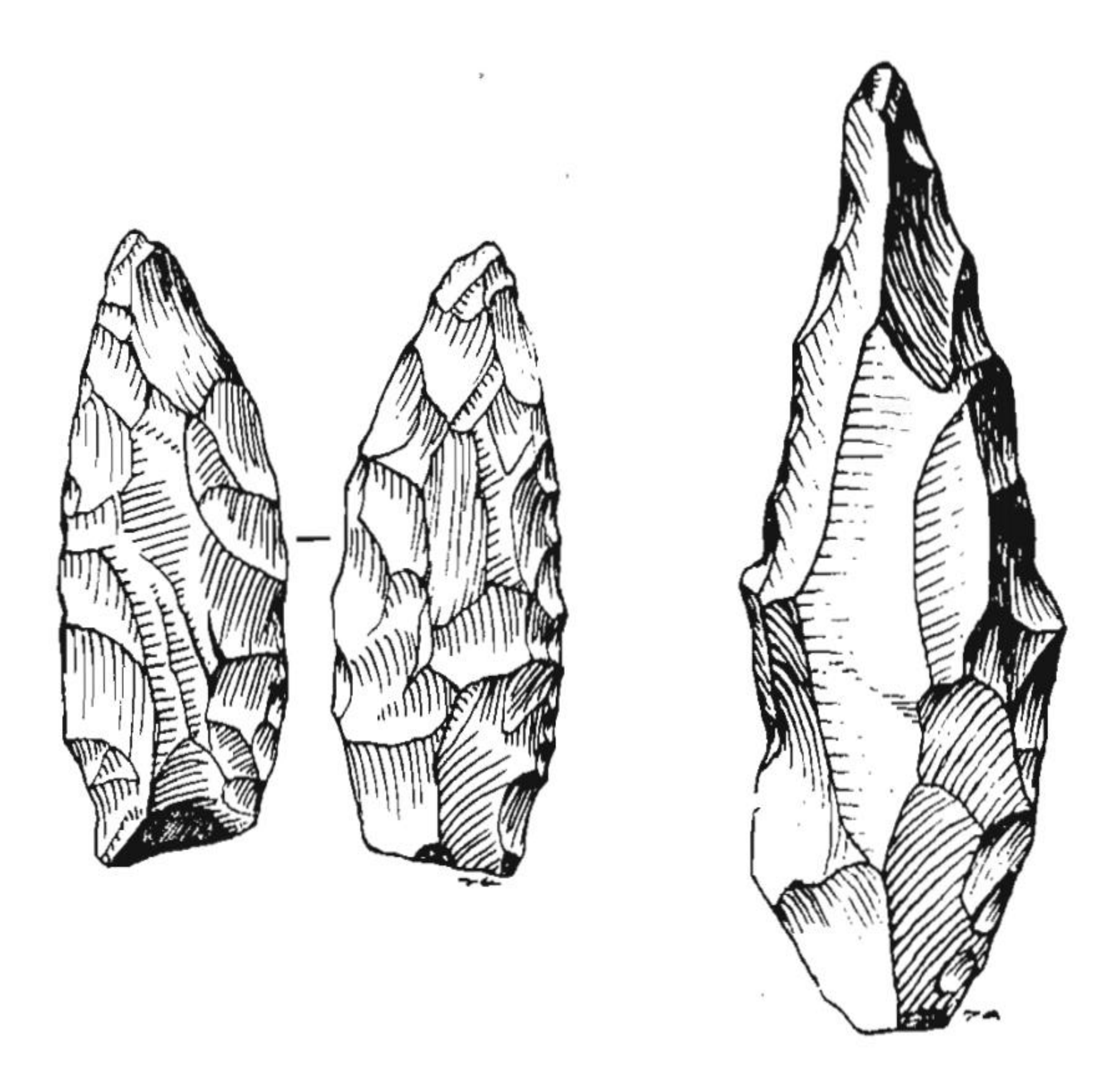
[107] Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord etdu sahara. Paris:Edition Doine .p 21

[108] ibid. p22

[109] N. Petit-Maire(1991) op.cit. p 125

إعتمد النيادرتاليون وهم أصحب الحضارة الموستيرية على الصيد في حياتهم وقد عاشوا عموما في بيئة باردة ، ومن الحيوانات التي كان يعتمدون عليها في غذاءهم : الماموث ، الدببة ، البيسون وهو نوع من الابقار البرية ، والثعالب ، والحصان .

الباقايا البشرية التي تمثل الموستيرية وجدت في المغرب الاقصى بجبل إرحود بتافوغالت وفي موقع تمارا [110] .



الشكل رقم 17 : رؤوس السهام الموستيرية في عرق أدمر (الطاسيلي)

المصدر : aumassip et c. roubet(1966),op.cit .p69 .

[110]Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord etdu sahara. Paris:Edition Doine .p22

الحضارة العاتــرية:

الحضارة العاترية وهي الاخرى ظهرت في العصر الحجري القديم الاوسط ،وهي من أهم الحضارات في شمال افريقياالتي وجد لها إمتداد كبير في مناطق ممتدة من شبه الجزيرة العربية وفلسطين الى المحيط الاطلسي مما جعل الباحثيين يختلفون في اصولها بين بلاد المغرب حيث وجدت مواقها النموذجية وبين الشرق الادنى ، وكان لاكتشاف جمجمة لإنسان نيادرتال في كهف هوافيح شبيه بذلك الذي أكتشف في جبل الجليل بفلسطين وقع كبير بين الباحثين وقد أكتشفه ماك بيرني سنة 1950، فقد اتخذت الاقوام الحاملة للحضارة العاترية كهف هوافتيح كمركز للعبور بين مصر وبلاد المغرب ونفس الدور لعبته أيضا الواحات في الصحراء الليبية المصرية مثل واحة الداخلة و الخارجة وواحة سيوة سواء في فترة ما قبل التاريخ أو في العصور التاريخية الباكرة .

وقد وجدت مواقع عاترية في واحات سيوة والخارجة والداخلة ، كما عثر على مواقع في مصر العليا قرب الاقصر وفي نقادة وفي المراشدة القريبة من نجع حمادي [(111)] ، وهنا نتساءل عن مصدر الهجرة السكانية والتاثير الحضاري ، وكيف تمت الصلة بين الانسان النيادرتالى في فلسطين والانسان النياندرتالي في بلاد المغرب وكذلك في أوربا فكل البقايا الانسانية لهذا الانسان متشابهة ،وهل العاترية بالفعل اصيلة في المنطقة أم هي حضارة وافدة ؟ علما بأن أغلب المواقع متواجدة في المنطقةتغطي كل مراحل هذه الحضارة ، عندئذ فنحن أمام أنتقال سكاني وحضاري من بلاد المغرباتجاه مصر ثم الشرق في مرحلة مبكرة من الزمن .

وفي فزان تم تسجيل ظهور بحيرات صغيرة في 40.000 و 26000 قبل الحاضر ، حيث حدثت مراحل رطوبة أقل إمتداد تزامنت مع ظهور الحضارة العاترية في المنطقة والتي تعود اصولها إلى شمال إفريقيا ، وقد وصلت إلى النيجر بين 40.000 و20.000 حسب الباحث تيلي1983 tillet وحسب دوراند Durand et Al-(1983) هي بين 26.000 و 20.000 قبل الحاضر [(112)].
وغالب الضن أن الحضارة العاترية قد بدأت ما بين 50 و45ألف سنة في شمال إفريقيا ، وتتزامن الحضارة العاترية مع العديد من الحضارات الاوربية كحضارة شتال بيريني[*] Châtelperronien

---

[(111)] محمد الصغير غانم (2003)المرجع السابق ، ص78

[(112)] N. Petit-Maire (1991) op.cit.p 126

[*] حضارة شتال بريني Châtelperronien والتي بدأت في حوالي 38 الف قبل الميلاد في جنوب غرب فرنسا الجبال الوسطى في إسبانيا بالاظافة إلى شمال إسبانيا، ووسط اوربا بما فيها إيطاليا ، تحمل هذه الحضارة بعض الملامح الموستيرية .

والحضارة الاورجناسية Aurignacien والحضارة الغرافيتيةGravettien* ، كما أن نهاية العاترية أيضا تتزامن مع تغير مناخي كبير حيث حلت بالمنطقة مرحلة شديدة الجفاف بلغت ذرتها في 18.000 ألف سنة قبل الحاضر وهي تتزامن مع مرحلة جليدية الفورم الاخيرة حيث إنخفض مستوى البحر إرتفعت درجة الحرارة وتوسعت الكثبان الرملية نحو الجنوب ، تلك الصحراء كانت اشد من الحالية حيث أن مناطق الازواد أصبح مغطاة بالكثبان الرملية ، أقدم الحفريات التي تعود إلى الهلوسان تؤرخ ب 8700 قبل الحاضر و 8600 قبل الحاضر ، فبلا شك أن المرحلة الجافة قد شكلت نهاية العاترية في الصحراء ، ويبدو أن تلك الصحراء القاسية تم تسجيلها كذلك في مواقع تمتد من السنغال إلى وادي النيل حيث تأثرت بها حتى مجاري الانهار(113).

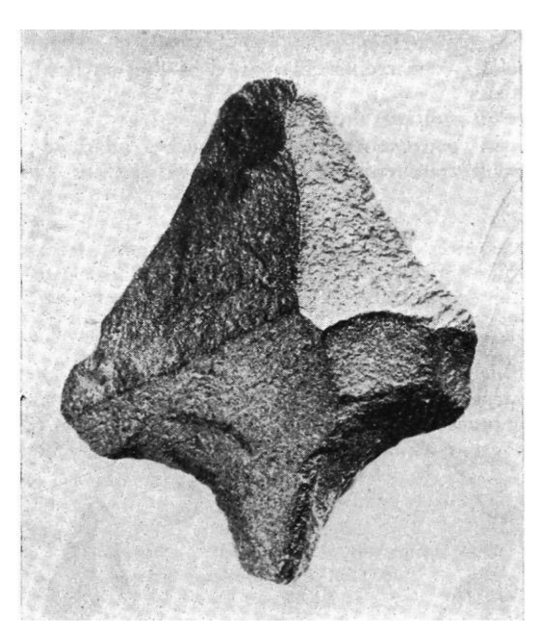
تنقسم العاترية إلى العاترية النموذجية في وادي الجبانة في تبسة والبويرة في تيبازة ،تصبح الفلوازية أكثر تطورا وتزداد نسبة المكاشط والنصال، و العاترية القديمة فهي موجودة في الساحل ،وقد وجد في مواقعها بقايا للتقنية اللفلوازية مما جعل الباحث قمبس يعتقد أن العاترية ولدت من رحم الموستيرية ، حجارتها من الكوارتز وأحيانا الحجارة البركانية ،من مواقعها : الحنك ، دار السلطان ، عين الجماعة في المغرب ، ومواقع الخروبة ، أرزيو ، كدية بوغرارة ، على باشا في الجزائر ، رقبة بلقاسم والرأس الاسود والمونستر في تونس وعلى مايبدو فمواقع السواحل الغربية للجزائر هي الأقدم فكل المواقع الساحلية هي مواقع قديمة ، أما العاترية الوسطى أو النموذجية فهي في وادي الجوف ، بئر الشعشاع ، البويرة ، ووادي الجبانة في الجزائر أما العاترية العليا فقد وجدت في المغرب الاقصى ، إستعمال حجارة السيلكس ، من بين أهم مواقعها طنجة ، تيت مليل ، المغارة العليا ، دار السلطان ، عين تاكيليت ، كما وجدت العاترية العليا في الصحراء ، وإستمرت إلى أن وصلت إلى النيوليتي (114)

---

*الغرافيتيةGravettien : بين 29 ألف و 22 ألف سنة قبل الميلاد إنتشر ت في كامل أنحاء اوربا اصبحت الادوات الحجرية والعظمية خفيفة أكثر وأكثر دقة وتطورا

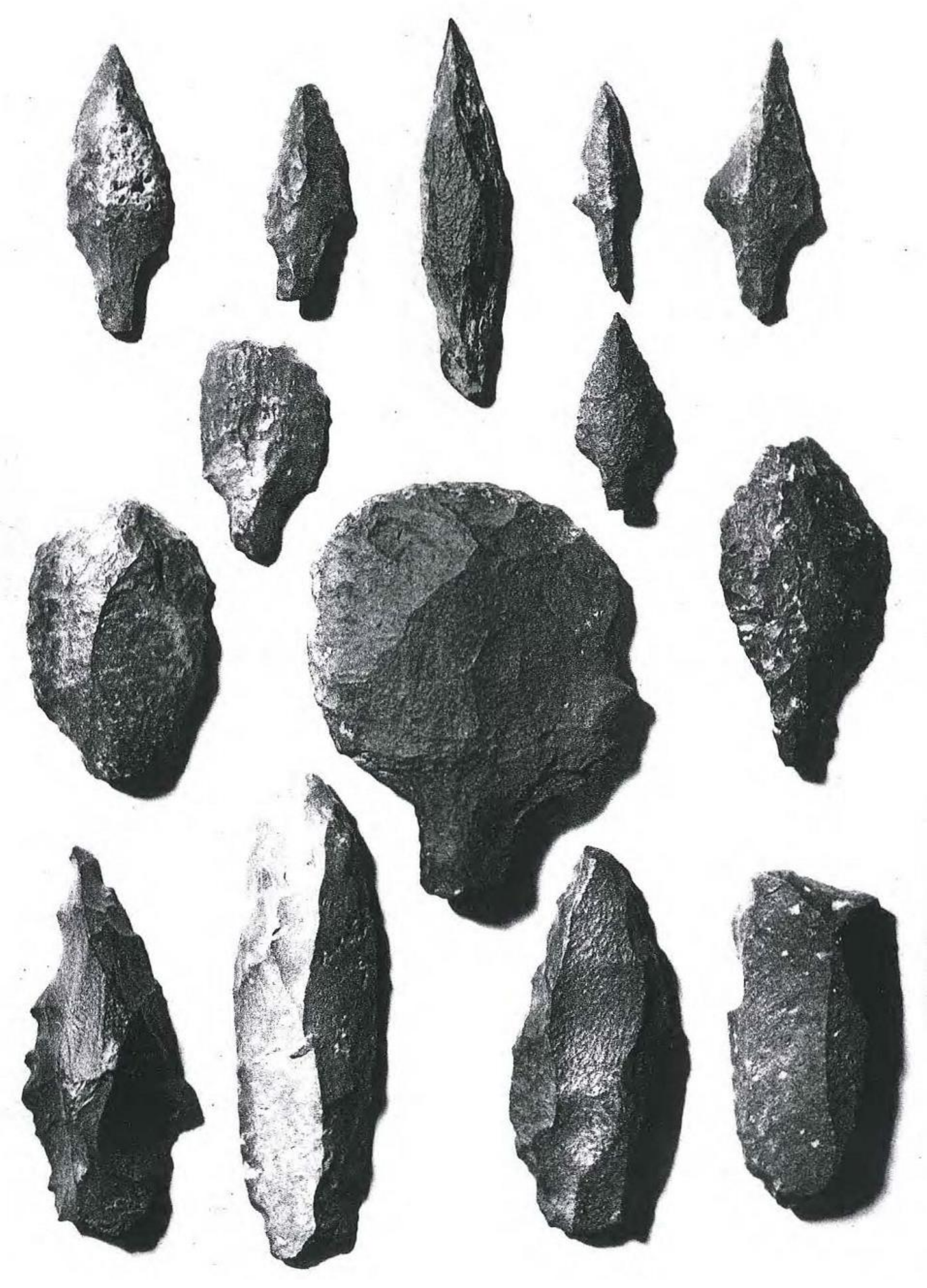
(113)N. Petit-Maire Recent quaternary climatic change and man in the Sahara Marseille, France Journal of African Earth Sciences, Vol. 12, N° 1/2, 1991, p 127

(114) Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord etdu sahara. Paris:Edition Doine .p30



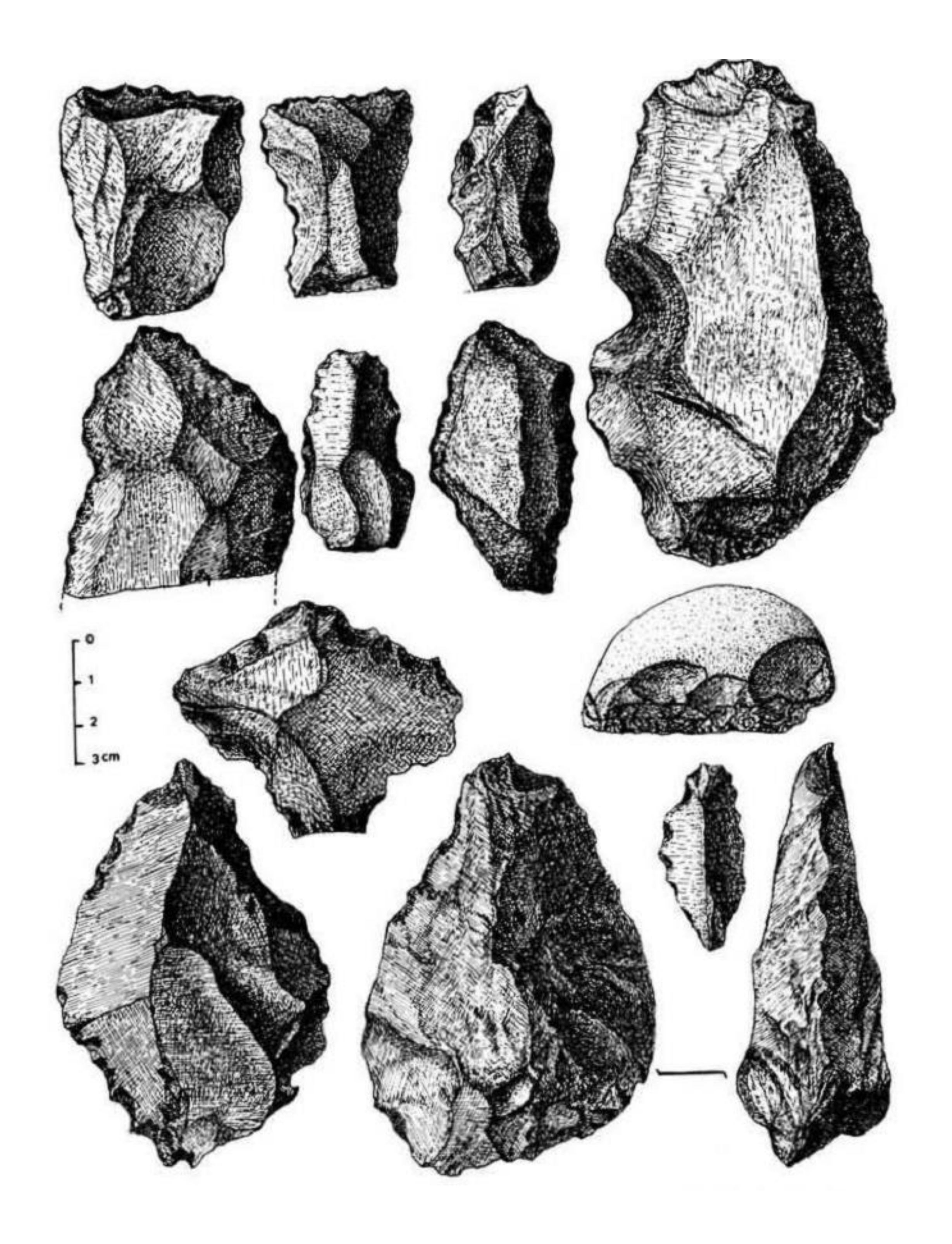
الشكل رقم 18 : أحد رؤوس السهام ذات ساق التي تعود للعاترية في عرق آدمر (الطاسيلي)

المصدر : Aumassip et c. roubet(1966),op.cit .p70



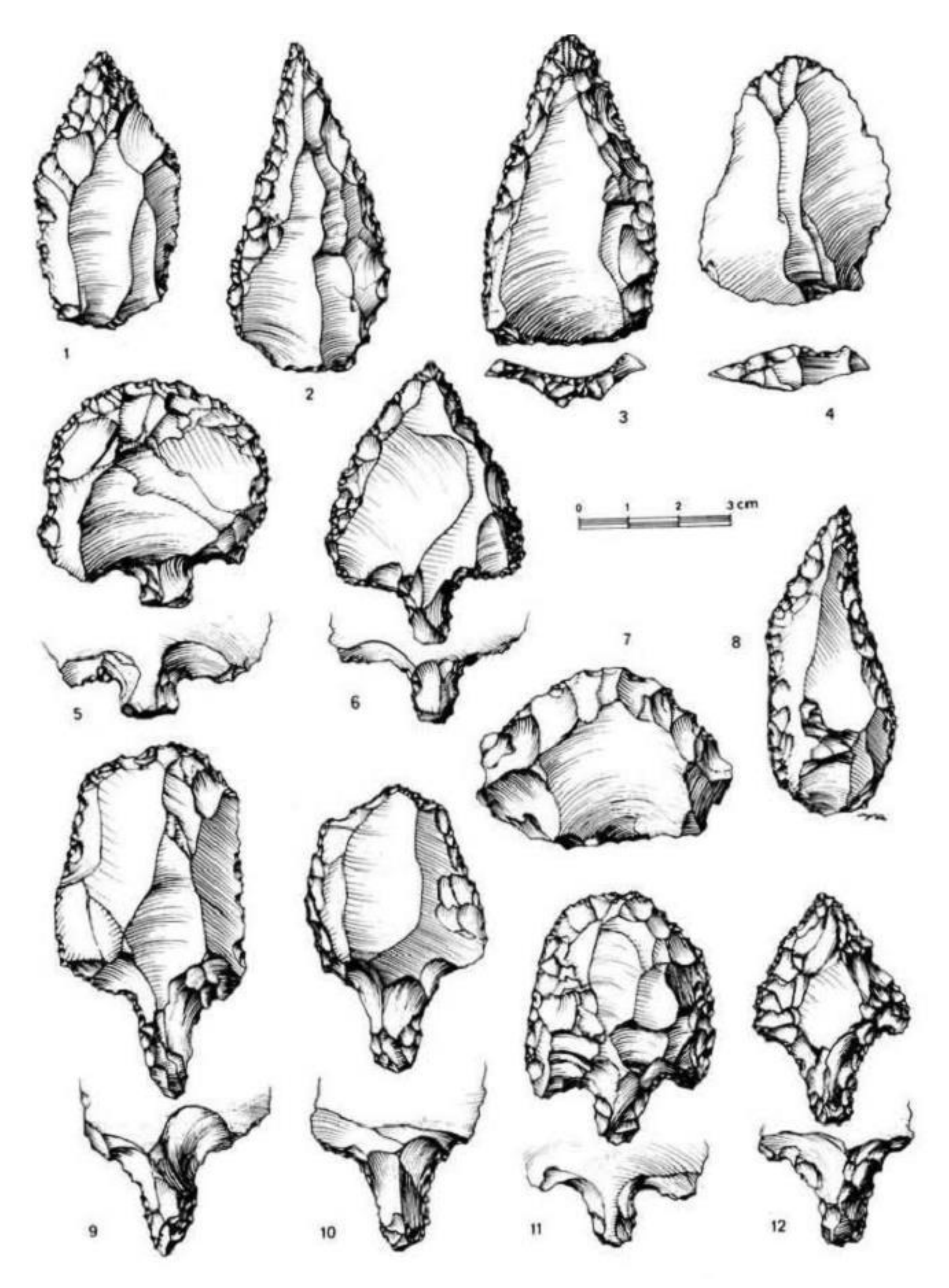
الشكل رقم 19 : العاترية في عرق تيهوداين بالطاسيلي

المصدر : lional balout ,(1958) l'algerie prehistorique...op.cit, p82



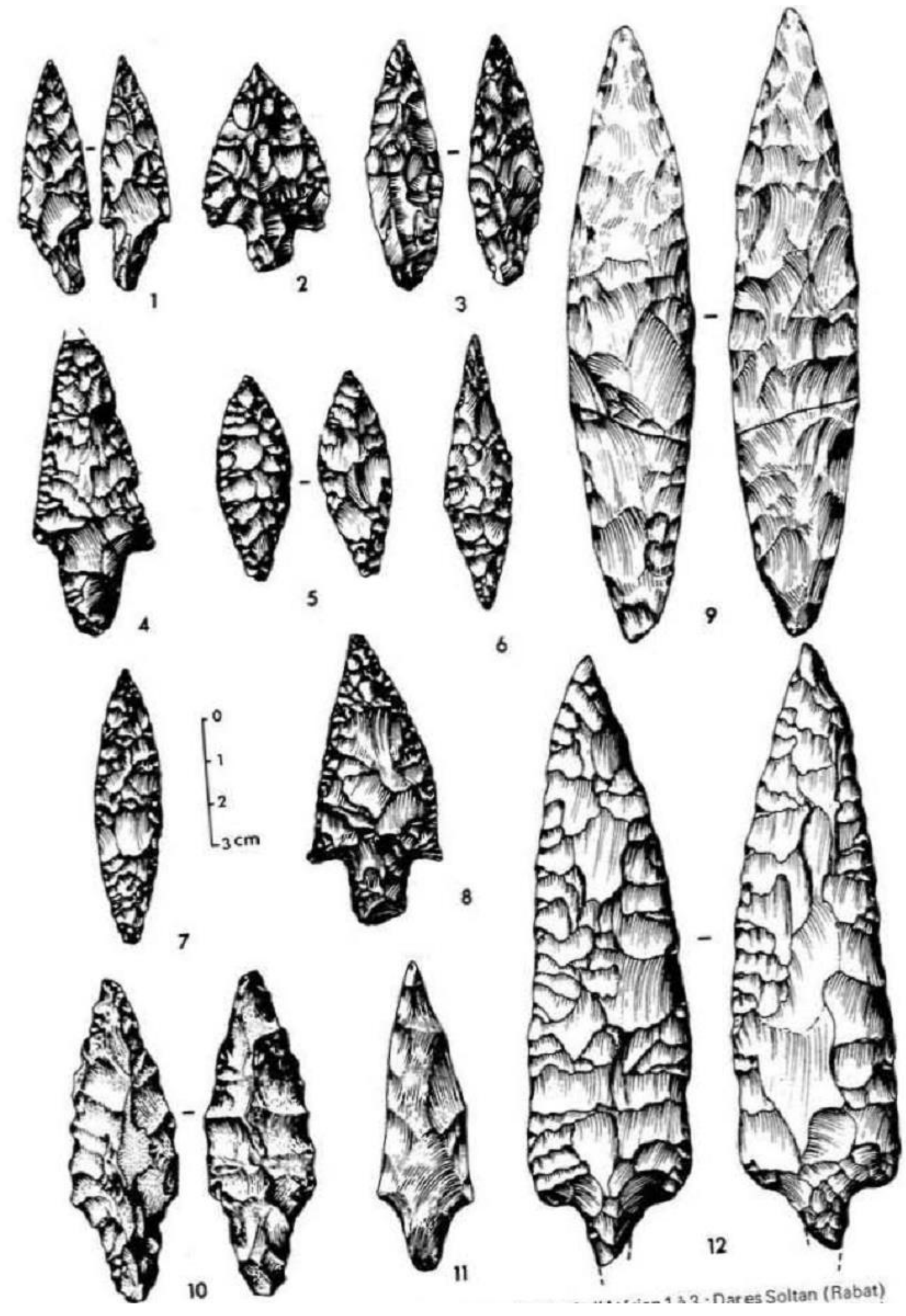
الشكل رقم 20: العاترية في أرزيو في الغرب الجزائري

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord et du sahara. Paris: Edition Doine . p22



الشكل رقم 21: العاترية النموذجية في بئر العاتر بتبسة

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord et du sahara. Paris: Edition Doine . p31



الشكل رقم 22 : الادوات الحجرية للعاترية المتطورة

1،2، 3 دار السلطان (الرباط)، 5،6، 7 مغارة العالية المستوى السادس(طنجة)، 4،8، مغارة العالية المستوى الخامس(طنجة)، تيوريرين في عرق تيهوداين(الطاسيلي) 9، 11، 12 ، أدار بوس (التينيري) 10.

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique ...op.cit. p31

الحضارة الايبرومغربية :

شهدت منطقة الصحراء الوسطى مرحلة جفاف كبيرة بعد نهاية العاترية وهو ما يبدوا واضحا من خلال ندرة البقايا الانسانية التي تعود لتلك الفترة ، في حين إزدهرت الحضارة الايبرومغربية في الشمال ولو بشكل متأخر ،فالعصر الحجري القديم الاعلى* ينعدم في شمال إفريقيا ويحل محله العصر الحجري القديم المتأخر ، وهنا يعود النقاش بين الباحثين حول أصول هذه الحضارة أيضا ، فيما إذا كانت محلية أو أنها قدمت من الخارج خاصة من الشرق ، إذا يذكر الباحث ماك بيرني M Bernierأن هجرة الاقوام الحاملة للحضارة الايبرومغربية نحو الغرب كانت قد تمت في مرحلة اقدم من الطبقة 17 في كهف هوافتيح الذي أرخ بمنتصف الالف الرابعة عشرة قبل الميلاد [115] وهو يفترض أن الهجرة تمت من الشرق ، وقد توغلت هذه الحضارة في الجنوب بظهور مواقعها في الهامل ببوسعادة وفي الاغواط وربما إمتدت أكثر في الجنوب رغم وجود أدلت تثبت ذلك ، وبالتالي فاننا نفترض إنتقال سكاني نحو الجنوب تم في المرحلة المتطورة التي تبدأ في الالف التاسعة قبل الميلاد [116].

تتميز هذه الحضارة بأن أدواتها قزمية حيث يتراوح حجمها بين3و7 سنتمترات ، وتتضمن النصال بصفة خاصة وهي تتخذ عدة أشكال منها ماهو مشذب القاعدة أو مدبب ، ويوجد أيضا المكاشط والمسننات ، أدواتها تتكون من حجارة الكوارتز والحجارة البركانية والصوان، كما ان أدواتها غالبا ما تتخذ اشكالا مستطيلة أو مثلثية [117] .

وحول الاطار الزمني للحضارة الايبرومغربية نقلت الباحثة جينات أوماسب عن الباحث محمد بطروني قوله : إن موقع سيدي سعيد الذي أعطت طبقاته الاثرية بقايا للحضارة المستيرية والعاترية ، وانه مع نهاية العاترية تظهر دلائل على وجود مظاهر لحضارة أخرى بدات في حدود 25 ألف قبل الميلاد ، حيث عادت الاقامة الاسنانية في هذه الفترة بعد أن هجرت المنطقة عقب نهاية العاترية وهذا ما تظهره البقايا الاثرية للحضارة الايبرومغربية ، وتشير الباحثة أوماسيب إلى وجود مواقع أخرى في الشرق الجزائري تعود إلى الايبرومغربية، والتي تميزت بكثرة النصال الصغيرة ، وكثرة إستخدام العظام[118].

ومهما كانت بداية الايبرومغربية فهي في الغالب بين 25.000 و19.000ق.م ، أما نهايتها فقد تكون بين 9000 و7000 ق.م ، لكن المواقع التي عثر فيها على العشرات من البقايا الانسانية في منطقة الازواد في مالي وفي منطقة الكيفيانkiffian في وسط النيجر وكلاهما يعودان إلى إنسان كرومانيون وهو نفس السلالة من الانسان العاقل العاقل الذي ينتمي إليه إنسان المشتى ، قد جعل بعض الباحثين

---

*العصر الحجري القديم الاعلى في أوربا يتراوح زمنيا بين 50ألف و10 آلاف قبل الميلاد

[115]محمد الصغيرغانم (2003)المرجع السابق ، ص89

[116]محمد سحنوني(1990المرجع السابق. ص118

[117]محمد الصغيرغانم (2003)المرجع السابق ، ص84

[118]Aumassip g(2001), L'Algérie des premiers hommes Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme, 2001,paris , p59

يطرحون فرضية إستمرار تواجد المشتايون إلى الالف الرابعة قبل الميلاد في أقصى جنوب الصحراء، وأنهم من الممكن أن يكونوا قد عبرو إليها عن طريق المغرب الاقصى .

وتتزامن الايبرومغربية مع كل من الحضارات السوليتيرية* Solutréen والبادوغولية Badegoulien ** والمجدلاني Magdalénien *** وهي من حضارات العصر الحجري القديم الاعلى في أوربا ،وقد الباحثون بتقسيم الحضارة الايبرومغربية إلى ثلاثةمراحل ، وقد تميزت القديمة منها بندرة أدواتها ذات الاشكال الهندسية ، ومن المواقع التي تمثلها : تافوغالت بالمغرب الاقصى ، موقع راسل تيبازة ، وموقع المقطع قرب ققصة ، أما المرحلة الوسطى فقد تميزت بأشكالها الهندسية بوجود صناعة عظمية ، من مواقعها موقع الخنزيرة وتافوغالت وبالمغرب الاقصى وموقع الهامل وكولومبناطة بالجزائرمع كثرة النصال المضروبة الظهر في موقعى المويلح وتافوغالت ،والمرحلة المتطورة التي اصبحت ادواتها دقيقة اكثر معكثرة النصال المضروبة الظهر ، وإستمرار إستخدام العظام ، وقد وجدت مواقعها خاصة في السواحل المغربية مثل موقع تمارا وبوسكرة وفي بعض المواقع الجزائرية مثل الهامل [(119)]

الانسان الايبرومغربي :

البقايا الانسانية المكتشفة في دار السلطان 2 سنة 1975 قد أظهرت بقايا إنسانية ، قام الباحث فرامباش بمقارنتها بالبقايا الانسانية التي تمثل إنسان المشتى في كل من تافوغالت ومشتى أفالو وإنسان وادي حلفا wad i Alfa شمال السودان من جهة وبين إنسان دار السلطان 2 وإنسان جبل إيغود Djebel Irhoud الذي يعود إلى الحضارة الموستيرية ، وأظهرت النتائج أن إنسان دار السلطان 2 يبتعد قليلا عن صفات إنسان المشتى في كل من تافوغالت ومشتى أفالو من حيث ملامح الفزيولوجية وعرض وحجم الجمجمة ، ويقترب نوع ما بصفات إنسان حلفا ، أما بينه وبين إنسان جبل إيغود فهناك بعض الصفات المشتركة مع وجود إختلاف وبذلك فان إنسان دار السلطان 2 يحمل صفات النيادرتاليين إظافة إلى صفات إنسان

---

* السوليتيرية Solutréen بين 22 ألف و 17 الف سنة قبل الميلاد وهي محدودة في فرنسا وإسبانيا بسبب الجليد ، تستمر في التواجد إلى أن تخلفها البادوغولية Badegoulien ثم المجدلانية .Magdalénien

** البادوغولية Badegoulien و هي حضارة محدودة زمنيا بما بين 17 الف و10آلاف سنة قبل الميلاد ، وفي المكان في جنوب غرب إسبانيا ووسط فرنسا ، فيب يعض الاحيان تسمة المجدلانية البدائية أو القديمة .

*** المجدلانية Magdalénien بين 17 ألف و 10آلاف قبل الميلاد وهي مختلفة عن السوليتيرية و البادوغولية ، لديها أدوات مختلفة منها : مكعبات حجرية ، إنتشرت وإمتدت في كامل أنحاء أوربا ، أصولها الاولى تعود إلى غرب و جنوب إسبانيا ووصلت إلى بولونيا ومنطقة البلقان كما وصلت إلى سيبيريا ويحتمل أنها إمتدت في الشرق الادنى .

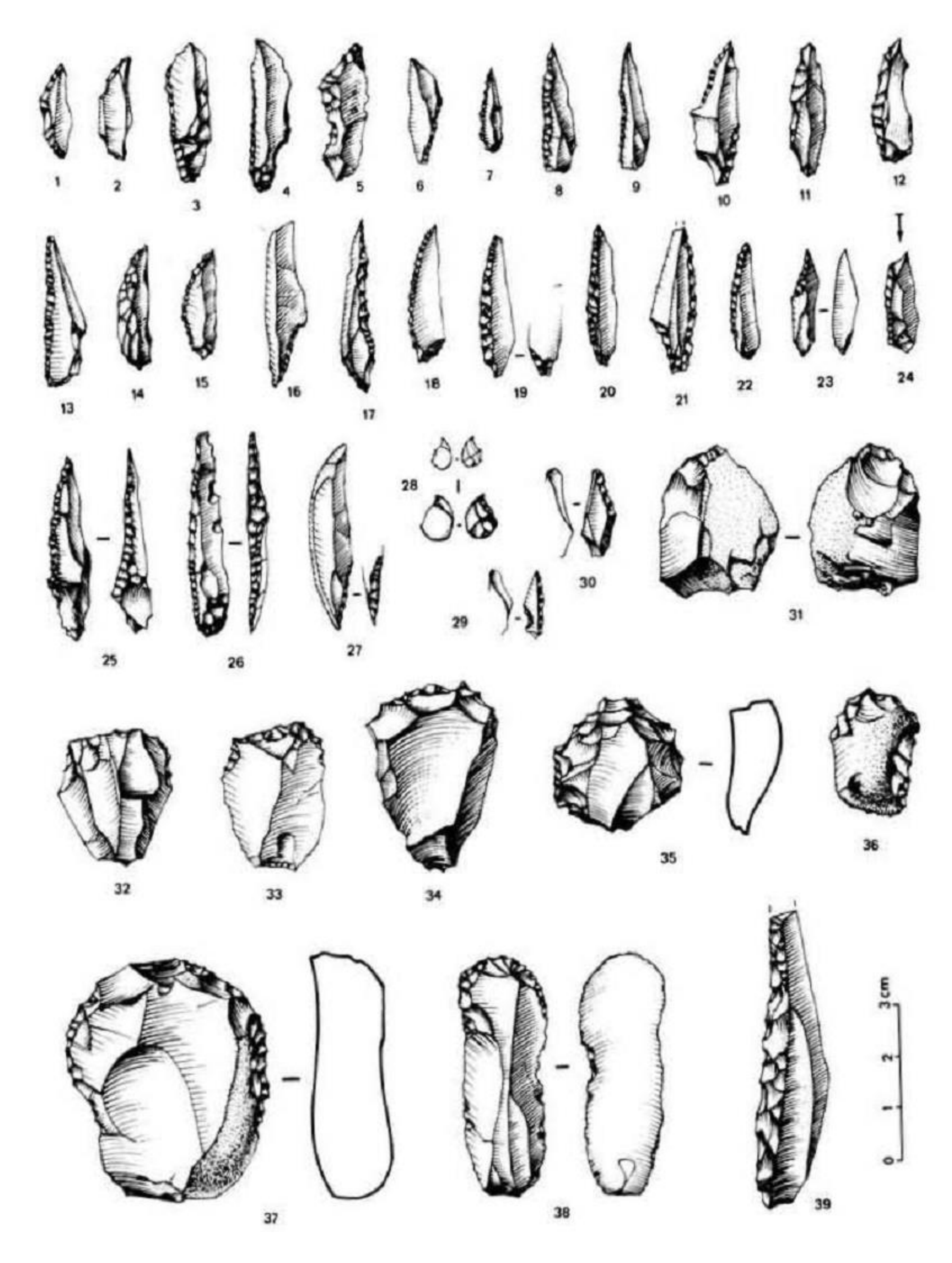
[(119)] محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق ، ص87-88

المشتى خاصة المكتشف في جبل حلفا في النوبة ، كما النتائج خلصت إلى أن هذا الانسان لا يمثل العاترية ، فهو بمثابة مرحلة وسطى بين النيادرتاليين في جبل إيغود وبين إنسان المشتى(120)

يعتقد الباحثون أن الصحراء كانت خالية من السكان فيما بين 20.000 و 10.000 قبل الحاضر الذي يصادفالمرحلة الجافة الثالثة بعد العاترية ، بينما بلاد المغرب ومنطقة الساحل كانتا مليئة بالسكان، بالنسبة للمناطق التي تعرف اليوم بالساحل فقد بقيت بمنئ عن الجفاف بفعل الامطار الموسمية والتي من الممكن أن جبال الصحراء الوسطى كالهوقار قد تاثرت بها أيضا ، ومن الممكن أن العاتريين قد إتجهوا إلى تلك الانحاء حيث بقيت بعض البحيرات صامدة، أما بلاد المغرب فلا شك أنها تاثرت ببعض الرطوبة والبرودة القادمة من أوربا (121) .

(120)Ferembach D. Les restes humains de la Grotte de Dar-es-Soltane II (Maroc). Campagne 1975. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, XIII° Série, tome 3 fascicule 2, 1976 ,pp 188-190.

(121)Robert Vernet,(2007) op.cit.p36



الشكل رقم 23: أدوات إيبرومغربية في موقع كهف راسل rassel بتيبازة (الجزائر)

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique ...op.cit. p65



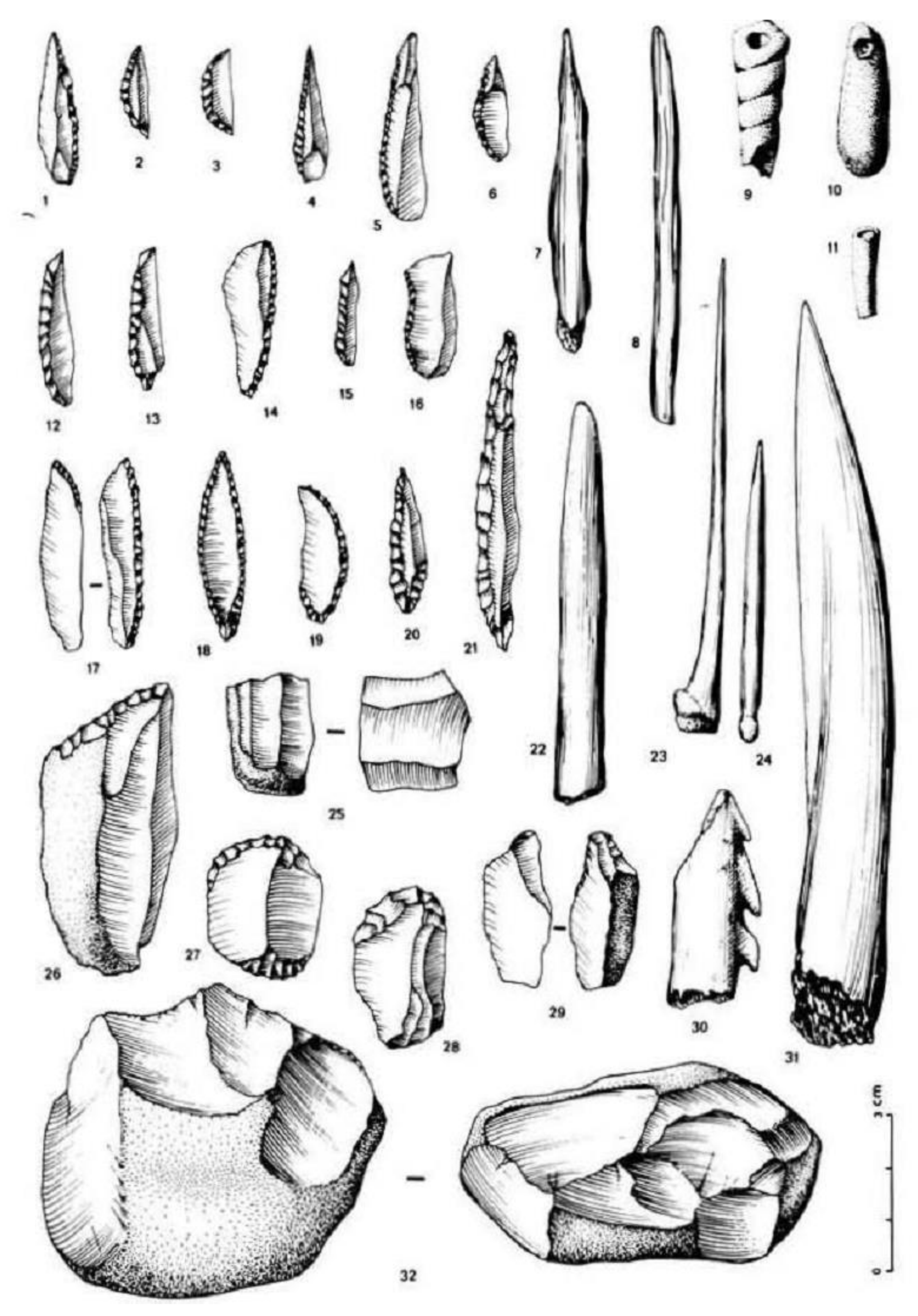

الشكل رقم 24: جمجة إنسان المشتى الايبرومغربي الشكل رقم 25 : إنسان كرومانيون الاوربي

إنسان المشتى إكتشف قرب قسنطينة نلاحظ ممارسة عادة قلع الضرس للفك العلوي وهو ما نجده ايضا لدي الانسان القفصي بالنسبة للفك السفلي .

المصدر : lional balout ,(1958) l'algerie prehistorique...op.cit, p94




الشكل رقم 26 : مقارنة بين الانسان العاقل على اليمين والانسان الحديث على اليسار



الشكل رقم27 : الايبرومغربية في تافوغالت (المغرب الاقصى)

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique ...op.cit. p74

الحضارة القفصية :

سميت هذه الحضارة بهذا الاسم نسبة إلى موقعا النموذجي قرب قفصة والذي قام بدراسته دي مورجان ، وهي حضارة داخلية على عكس الايبيرومغربية تتكز أثارها قرب السبخات والاودية وقد أطلق الباحثون على هذه المواقع اسم الحلزونيات أو الرماديات لوجود كميات كبيرة من أصداف الحلزون المتراكمة في المواقع ، توافرت العديدمن المواقع لهذه الحضارة في تونس والجزائر منها موقع المقطع قرب قفصة في تونس وموقع عين الذكارة قرب تبسة وموقع كليموناطة في تيارت .

إزدهرت هذه الحضارة بعد جليدة الفورم أي بعد 12.000 قبل الحاضر فهو يمثل الايبومغربية الايبي باليوليتية والقفصية وحضارات النيوليتي ، وقد وجدت مواقع عديدة لهذه الحضارات في الصحراء (122) .

كان الباحث مورغان هو أول من تعرف على الحضارة القفصية سنة 1909 ، وقد سماه بول بلاري بإسم الجيتولية ، من خلال دراسة موقع المقطع ElMekta قرب قفصة، والمواقع القفصية عادة تكون قرب مصادر الماء البحيرات والانهار في الهواء الطلق أو في الممرات الجبلية ، أو في قمم مشرفة على السهول ، كما أن الرماديات تكشف عن وجودها ، أدواتها في بعض الاحيان تشبه الاورجناسية *Aurignacienneالاوربية أدواتها تشمل النصال والشفرات وذات الزاوية والازاميل والمكاشط معظم ادواتها ذات زوايا حادة (123) .

---

(122)Henry N. Le Hou´erou,op.cit.p633

*الاورجناسية Aurignacienهي إحدى حضارات العصر الحجري القديم الاعلى بين 38 و29 ألف سنة قبل الميلاد تتكون أدواتها خاصة من النصال ورؤوس السهام وقد عرفت إستخدام العظام ، تنقسم إلى قسمين الاورجناسية القديمة والاورجناسية المتطورة ، إنتشرت في منطقة واسعة تمتد من جنوب فرنسا إلى رومانيا بما فيها إيطاليا ، القديمة منها كانت في بلغاريا وإسبانيا ثم تواصلت في حوض نهر الدانوب وجنوب غرب فرنسا ووسط إيطاليا ، ثم المتطورة إنتشرت في ألمانيا وفي فرنسا ، وهناك دراسات حديثة إكتشفت بقايا للحضارة الاورجناسية تعود إلى 43 الف سنة في ألمانيا وبلغاريا .

(123)GobertE.(1910)Recherches sur le Capsien 1ère série .In :Bulletin dela Société préhistorique française ,1910 .tome 7 , N °11 ,pp595-596

وشهدت هذه الحضارة إستخداما واسعا لبيض النعام حيث يثقب ويستخدم لأغراض مختلفة كما يتم النقش على بيض النعام، والنقوش على القواقع هي من بين المظاهر الفنية لهذه الحضارة أيضا أما الفخار فهو نادر جدا[124]

يعتقد هوجو أن القفصين الذين وصلو إلى الصحراء الشمالية ضلوا صيادين ولم يقوموا بتدجين الحيوانات ، غير أن بعض الباحثين مثل مليكة حشيد تعتقد أنهم مسؤولين عن جانب من الفن الصخري.

ويلي من الناحية الكرونولوجية الحضارة الوهرانية أو الحضارة القفصية . وهذه الحضارة بدورها كان قد أطلق عليها في بداية اكتشافها سنة 1909 بالحضارة والصناعة الجيتولية (Industrie getule) . لكن التشابه بين أدوات هذه الصناعة وأدوات الأدوار الأولى من العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا وخاصة الحضارة الأوريجانسية (Aurignacien) ، دفع الباحثين إلى المزيد من التحري والتقصي وإعادة النظر في المكتشفات الأثرية ، قام بها كوبير .وقد ألقيا أضواء جديدة على الموضوع وخاصة بعد استخراجهم للأدوات الدقيقة باستعمال الغربال مما يوضح أن الإنسان القفصي كان يستعمل أدوات دقيقة شبيهة بالأدوات الميكروليثية التي تميز العصر الحجري الوسيط (Mesolithique) . مما دفع بكوبير وقوفري إلى إرجاع هذه الصناعة إلى العصر الحجري الوسيط .إذا أضفنا إلى هذا أن مواقعها سطحية والكثير منها على هيئة تلال مكونة من تكديس الرماد وفضلات الطعام التي تركها الإنسان القفصي والمتكونة أساساً من الحلزون ، مما جعل الباحثين يطلقون عليها الرماديات أو الحلزونيات.

ومن ميزات الحضارة القفصية أنها أقل انتشاراً في المكان والزمان ،إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس ، وخاصة جهتي قفصة وتبسة . كما تمتد إلى شرق الجزائر وخاصة جهة سطيف وقسنطينة ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت . ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحد الآن في المغرب والصحراء . لكن يبدو أنه عثر على ما يشبه هذه الصناعة في الواحات المصرية وجنوب مصر وشمال السودان .أما من الناحية الزمنية ، فقد أثبتت التحاليل المخبرية باستعمال الكربون C 14 أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الوهرانية ولم تعمر إلا مدة قصيرة نسبياً تتراوح ما بين منتصف الألف السابع والألف الرابع قبل الميلاد .

من مميزات هذه الحضارة : صناعة الشفرات المطروقة على الظهر وكثرة الشظايا والمحكاتة والمخارز وكثرة الاشكال الهندسية بالاظافة الى صناعة العظام[125].

تمتد هذه الحضارة زمنيا من الالف الثامنة حيث يؤرخ موقع عين الناقة قرب الاغواط 7350 قبل الميلاد

---

[124]Gobert(1910) op.cit.pp 602-604E

[125]محمد الصغير غانم (2003)المرجع السابق. ص97.

بينما يؤرخ موقع كليموناطة ب 4390 قبل الميلاد [126] وربما استمرت هذه الحضارة بعد هذا الزمن ، والجدير بالذكر أن بعض مواقع هذهالحضارة وجدت قربها مواقع للفن الصخري خاصة في الاطلس الصحراوي مما يدل علىإرتباط واضح بين القفصيين والفن الصخري.

كما أن التشابه الحضاري للحضارة القفصية مع الحضارة السبيلية في مصر والنطوفية في فلسطيين يجعلنا نعتقد بوجود إتصال حضاري بين إنسان الشرق الادنى وإنسان بلاد المغرب فبصمات الحضارة النطوفية يمكن ملاحظتها في كهف هوافتيح ، وفي الموقع نفسه توجد أثار صناعة عظمية وقشور بيض النعام القفصية التي تؤرخ ما بين 9000 قبل الميلاد و7000 قبل الميلاد ،وفي مصر نجد تأثيرات الحضارة القفصية في واحة الخارجة والداخلة حيث وجدت المكاشط والمحكات والنصال المثلثة ، وكذلك في موقع الفيوم وكوم إمبو و حلوان ، وقد ذكر الباحث كوتفيل وجود هجرة للحضارة القفصية الى مصر ، على عكس الفرضيات الأخرى التي تذكر أن الانتقال كان من مصر باتجاه بلاد المغرب وتجعل الحضارة السبيلية مؤثرة في القفصية [127].

والحضارة السبيلية وجدت في موقع التانزروفت في الصحراء وقد صنفها الباحثون ضمن العصر الحجري الوسيط[128] ، من جهة ثانية إمتدت الحضارة القفصية في الجنوب إلى الصحراء الوسطى مثلما إمتدت إلى مصر وربما توغلت في عمق آسيا حيث لوحظ تشابه بين الحضارة الدرافيدية في الهند والحضارة القفصية ، كما أن القفصية كانت معاصرة للحضارة التردونوازية الازيلية في اوربا حتى لقد طرحت فكرة تأثيرات حضارية للقفصيين على أوربا وبالتالي إنتقال سكاني محتمل .

بين أنسان مشتى العربي وانسان البحر المتوسط:

ذكر ليونال بالو أن إنسان مشتى العربي لم يكن موجود في الحضارة القفصية النموذجية ،وهو يعتقد أن انسان مشتى العربي كان له إتصال مع البحر المتوسط ،وبالتالى فلا توجد له علاقة بالقفصية على عكس مايذكر الباحث قوبرت وفوفريE G Gobert et Vaufery اللذان اعتبرا أن الإيبيرومغربية هي الحضارة الساحية للقفصية [129] ، كما يذكر بالو أن الجنس البربري قد يكون متحدر من الجنس القفصي ، وأن الطقوس المدفنية لدى القفصيين إستمرت في التواجد لدى البربر فيما بعد [130]، في حين يعتبر الباحث سليمان حاشي والباحثة حاشيد بالاظافة إلى الباحث سليم شاكر أن أوائل البربر ينتسبون إلى إنسان المشتى الايبرومغربي الذي وجدت له العشرات من الجثث فيوقع أفالو بورمال ببجاية [131] ، غير أن هذا

[126]محمد الصغير غانم (2003)المرجع السابق. ص100.

[127]المرجع نفسه ، ص107.

[128]Camps g (1974)op.cit.pp192-194

[129]Hachi Slimane (2003), Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou ,Les Gisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors ,Algérie),Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2.p12

[130]Balout(1955)prehistoire de l’afrique du nord, essai de chronologie ,art et métier graphique .paris.p437

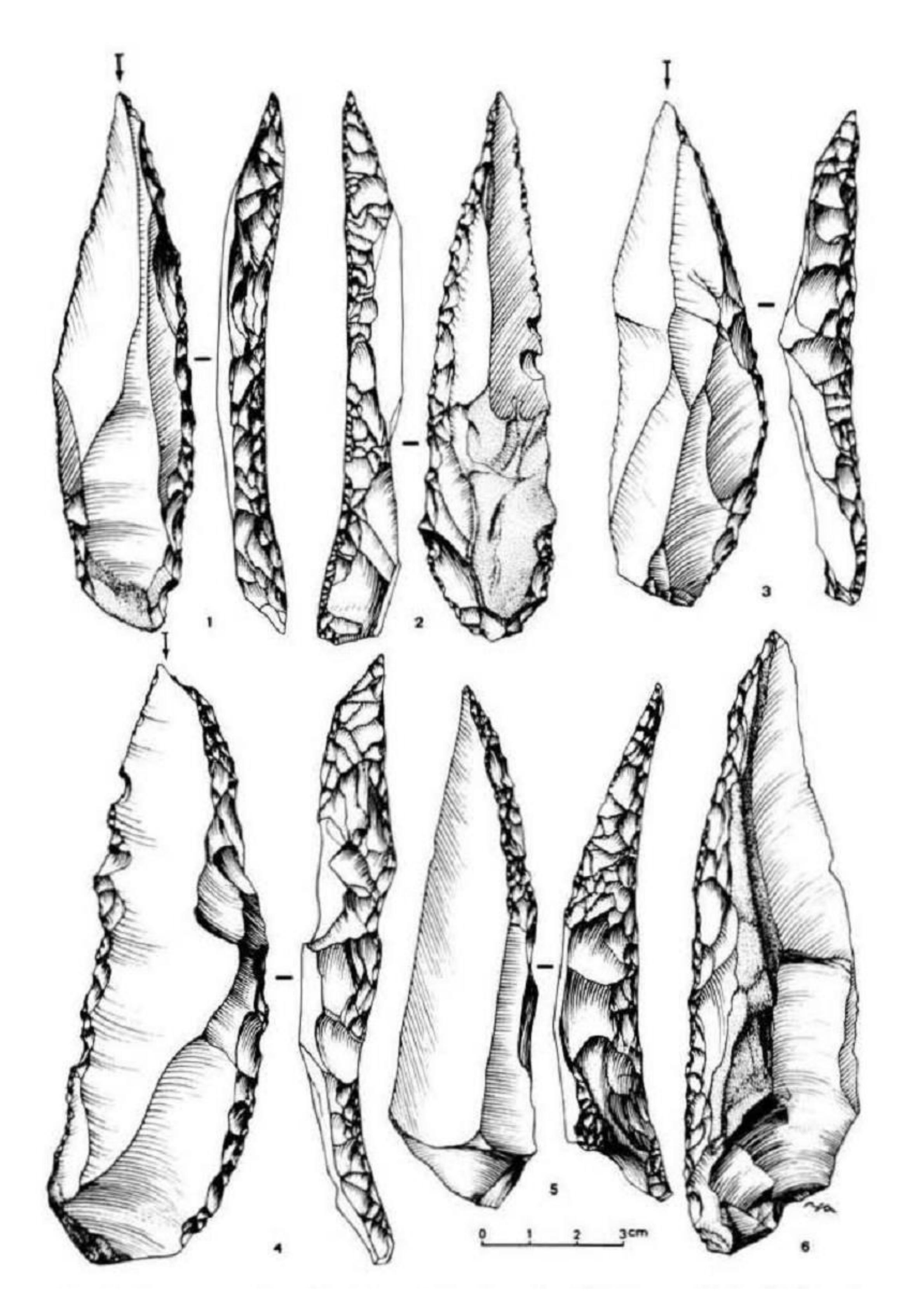
[131] ينظر :

الطرح يغفل الانسان القفصى الذي جاء من حيث الزمن بعد إنسان المشتى وإستمر إلى بداية العصور التاريخية ، وهو قد يكون مسؤولا على جانب كبير من الفن الصخري سواء في جبال الاطلس الصحراوي أو منطقة الطاسيلي والهوقار .

ونحن نعتقد ان أوائل البربر لم يكونوا من اصل واحد فجزء منهم قد يكون من بقايا المشتاويون الذين سكنوا الجبال بعد غزو الانسان القفصى لكامل شمال إفريقيا ، الجزء الاخر هو من القفصيين ولعه الجزء الاكبر لان هناك دلائل على وجود القفصية إلى غاية الالف الثالثة قبل الميلاد وربما إلى الفترة التاريخية، أما الجزء الثالث المكون لسكان شمال إفريقيا فهم الشعوب التي قدمت من الشرق * وهم راكبوا الخيول والعربات والذين عبروا عن فنهم في جبال الاطلس و الطاسيلي والهوقار ، حيث إصطلح على تسميتهم بالشعوب الليبية البربرية .

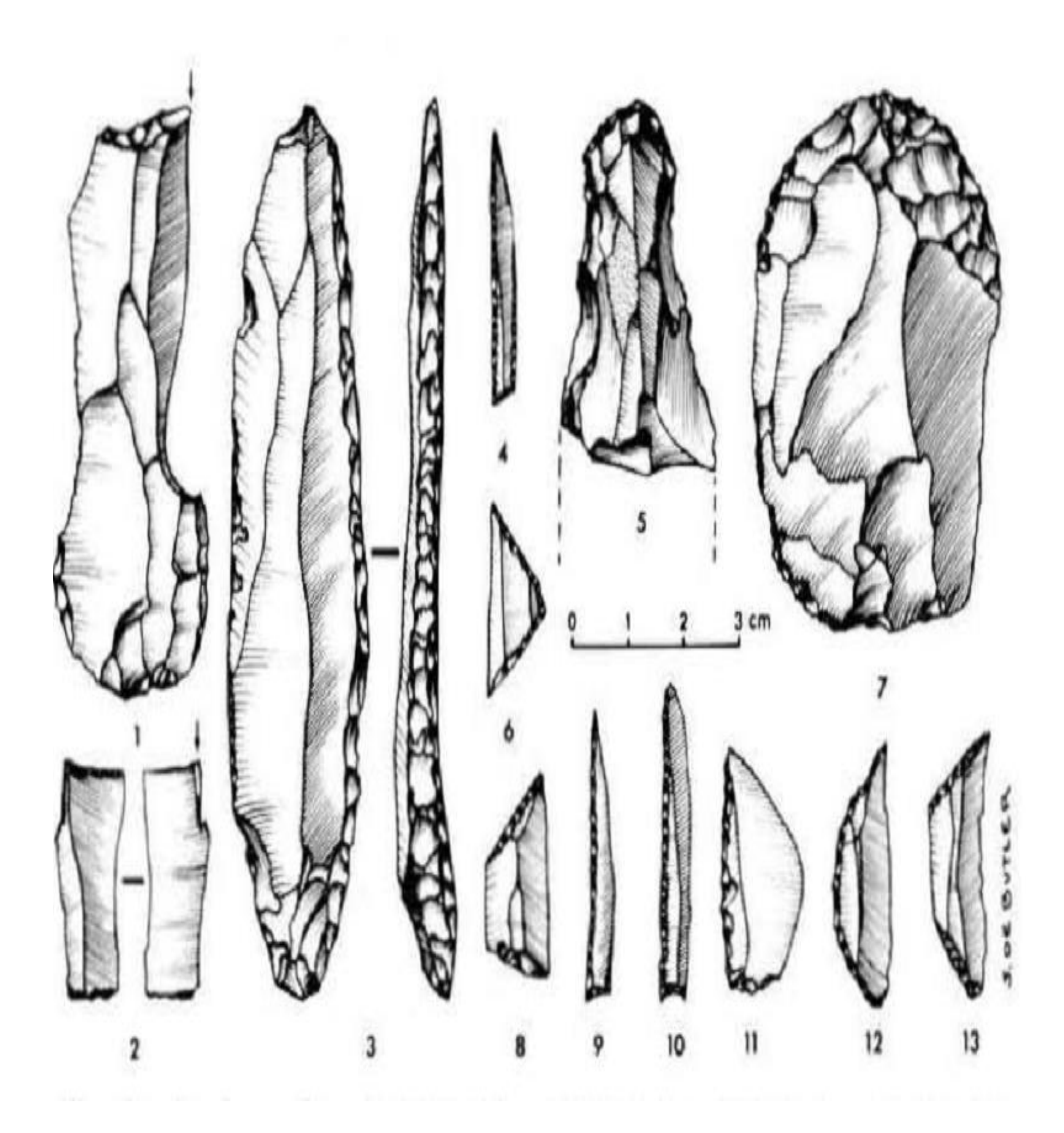
Hachi S., 1998, « Une approche anthropologique de l'art figuratif préhistorique **d'Afrique du** Nord ,« Études et Documents Berbères ,16-15 ,p. 163-184 (2000)**,**Hachid M., 2000 ,Les Premiers Berbères entre Méditerranée, Tassili et Nil) ,en particulier pages 229 à 268). Ina-yas, Alger – Edisud, Aix-en-Provence**,**D .Abrous and S .Chaker »,Kabylie : Cosmogonie ,« Encyclopédie berbère | 26 ,Judaïsme – Kabylie ,Aix-en-Provence, Edisud, 2004, p. 4086-4093

* يعتقد بعض الباحثين أن هؤلاء من شعوب البحر الذين يرجع أصلهم إلى سواحل البحر الاسود .



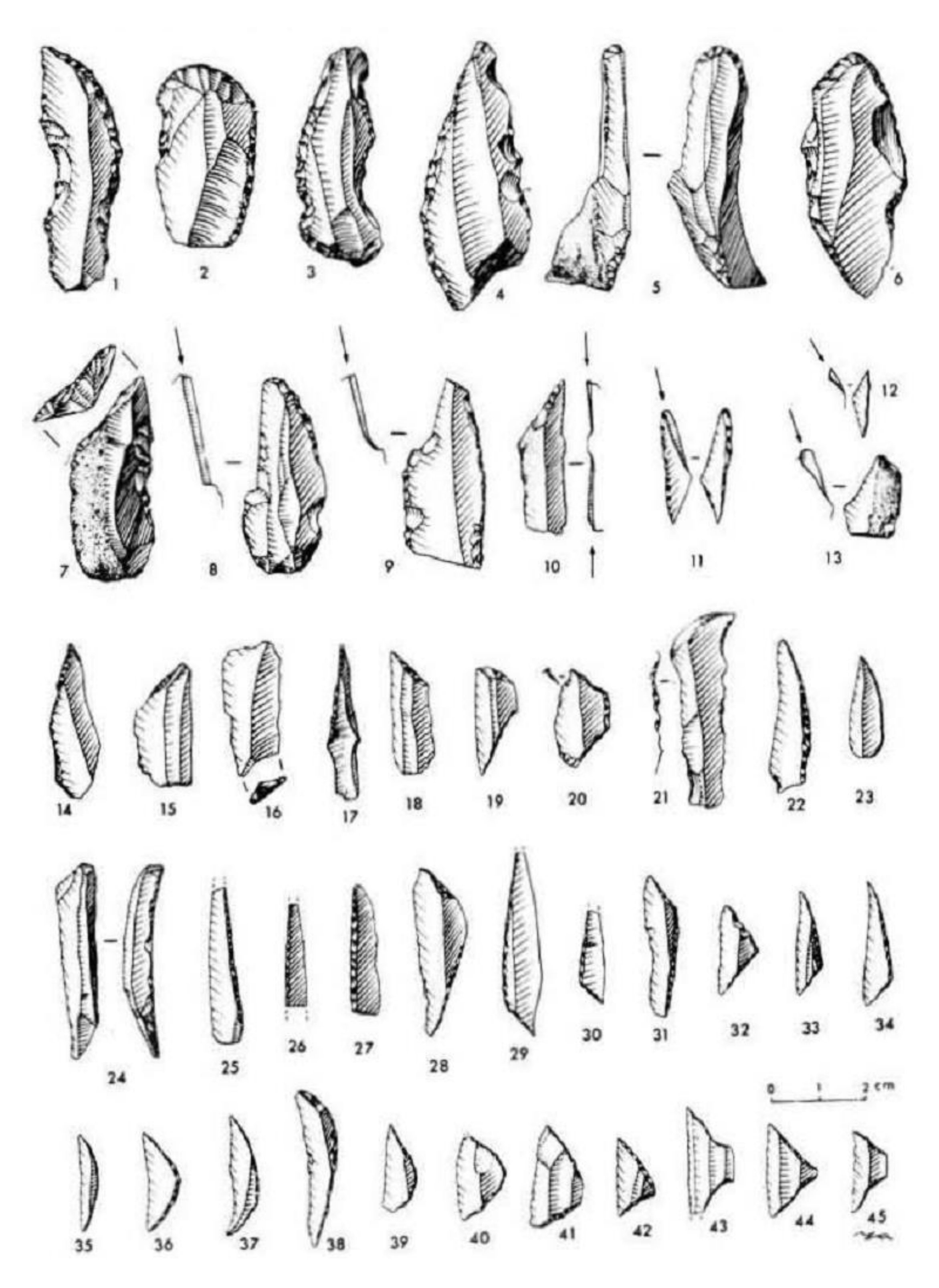
الشكل رقم 28 : سكاكين ومسننات ذات ظهر مطروق للقفصية النموذجية ، عين أوسيرا (تبسة)

المصدر : Camps G (1974), op.cit. p105



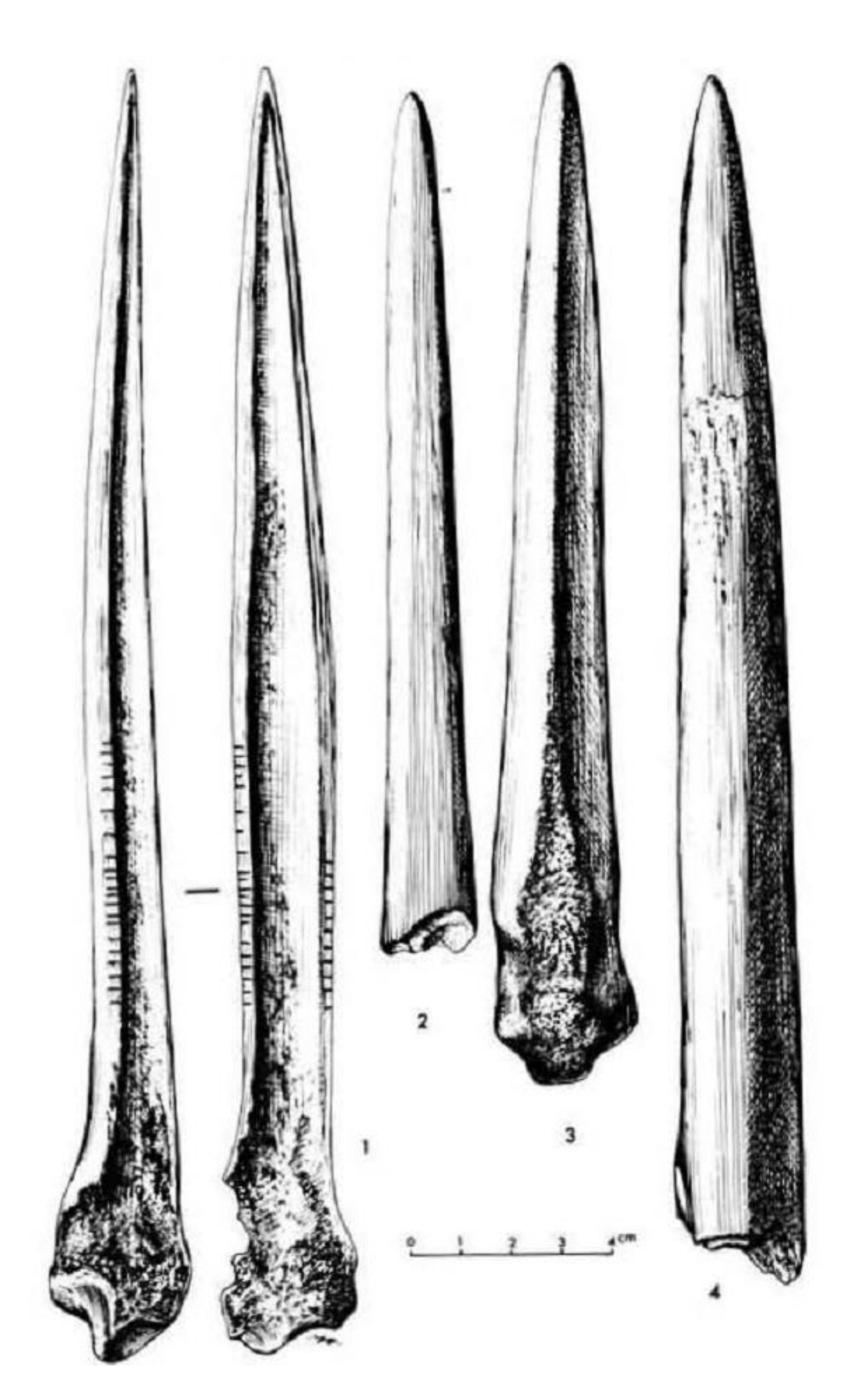
الشكل رقم 29 : القفصية العليا في مواقع النمامشة

المصدر : Camps G (1974).op.cit. p122



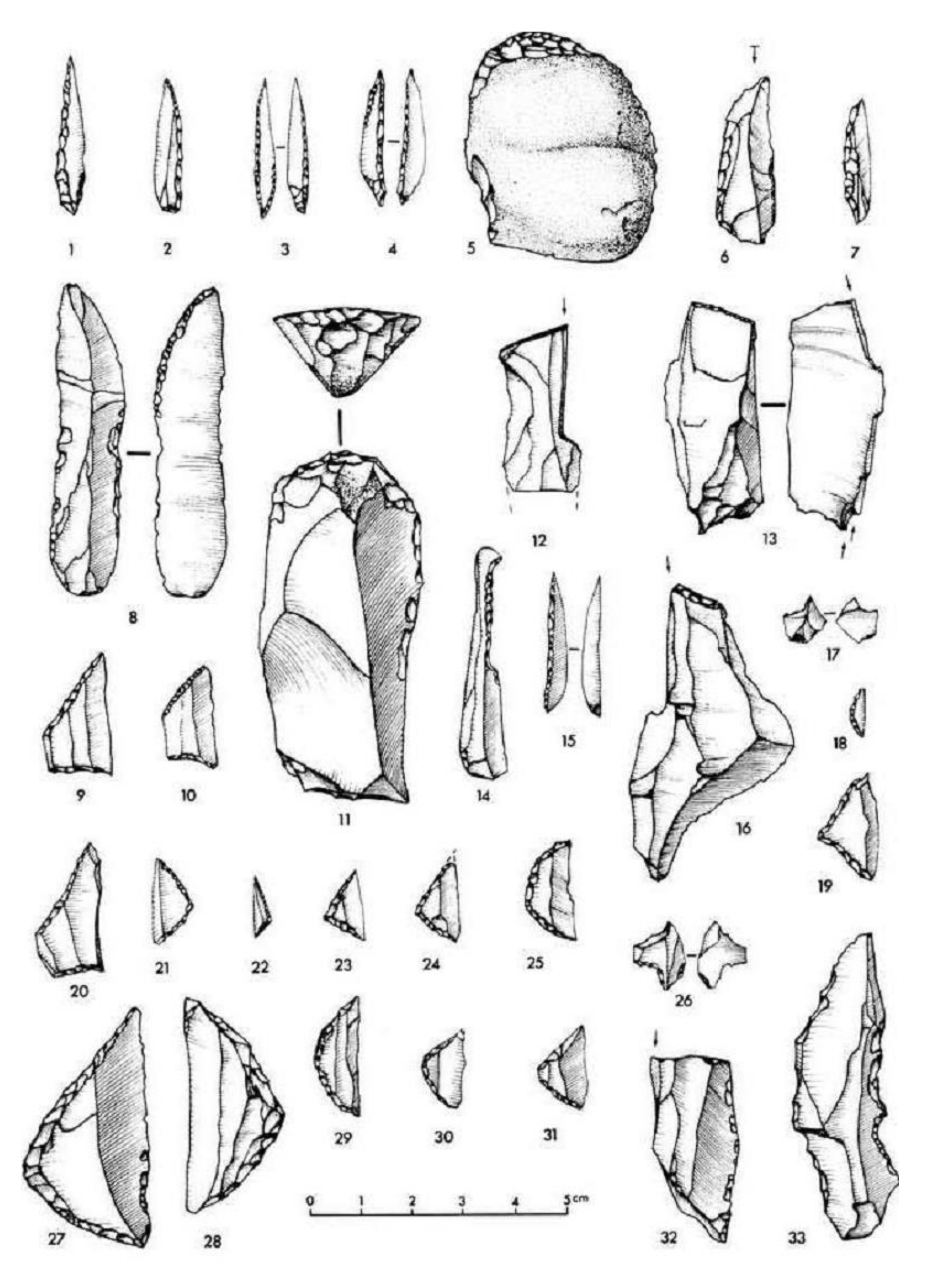
الشكل رقم 30: القفصية العليا في غارة الطرف بقسنطينة

المصدر : Camps G (1974). op.cit. p127



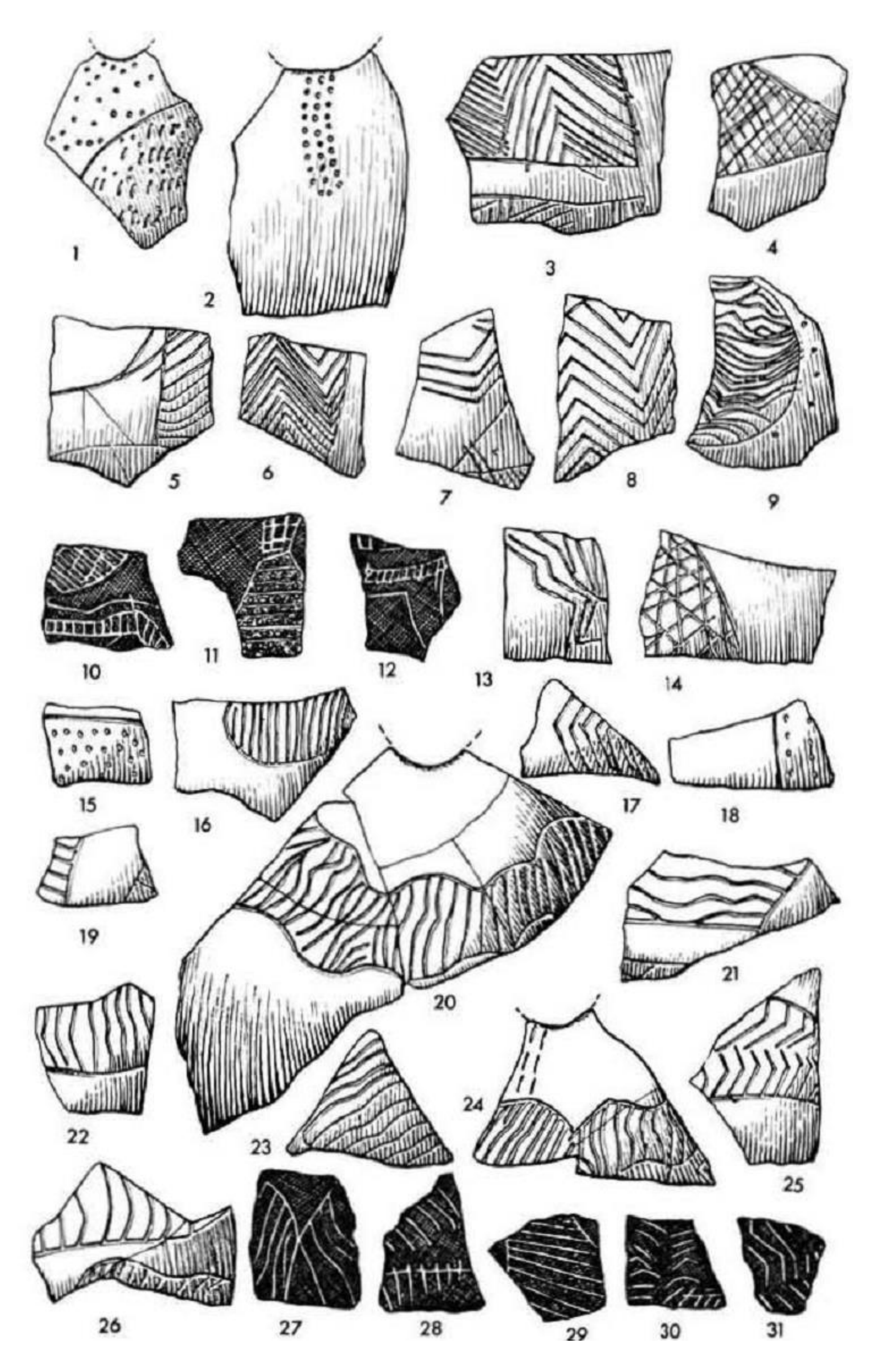
الشكل رقم 31: الصناعة العضمية للقفصية العليا في موقع مشتى العربي

المصدر : Camps G (1974).op.cit. p133



الشكل رقم 32 : صناعة قفصية في أولاد جلال بسكرة على أعتاب الصحراء

المصدر: Camps G (1974). op.cit. p142



الشكل رقم 33: بيض النعام المزخرف من أكبر خصائص الحضارة القفصية العليا

1-14 منطقة تبسة ، 15-30 مواقع تونسية

المصدر : Camps G (1974).op.cit. p183

لا يمكن تحديد حضارة معينة ظهرت خلال العصر الحجري الحديث ولكم من المعتقد أن الحضارة القفصية إستمرت في التواجد خلال العصر الحجري الحديث ، وقد تميز هذا العصر عموما بالإنتقال الكامل من حياة الصيد والجمع والإلتقاط الى حياة الرعي والزراعة ،وإستقرار الانسان على ظفاف الانهار والبحيرات مماى يمهدلظهور أولى القري في فجر التاريخ والتي تتحول الى مدن في الفترة التاريخية .

ملامح العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب والصحراء :

يعتبر وجود الزراعة من عدمه هو المعيار الحقيقي فى الاستدلال على العصر الحجري الحديث ويطلق على ذلك إسم الثورة النيوليتية أو الثورة الإنتاجية وتعتبر أول ممارسة للزراعة في هيئة بستنه في المناطق المجاورة للسكن على هامش الصيد والجمع والمراكز الاولى التي بدأت فيها الزراعة واستئناس الحيوانات هي أحد وديان الجبال المحيطة بالعراق من زاغروس شرقاً حتى جبال لبنان وفلسطين غرباً ، فقدكان تشييد القرى الثابتة إحدى الظواهر المميزة في المرحلة الأولى للإقتصاد الزراعي الجديد .

وذلك إعتماداً على المؤشرات التالية :

– وجود أنواع برية مشابهة للقمح والشعير

–وجود حيوانات مشابهة للحيوانات المستأنسة

– وجود مناجل تعود للحضارة النطوفية .

وتحدد بعض الدراسات ظهور العصر الحجري الحديث في الشرق الادنى ب7000ق.م وفي اوربا بنحو 5000ق.م (فرنسا 3800 ق.م ،ايطاليا 5000ق.م) ، وفي الصحراء 6000 ق.م [132] ، وقد بدأ العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب في الالف الخامسة قبل الميلاد حسب تقدير الباحث ش ج هوجو hugot h g [133] ، ولكنهفي الصحراء أقدم بكثير لأن الفخار في الصحراء قد يكون معاصر لفترة ظهوره في الشرق الادنى ويمكن أن يكون أقدم فالتواريخ الاولى تصل الى الالف الثامنة قبل الميلاد ، أما الفن الصخري فهو أقدم بكثير قد يصل الى أواخر البلايستوسان مما يجعل بداية العصر الحجري الحديث الى الالف الثامنة قبل الميلاد .

وينقسم العصر الحجري الحديث (النيوليتي)في شمال افريقيا الى :

---

[132] محمد سحنوني. المرجع السابق ،ص 127.

[133] Hugot Hg (1974),Le Sahara Avant Le Désert, France:Editions Des Héspérides,p137

العصر الحجري الحديث الساحلي:

تظهر فيه تأثيرات أوربية خاصة في نوع الفخار الكردالي[134] المنتشر في جنوب أوربا ومن مواقعه في بلاد المغرب موقع أشقار قرب طنجة ، هناك تأثيرا أخرى قادمة من صقلية والجزر الايطالية تظهر أثارها في موقع جبل الذيب في تونس وموقع القالة بالجزائر .

العصر الحجري الحديث(النيوليتي) ذو التقاليد القفصية:

وهوينتشر في المناطق الداخلية تظهر فيها صناعة حجرية مختلفة كليا عن الصناعة القفصية النموذجية ، وتوجد خاصة رؤوس السهام ذات الوجهين إظافة الى المسننات والمكاشط و النصال والفؤوس المصقولة وأدوات الطحن ، كما تظهر الاواني الفخارية في الالف الخامسة ذات الاشكال المخروطية كما تظهر حلي مصنوعة من القواقع والحجارة الملونة.

وتمتد المواقع النيوليتية ذات التأثير القفصي الى الصحراء الشمالية ومنها مواقع :حاسي مندة وزميلة البركة ووادي زقاق وتؤرخ ب 5700ق.م و 4800ق.م وهي تحتوي على الفخار ومواقع أخرى لا تحتوي على الفخار مثل مواقع أولاد مية بنواحي ورقلة تؤرخ بحوالي 4720 ق.م الى 4200 ق.م [135]

ومن الملامح الحضارية لهذا العصر إنتشار واسع للمثاقب والمطاحن والمخارز وتطور الصناعة الحجرية لتصبح أثر دقة وتشذيبا ، اما الصناعة العظمية فقد أصبحت تمثا خناجر وإبر ، كما إستعمل بعضها كحلي وربما لأغراض الحماية السحرية حيث كانت تعلق حول الرقبة ، أما أهم ما يميز على العصر الحجري الحديث فهو الفن الصخري من نقوش أو رسوم وكذلك صناعة الفخار .

العصر الحجري الحديث(النيوليتي) ذو التقاليد الصحراوية السودانية :

سمي بالنيوليتي ذو التقاليد السودانية لانه كان يعتقد أن أصله من نواحي الخرطوم ، ومن الممكن أن المقصود هنا هو وجود أصحاب البشرة الزنجية ،غير أن دراسات قام بها كامبس في أمكني أثبتت خطأ هذا الاعتقاد ، ويقسم النيوليتي ذو التقاليد السودانية الى النيوليتي الصحراوي فالهوڨار وهو غني بالمواقع ونيوليتي في أدرار إفوراس والنيوليتي التلمسي ثم النيوليتي التينيري وأخيرا النيوليتي في تشيت بموريطانيا وفي الصحراء الغربية .

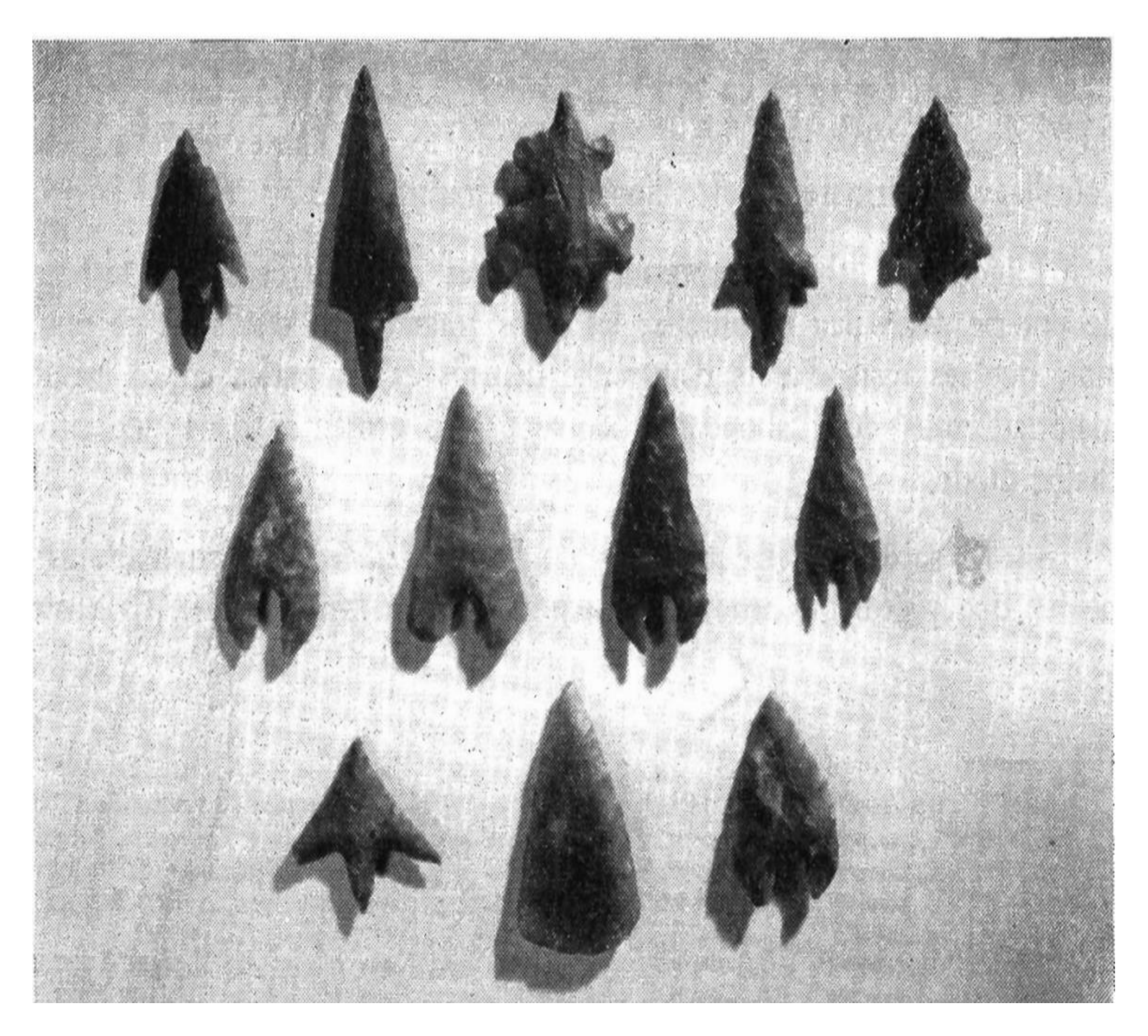
يتميز النيوليتي في الهوقار بتعدد مواقعه ومنها: أمكني ،منية ،ادرار تيووين tiououigne ،تمنراست ، وقد قام بإكتشافها الباحث كامبس ،تتعدد الادوات في هذهة المواقع ومنها المطاحن والمدقات الضخمة بالإظافة الى رؤوس السهام وصناعة عظمية غنية تمثل خصوصا في الخطاطيف والصنارة مما يدل

---

[134] الفخار الكردالي هو فخار مطبوع بواسطة قوقعة تدعى الكاريوم ، أنظر : محمد سحنوني المرجع السابق.ص 127

[135] المرجع نفسه ، ص 131

على صيد مكثف للأسماك ،الفخار في الهوقار غني جدا وذو زخارف بخطوط متموجة ومتقطعة يؤرخ بداية النيوليتي في هذه المواقع ب 6100 ق.م [136] ويعتبر موقع امكني أقدم تلك المواقع حيث يعود الى ما يقارب 7000 ق.م .[137]

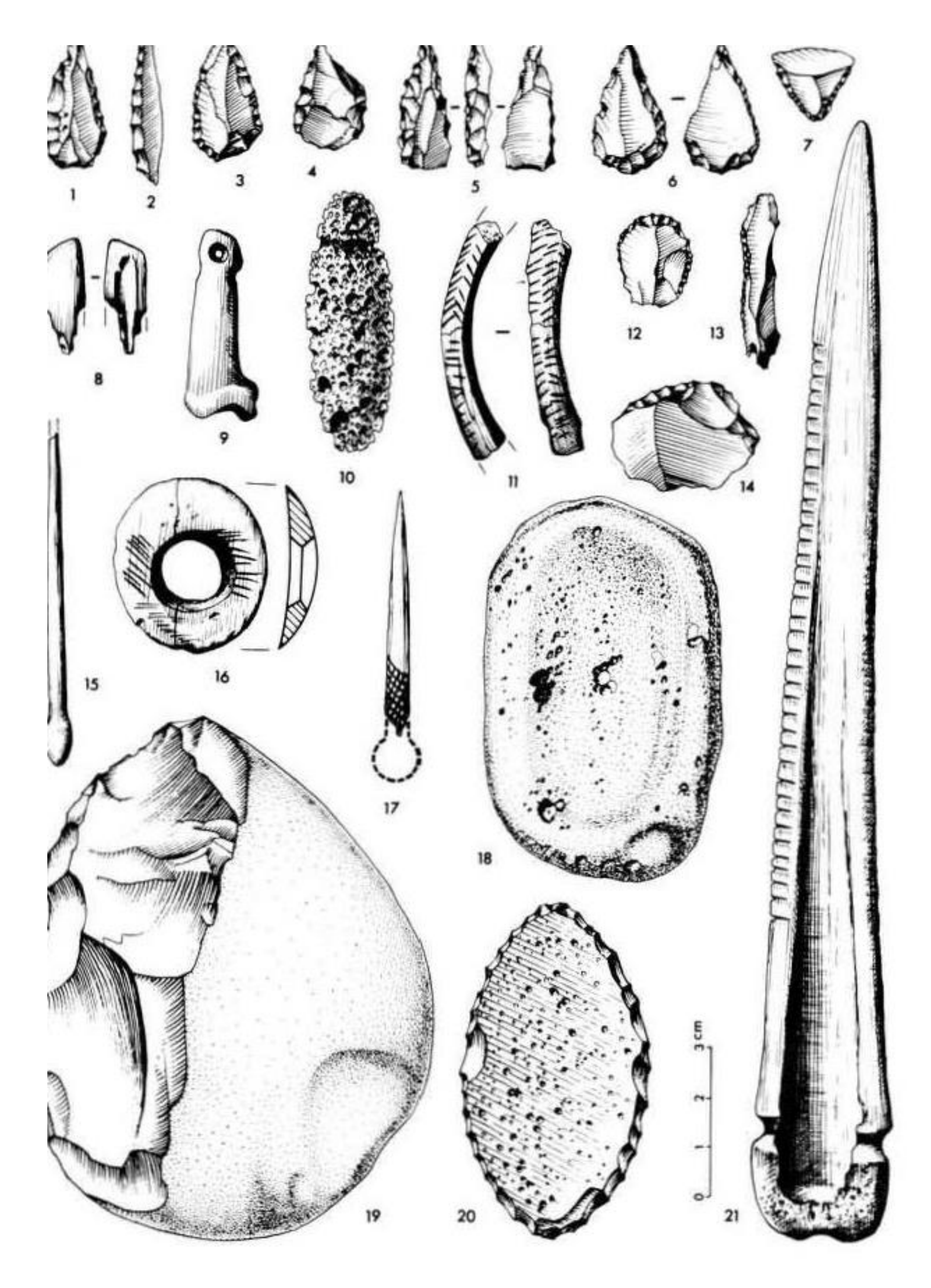


الشكل رقم 34 : رؤوس سهام إكتشف في موقع الأبيض قرب إليزي تعود إلى النيوليتي ذو التقاليد القفصية.

المصدر : aumassip et c. roubet(1966),op.cit .p76

[136] محمد سحجنوني ،ص ص 132-134

[1] Camps G (1974), p224[137]



الشكل رقم 35 : النيوليتي الصحراوي السوداني في موقع أمكني بالهوقار

المصدر : Camps G (1974),les civilisation Préhistorique ...op.cit. p233

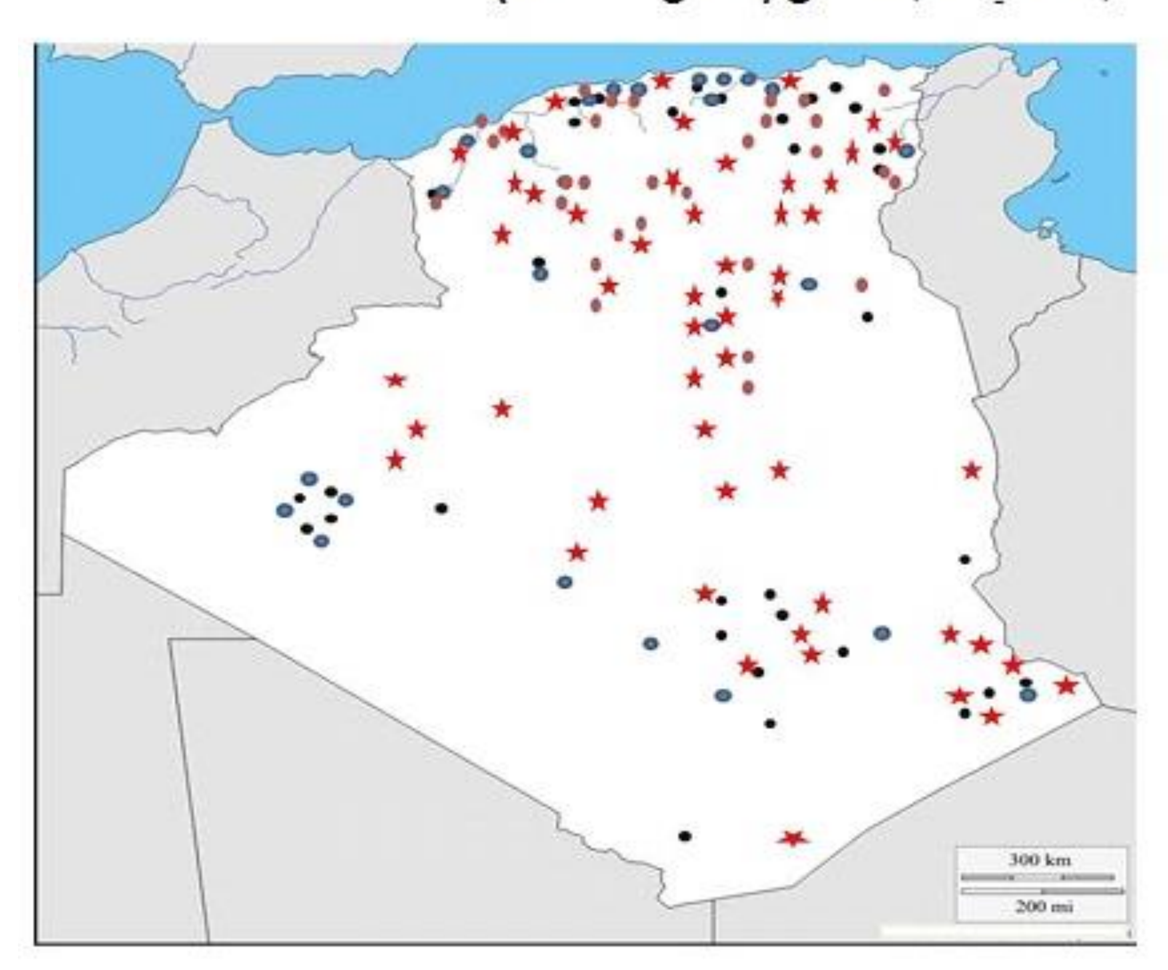
جدول رقم 01: مواقع النيوليتي في الصحراء

المواقع	التوريخ
كهف الديلوبيdelebo في الاينيدي	5230 ق.م (للفخار) و4905ق.م في الطبقة الدنيا
فوزيجيارن في تادرارت أكاكوس	6120 ق.م بالنسبة لموقد طهو
أوان تابو في تادرارت أكاكوس	5095 ق.م بالنسبة للفخار
وان موهيجاج في تادرارت أكاكوس	5480 ق.م بالنسبة لموقد طهو ،والمستوى الذي يليه أعطى زمنا يقدر ب 4000ق.م
وان موهيجاج في تادرارت أكاكوس	جثة طفل محنطة أعطت تاريخ يقدر ب 3455 ق.م
وان موهجاج في تادرارت أكاكوس	5400 ق.م بالنسبة للإقامة البشرية
أوان تلوكات بتادرارت اكاكوس	4800ق.م
تيتراس نلياس بالتاسيلي	موقد أرخ ب5450 ق.م
أمكني بالهوقار (حسب كامبسcamps	6100 ق.م بالسبة لبقايا جثة طفل
أمكني بالهوقار (حسب كامبسcamps	6700 ق.م بالنسبة للفخار
كهف وان أفود في الاكاكوس	7000 ق.م ± 110 بالنسبة للاقامة البشرية.
كهف وان تابو في الاكاكوس	من 7810ق.م ±75 إلى 6880±100 ق.م
كهف تين طره الشرقية في الاكاكوس	الطبقات العليا أرخت5070ق.م ±60

المصدر: Camps G (1974),op.cit. p223-224

الشكل رقم 36 : خريطة لمواقع ما قبل التاريخ في الجزائر

الجزائر في ما قبل التاريخ (المواقع الحضارية)



- ● مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل تمثل حضارة الحصى المشذبة والحضارة الاشولية
- ● مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط تمثل الحضارة الموستيرية والحضارة العاترية
- ● مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى أو اللاحق تمثل الحضارة الايبرومغربية والحضارة القفصية
- ★ مواقع تعود إلى العصر الحجري الحديث

الصحراء مركز حضاري كبير :

لم تكن شعوب ما قبل التاريخ معزولة عن بعضها ،بل كانت هناك اتصالات بين مختلف المناطق فقد وجدت أدوات حجرية في مناطق مختلفة من أوربا بينما هي في الواقع لا توجد إلا في مناطق معينة ، وقد يدل ذلك على نوع من التجارة القديمة[1(138)] .

وبالنسبة لشعوب الصحراء فإن الظروف الطبيعية كانت مساعدة جدا على التبادل الحضاري، فالأنهار كانت تخترق الصحراء الكبرى رابطة بن مناطق الصحراء الشمالية و الجنوبية والوسطي ،تقول في هذا الاطار الباحثة ماريان كورنوفا:m cornovinأن الشروط كانت مناسبة لحياة مزدهرة في الصحراء الرطبة ،وفي المقابل فإن طرق الاتصال كانت موجودة فعلا فالمجاري المائية والبحيرات الكبيرة كانت تسهل ذلك،فقد كانت تلك الفترة أحسن فترات الاتصالات بين مختلف المناطق من وإلى الصحراء ،ومن الممكن أن الاتصالات كانت تتم عن طريق الأنهار بالقوارب من الأطلس الصحراوي وحتى الهوقار ومن الساحل الليبي حتى فزان والتاسيلي ناجر والأكاكوس والتيبستي، فقد كان السكان القدامى في الصحراء بحارة جيدين كما تدل على ذلك نقوش ورسوم القوارب [(139)] .

وقد كانت الاتصالات بين الشعوب سهلة بسبب التجاور، وعدم وجود العوائق المتمثلة في الكثبان الرملية التي تشكل اليوم العروق ، والاراضي القاسية مثل الحمادة ،وقد أكد علماء الجيولوجيا بوجود مجاري مائية هامة في منطقة الصحراء الكبري والتي كانت تنبع من سلسلة جبال الأطلسي ومن الهوقار،ولا تزال الوديان الجافة من منطقة تشهد على ذلك رغم ما أصابها من ردم فمجرى وادي جرات كان نهرا كبيرا يشبه وادي النيل[(140)].

فالصحراء كانت مركزا حضاريا كبيرا وبفضل موقعها الجيد كانت تربط بين المنطقة الشمالية والعمق الافريقي ،كما أنه علينا تصور المناخ التضاريس مختلفين على اليوم ، فالعروق الكبيرة التي تمثل حاجزا رمليا يصعب الاتصالات الحضارية ،لا وجود لها في مرحلة ما قبل التاريخ بل علي العكس فقد كانت مروجا خضراء ،فلا وجود للعرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير ،أما الحمادة الحمراء وحمادة تانزروفت فقد كانت سهول خضراء، ومنطقة الساحل الافريقي التي يصيبها الجفاف اليوم كانت تعج بالحياة .

---

(138) Louis rené nougrier(1970) L' économie préhistorique .paris ,presses universitaires de france.pp7-18

(139) Marianne Cornovin(1982) les méolithique du sahara central .SPF . paris 1982 p 442

(140)Gerard jacquet (1999) l'arche du déluge . art du messak : messager du désert . edition vivrance gronable . France, p 19

وفي ظل ذلك الجو المناسب وفي ظل الأمان والسلام بين مختلف المجموعات السكانية ، أصبحت المنطقة جاذبة للسكان القادمين من الجنوب بفعل امتداد الغابات الاستوائية او القادمين من الشمال ، وهذا ما يفسر التنوع البشري الذي نجد ما يؤكده في الرسوم الصخرية [141]

فقد ساهمت الاتصالات بين الشعوب في خلق حضارة مزدهرة في الصحراء الكبرى ،كان الفخار واستئناس الأبقار القديم جدا والزراعة ابرز معالمها،ولكن أيضا تراث فنيا هو الأغنى في العالم ،من رسوم ونقش ونحت لتماثيل .

كان الاستقرار البشري في الصحراء الوسطى كثيفا مشابها للهلال الخصب فقد قامت حضارة مزدهرة قد لا تختلف عن الحضارات العظيمة في العصور القديمة ،شهدت عصرها الذهبي في النيوليتي، وإن كانت شواهدها اليوم هي الفخار والفن الصخري بارزة، فلعل رمال الصحراء قد دفنت معالم حضارية أخرى[142]

يمكن أن يكون نوع من الزراعة قد ظهرت ،لكن الشيء الأكيد هو استئناس مبكر للأبقار أقدم من منطقة الهلال الخصيب ، فالانتقال إلى الاقتصاد الإنتاجي المتمثل في الفخار وتربية الأبقار كان قديما جدا [143]

ومنطقة الصحراء الوسطى تشكل وحدة ثقافية وحضارية فريدة من نوعها ، وهي تتكون من مراكز ثقافية رئيسية هي: التاسيلي ناجر ووادي جرات ،منطقة الأكاكوس التابعة ثقافيا للتاسيلي ،منطقة الهوقار ،هضبة المساك ،والاير AIR ، فتلك المناطق قد أعطت تواريخ قديمة جدا للإقامة الإنسانية تعود إلى 10آلاف سنة وحتى 11ألف سنة في منطقة الأير ،وفي هذه المواقع نفسها الفن الصخري أعطى تواريخ تعود إلى 10آلاف سنة و9آلاف سنة و8آلاف سنة أي مع بدايات الهلوسان[144]

و التاسيلي تتميز عن غيرها من المناطق بغناها بالملاجئ الصخرية التي تستضيف تلك الأعمال الفنية بحيث جعلت من المنطقة متحف في الهواء الطلق، وساعد الجفاف في حفظ الاعمال الفنية

التواجد البشري في العصر الحجري الحديث :

تدل مشاهد الرسوم الصخرية على وجود أجناس مختلفة في منطقة الصحراء الوسطى كل جنس عبر عن نفسه بأسلوب فني، ويمكن ملاحظة الملامح القوقازية البيضاء في العديد من المشاهد ، كما يمكن ملاحظة الطابع الزنجي ايضا.

---

[141]تشهد الرسوم الصخرية على وجود سلمي بحيث تكاد تنعدم أشكال القتال , الا في المراحل الاخيرة قد بدأت تسيطر الصحراء ، وقلت الموارد وبدأ الصراع من أجل البقاء .

[142]Andréa dué .le sahara vert et l’"egypte prédynastique la revulution du néolithique. premiers vilages Premiers cultures chapitre premier edition hatire parise 1994.p34

[143] loc.cit.

[144] Malika hachid (1998) op.cit.p218

ومن خلال الابحاث التي قام بها كامبس (1966) والذي إستنتج فيها أن بعض المواقع تتوفر فيها صناعة مشابهة ومتزامنة مع الصناعة القفصية العليا في بلاد المغرب ، اما الباحث فابريزيو موري فقد قام بدراسة عدة مواقع في فزان وفي الهوقار والطاسيلي وقد أعطت عينات الراديوا كربون التواريخ التالية :

جبارين 3520 ق.م ، مينيت ق.م 3450±150سنة التينيري في أدرار بوس 3130ق.م ،صفار في التاسيلي 3080ق.م ،تمنراست في الهوقار 1380±150 ق.م ، وفي وان تابو (فزان)5086±175 ق.م ،أوان تالوكت 4797±175 ،فوزيجيارن 6113ق.م ±100 و 5941 ق.م. [145].

فالملاحظ هو تاثيرات القفصية في النيوليتي وهو ما جعل الباحث قابريل قامبس يطلق مصطلح النيوليتي ذو التقاليد القفصية ، ومع ذلك فإن هناك مواقع للنيوليتي في الصحراء مختلفة بشكل كبير عن القفصية لكنها مشابهة للماقع النيوليتية في الخرطوم والشهانب جنوب وادي النيل ، ونلمس ذلك من خلال البحث عن الطابع الزنجي في النيوليتي الصحراوي .



اللوحة رقم 05:الجنس الابيض في موقع إهرن

اللوحة رقم 06 :الزنوج في موقع صفار

[145]Chamla M C (1968), p15

وقد وجدت مواقع عديدة في الحدود بين منطقة الصحراء وبين الساحل منها على الخصوص مواقع: كاركاريشيناكت Kerkarichinkat في مالي ،وموقع تمايا ميلي tamaya Mellet وموقع أسيلار asselar في النيجر وموقع ياو yao* في تشاد وموقع تافرجيت taferjit في النيجر وموقع عين قزام in guezzam في الجزائر ، أما البقايا الحيوانية في هذه المواقع فهي كثيرة وتؤكد البيئة الرطبة التي كانت سائدة في ذلك الزمن ، بالنسبة للبقايا الحضارية نلاحظ تشابه واضح بينها وبين الادوات القفصية خاصة في مناطق الصحراء الغربية ،حيث تتواجد رؤوس السهام التي أستخدمت من طرف الصيادين ، كما نميز ندرة في الفؤوس المصقولة وكثرة للفخار [146] .

الزنــوج في النيوليتي الصحراوي :

ان موقع اسيلار المتواجد في شمال مالي قد وجدت به جثة تعود الى الزنوج وقد عرف الموقع على أنه موقع نموذجي وسمي بإسم انسان اسيلار الذي عرفت بخصائص تدل على انه من الزنوج حسب أقوال كل من م بول وش فالوار، وقد حدد الباحث انتا ديوب عمره الزمني ب 4400 قبل الميلاد [147] ، كما أن ملامح الزنوج لوحظت من طرف الباحثة ماري كلود شاملة في مواقع عديدة في الصحراء ، فقد إعتبرت أن البقايا البشرية التي وجدت في مواقع تين لالو tin lalo وكاركاريشيناكت Kerkarichinkat وتمايا ميلي tamaya Mellet تمثل نفس ملامح إنسان أسيلار asselar أي أنها للزنوج أيضا ، كما ان جثة الطفل المحنط الذي أكتشفه فابريزيو موري في كهف وان موهيجاج بالاكاكوس هي للزنوج و يؤرخ ب 3405±180ق.[148]

تعتبر الباحثة ماري كلود شاملة ان إنسان المشتى (مشتى أفالو ببجاية و مشتى العربي بقسنطينة) الذي تنسب اليه الحضارة الايبرومغربية وهو ذو ملامح قاسية وله بعض الصفات الزنجية ، وان الجنس الثاني الذي عمر منطقة شمال افريقيا هو الجنس القفصي الذي تواجد على الخصوص في الجهة الشرقية للجزائر وتونس وهو أقل قدما من جنس مشتى أفالو ويمكن أن يكون إنسان الحضارة القفصية منحدر من جنس مشتى أفالو ولكنه أقل قساوة منه وهو الآخر يحمل بعض الصفات الزنجية ، ولكن قد يكون مشابها لجنس اولي من البحر المتوسط الذي وجدت بقاياه في عين متشارن في الجنوب التونسي وفي منطقة تيبازة التي تسمى رمادة عين دكارة [149].

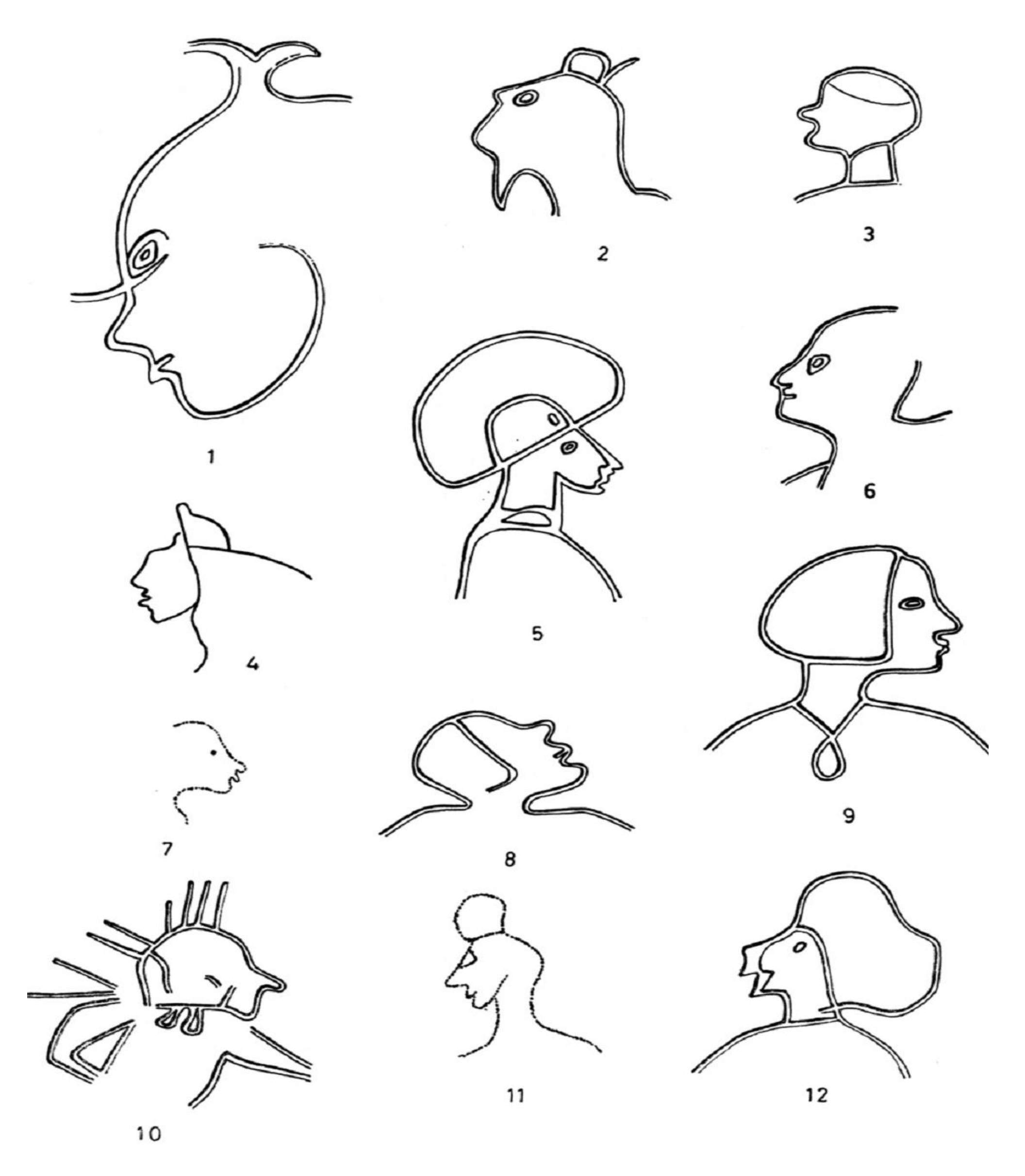
*منطقة ياو تقع قرب بحيرة فيتري في تشاد وجدت بها بقايا بشرية عرفت بإنسان ياو ، انظر :

. Chamla M C (1968), les Population Anciennes Du Sahara Et Des Région, Limitrophe. Mémoire de C.R.A.P.E .n°9, Paris: A M G p17

(146) Chamla M C (1968), op.cit. ,p15
(147) ibid. p85
(148) ibid. p85-87
(149) Chamla M C (1968), p87

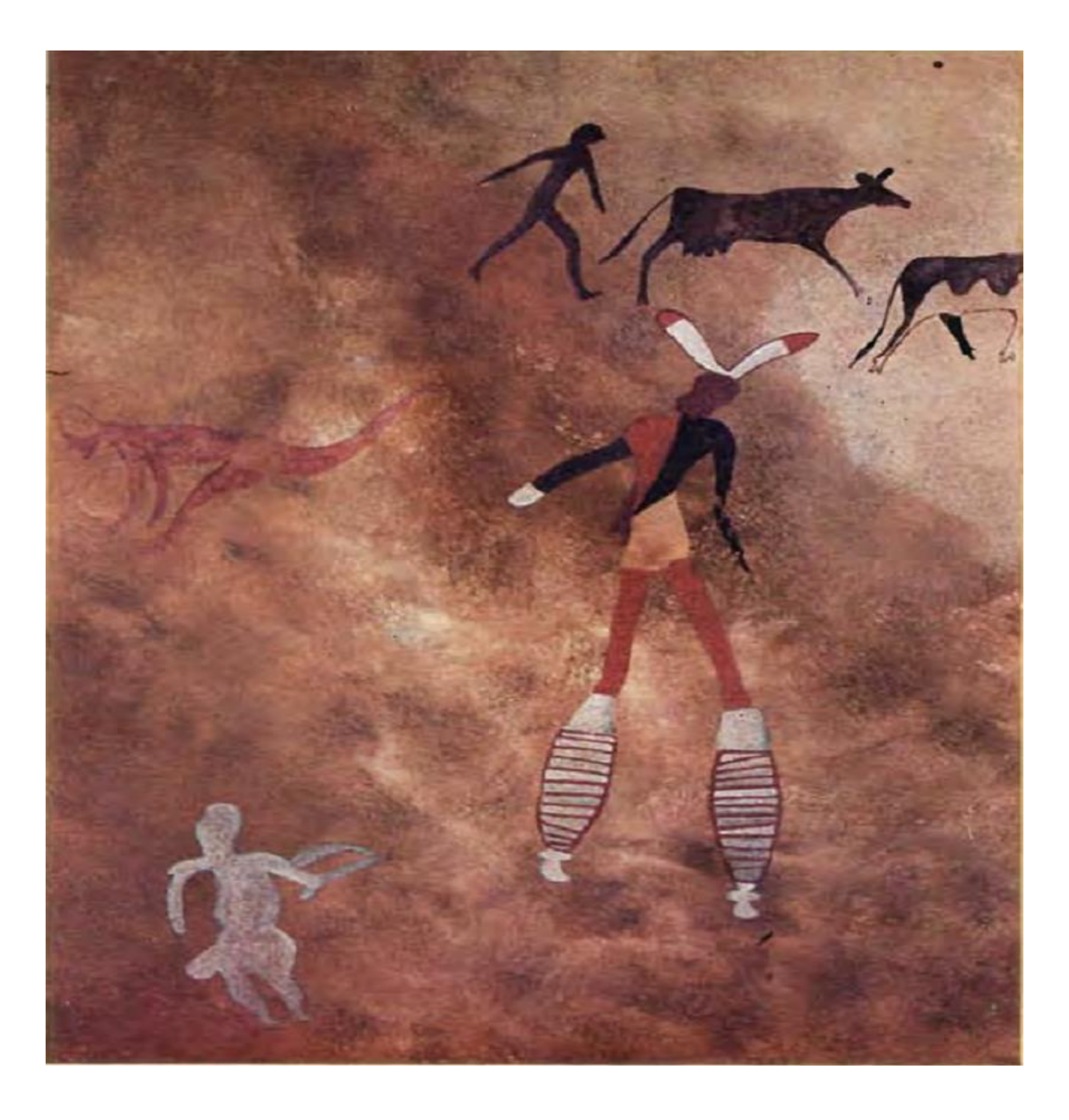
يعتقد الباحثون أن تحركات بشرية متبادلة باتجاه الشرق من الصحراء إلى وادي النيل في أزمان مختلفة، وبإتجاه الصحراء من وادي النيل منذ حوالي 7000 سنة مضت، بفعل تدهور المناخ بين 4.000 و 5.000 سنة ، ولا شك وأن بعض المجموعات البشرية من الصحراء الوسطى والشرقية دخلت في علاقات مع سكان الواحات المصرية ووادي النيل في فترات لاحقة ، من جهة ثانية بعد أن حل الجفاف بالصحراء هاجرت المجموعات البشرية المتطورة بإتجاه مصر وساهمت إلى حد كبير في بناء حضارة مصر التاريخية ، وذلك ما نلمسه في مصر من خلال إنتشار عبادة بعض الالهة نصف البشرية مثل أنوبيس الذي نعتقد أن اصوله من الصحراء ، مثلما تدل عليه مشاهد وادي جرات في الطاسيلي ، والاله أمون هو الاخر من شمال إفريقيا ، دون أن ننسى عملية التحنيط التي عرفتها الصحراء الوسطى قبل مصر بما يقرب من ألف سنة .

ومماسبق يتضح لنا وجود تعدد بشري في الصحراء الوسطى من جهة يوجد جنس ابيض قد يكون من بقايا القفصيين في المنطقة والذي تدل عليهم ايضا مشاهد الفن الصخري لمرحلة الجاموس العتيق القديمة وبعض الاساليب الفنية التي تعود لكل من مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة ومرحلة البقريات ، ثم مراحل الحصان والجمل ، أما الزنوج فحضارتهم قد غطت المنطقة بمشاهد ملونة في مرحلة البقريات خاصة ، كما تركوا الفخار المزين بخطوط متعرجة .



اللوحة رقم 07: نقوش تمثل ملامح اشخاص من الجنس الابيض في مرحلة الجاموس العتيق القديمة ، الملاحظ هنا أن كل هذه المشاهد هي لاشخاص من الجنس الأبيض ، مما يجعلنا نعتقد أن الزنوج لم يتواجدوا في الصحراء إلا في مرحلة البقريات (الرعاة) .

المصدر : Lhote H (1970), « Le Peuplement Du Sahara Néolilithique D'après L'interprétation Des Gravures Et Des Peintures Rupestres » J.S.A, Vol: 40.n°2. p94



اللوحة رقم 08: الرعاة الزنوج في الطاسيلي

المصدر: Henri Lhote;(1962) L'art Prehistorique Saharien La Revue Du Musée De L' Homme, Tome II - Fasc 4 Hiver 1, P199

الفصل الأول

التعريف بفن الرؤوس المستديرة

أولا: المظاهر الفنية في التاسيلي .

ثانيا: تأثيرات الرؤوس المستديرة في المناطق المجاورة.

أولا: المظاهر الفنية الاولى في التاسيلي :

أقدم المظاهر الفنية تكون قد ظهرت في العصر الحجري القديم paléolithique وأول إشارة للفن لدى الإنسان ما قبل التاريخ تمثلت في تشذيب الحجارة لذلك فإن نشأة الفن قد تكون متزامنة مع بداية أولى الصناعات الحجرية كالحضارة الالدوانية في شرق إفريقيا ، أما الاعمال الفنية التي يظهر عليها الابداع والتي يمكن أن تحمل بعضا من المظاهر الجمالية فتتمثل في النحت على الحجر والعاج والعظام والخشب ، كما أن حسن إختيار أدوات الزينة الموجودة في الطبيعة مثل القواقع تعد في حد ذاتها فنا وقد يقوم الانسان بإحداث تغيرات عليها فقد ظهرت في شكلأدوات الزينة ، حيث قام الانسان بجمع القواقع البحرية المتنوعة و لونها بمادة ملونة خاصة هي المغرة الحمراء وهي تراب صلصالي يستخدم في التخضيب وكان يدهن بها الإنسان موتاه أيضا وإستخدمها في تلوين جسمه[150] ، كما ظهرت أشكال فنية أخرى كاستخدام العظام و تلوينها الذي عرف منذ العصر الحجري القديم الأسفل paléolithique inferieur [151] ،أما أولى المنحوتات الحجرية التي كانت في الغالب تمثل حيوانات أو نساء فقد ظهرت في فترة لاحقة مع نهاية العصر الحجري القديم الاوسط وخلال العصر الحجري القديم الاعلى (أنظر الشكل 37).

وفي بلاد المغرب وجدت بقايا ألوان في المواقع التي تعود إلى الثقافة الايبرومغربية ibéromaurusien[152] ، وإضافة إلى ذلك كان الإنسان يقوم بتزينات جسدية *، حيث يغطي أجزاء من جسمه بالألوان ذات الدلائل السحرية والدينية ، كما نفذ التزيين و النقش على

---

[150]Henriette camps fabrer(1966) matières et art mobilier dans la préhistoire nord africaines saharienne, paris: édition A. M. G. pp15-38.

[151]Ibid.pp187-200.

[152] slimene hachi (2003) les cultures de l'hmme de mechta afalou ,les gisment d'afalou bou rhmmel (massif des babors ,Algérie),mémoire de C.N.R.P.A.H, nouvelle série, n°2,p28.

* ينظر في هذا الإطار مشهد "السيدة البيضاء" في أونرحات للمقارنة بين التزيين الجسدي وبين زخرفة بيض النعام الفخار Henri lhote(1958) .op.cit. p88 fig 35, p 96 fig 39:

و حول الفخار وبيض النعام ينظر:Henriette camps fabrer .op.cit.pp368-394, fig128, 133,149

بيض النعام في شكل خطوط عمودية و أفقية أو متموجة أو منقطة ، و حتى صور حيوانية تمثل رأس نعامة مثلا[153]، (أنظر الشكل 33).

والغريب في الأمرأننا نجد تشابها واضحا بين التزيين الجسدي الذي لاحظناه في الرسوم الصخرية وبين النقش على بيض النعام و زخارف الفخار في الطاسيلي فالخطوط المتموجة والمنقطة تمثل أسلوبا فنيا موحدا يدل على أن مجموعات بشرية ذات أصول واحدة مسؤولة عن كل هذه المظاهر الفنية ويحتمل أنهم ذوي الرؤوس المستديرة[154].

إضافة إلى النقش على بيض النعام و على الفخار، قام الإنسان بنحت الصخور فأنجز منها تماثيل رائعة تجسد حيوانات تحضى بمكانة كبيرة في تفكيره الروحي،وتعرف باسم تماثيل الحدبة الدائرية rondebosse بالإضافة إلى المطاحن و المدقات الضخمة و بعضها معروض اليوم في متحف باردو[155] ،وهناك تماثيل من نوع آخر تمثل أشكال شبه إنسانية وأخرى تمثل منحوتات لنساء بدينات يعرفها الباحثون باسم الفينوسياتvénus[156]مثل تلك التي وجدت في مقبرة تين هينان[157] في الابالاسا بتمنغاست[158].

أما الفخار فهو قديم جدا في الصحراء فقد وجد فخارا في أدرار تلتيكن l'adrar teltiken يعود إلى 9000 سنة[159] ، كما وجد فابرزيو موري فخار في الاكاكوس يعود إلى فترة قديمة جدا ، وكامبسcamps g بدوره وجد في منطقة أمكني amkni بالهوڤار فخار مماثلا ،وهذا يجعل من النيوليتي الصحراوي Néolithique saharienضاربا في القدم بحيث من الممكن أن يكون أقدم من الشرق الأدنى[160].

---

[153]j bouyssone. Colection préhistorique ,planches albume n°1,pasis :editions A.M.G,p110. fig107,

[154] H Camps Faber(1962)Fegurations Animales Dans L'art Mobilier Préhistoriqued'Afrique Du Nord , Libyca, Vol. IX-X:101-113, p104

[155] loc.cit.

[156]Vénus هي آلهة الجمال والحب والحرب لدى الرومان تعرف لدى الإغريق اسم" افروديت "وفي فينيقيا تعرف مثيلتها "بعشتار"،ينظر: محمد الصغير غانم (2005) الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر:دار الهدى ،ص117.

[157]تين هينان tin-hinan تعتبر بمثابة ملكة أو جدة الطوارق الأولى وهو ما يدل على الدور الذي لعبته المرأة في الصحراء ، يعود تاريخ هذا القبر الى ما بين القرن الرابع والخامس الميلادي لوجود حلي وأثاث جنائزي يعود إلى العصر الروماني ينظر:

Attilio gaudion (1967) les civilisations du sahara dix millénaires d'histoire ,de culture et de grande: commerce,collection marabout,paris:,Edition gérard & c ,verviers.p80.

[158]Houria mahsas :bijoux et mobilier funéraire de tin –hinan abalessa:.Algérie, édition du musée national du bardo :Algérie,p74 fig41,(N,D).

[159]dida badi (2004) les region d'ahaggar et du tassilli n'Ajjer .réalité d'un myth,Algérie:edition ANEP, pp16- 52.

[160]g camps (1974)op.cit. pp224-234.

يتميز الفخار في مناطق الطاسيلي والهوقار بزخرفة تتمثل في صفوف من خطوط متكونة من نقاط ،أو في شكل تموجات ، ونجد من هذه الزخارف على أجساد الاشخاص في شكل وشم أو زينات جسدية خاصة لدى المجموعات السوداء مما يدل على طابع فنيا معينا ، ومن بين المشاهد التي نلاحظ فيها الزينات الجسدية :مشاهد في منطقة صفار حيث تكثر التزينات الجسدية مثل رسوم السيدة الزنجية في صفار بها تزيينات جسدية[161] وفي نفس المنطقة نجد مشاهد تمثل تزينات جسدية لثلاثة شخصيات يقول روني قاردي أنها تمثل خطوط طويلة باللون الابيض[162] ،مشهد آخر لراقصة صفار مع تزينات جسدية مشابهة للتزينات لدى السيدة البيضاءفي منطقة اوان أرحات [163] كما نجد مشاهد مماثلة في جبارين [164] .

كما نجد التزينات الجسدية في كل المراحل الفنية فإلى جانب مرحلة الرؤوس المستديرة نجد الزينات الجسدية في مرحلة البقريات ، وفي مراحل الحصان والجمل ، و حسب هنري لوت فإن التزينات الجسدية تدل على فن الزنوج[165] و يقول ان هذه التزينات الجسدية هي تنقيط نقاط او خطوط او وشم او تشريطات [166].



الشكل رقم 37

هوهل فالس Hohle Fels في ألمانيا أحد أقدم المنحوتات الحجرية التي تمثل نساء (تقديس النساء التي تمثل آلهة الخصب) تعود إلى 35 ألف سنة قبل الميلاد

المصدر :

Nicholas J. Conard A (2009) ,female figurine from the basal Aurignacian of

---

(6)alern sebe 1991 tikatoutine .6000 ans d'ant rgestre saherien imprimé en Italie par antegrafic .silva parné.(161)

(8) rene gard .jolantha .jolente neukun .tschudi .planche(162)

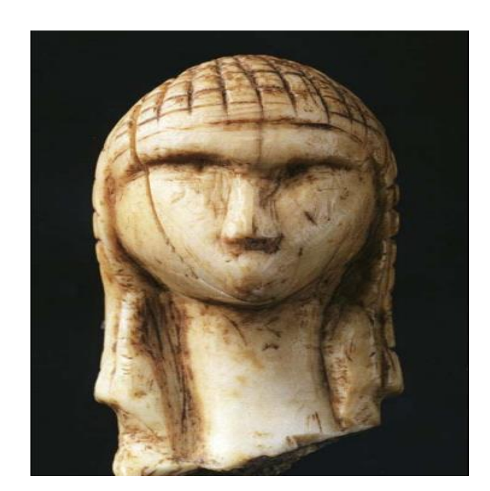
(163)ينظر malika hachid 1998 p 202 fig 294

(164)يقول الباحث رايموند لانثي rlantier ان التزينات الجسدية للسيدة البيضاء في إن اونرحات تمتد الى الاكنان و الجذع و البطن و الساق .و هي تمثل خطوط متوازية في شكل نقاط .و رسوم و تشريعات .

rupestre scarification et espagnple .compte rendo للجسم Raymond lantier 1969 .larie prehistorique dapris làrt des seiences de la ràradimée des inscriptions et belles lattre vol 113.n°3.p404

(1) Lhote (1970) .p 102.balanche l fig 1(165)

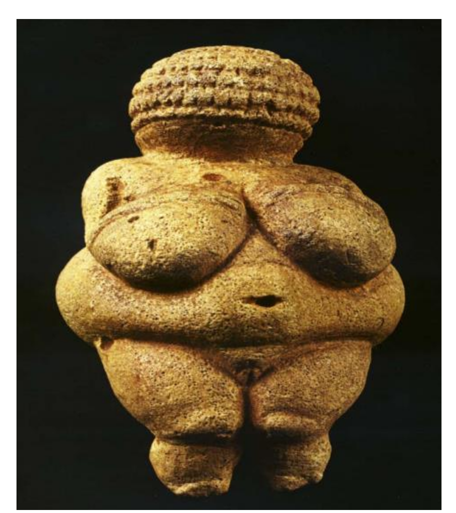
(2)Ibid p 102(166)



الشكل رقم 38:

سيدة براسمبوي في فرنسا

تعود إلى28 ألف قبل الميلاد



الشكل رقم 39:

آلهة ويلدوف في النمسا

تعود إلى الحضارة الغرافينتية تعود إلى حوالي 24 ألف قبل الميلاد





الشكل رقم 40 : آلهة ليسبورغ وآلهة كتال حيوك

على اليسار تمثال لآلهة كهف ليسبوغ تسمى فينوس ليسبوغ Venus–lespugue منحوتة من عاج الماموث ، تعود إلى الحضارة الغرافيتية gravettien ما بين 26 ألف و 24 ألف قبل الميلاد ، وعلى اليمين آلهة كتال حيوك catal Hiyuk في تركيا تعود إلى 7500 ق.م



الشكل رقم 41 : قواقع في المغرب

قواقع من محار المولوسك في كهف الحمام في المغرب تعود إلى 82ألف سنة قبل الميلاد



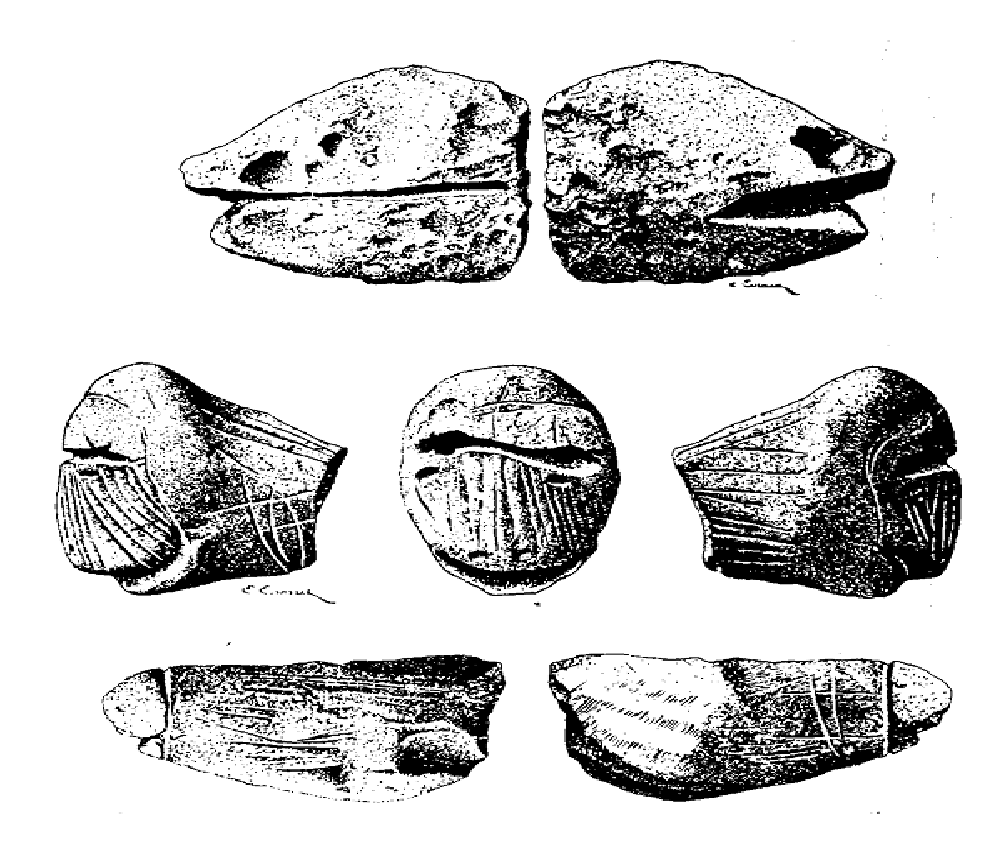
الشكل رقم 42: مجوهرات شتال بورينيون فرنسا

مجوهرات من اسنان الحيوانات في كهف شتال بورينيون Chatelperronien تعود إلى 35 ألف سنة قبل الميلاد



الشكل رقم 43: مجوهرات في كهف ليسبورغ فرنسا

مجموعة مجوهرات من القواقع والحجارة تعود للحضارة الغرافتية ما بين 26 ألف و 24 ألف قبل الميلاد



الشكل رقم 44: منحوتات حجرية حيوانية في موقع المقطع بتونس يعود إلى القفصية النموذجية إذا يبدو أن الحيوان الممثل هو الحصان .


المصدر :

H Camps Faber(1962)Fegurations Animales Dans L'art Mobilier Préhistorique d'Afrique Du Nord , Libyca, Vol. IX-X:101-113, p104

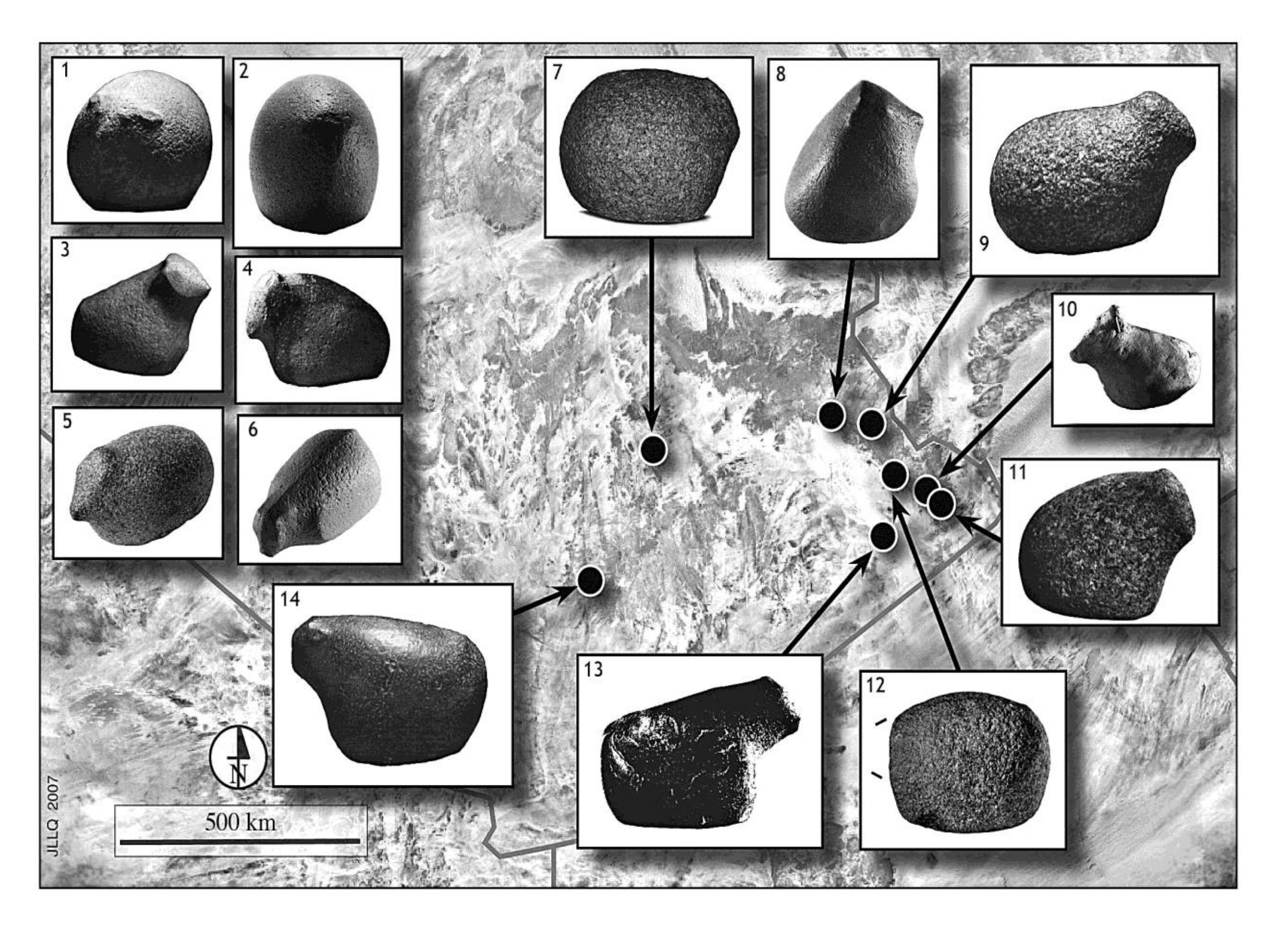


الشكل رقم 45 : أواني فخارية كاملة تعود إلى رعاة البقر في النيوليتي وجدت في عرق مرزوق الليبي .

المصدر :

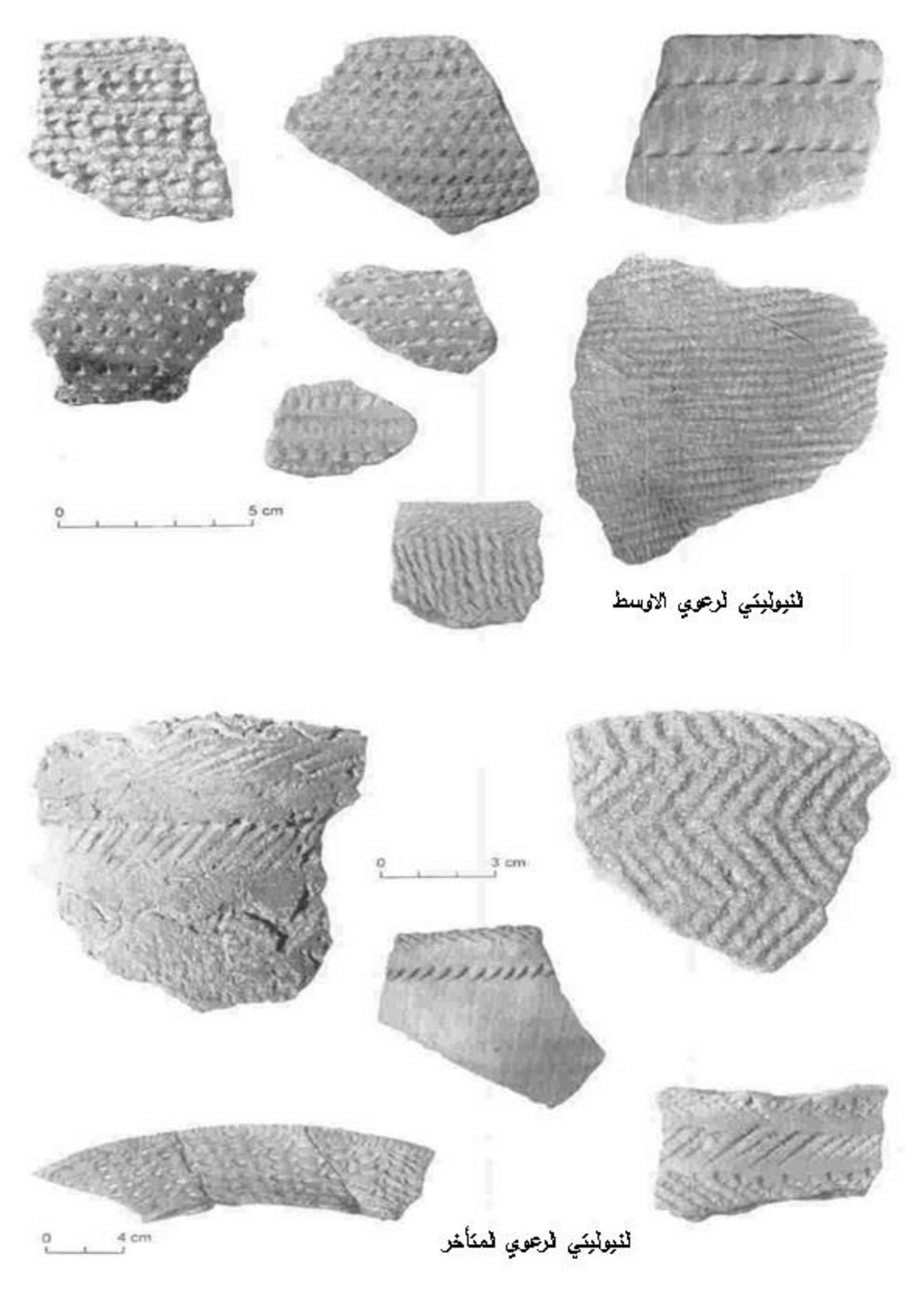
M. Cremaschi and S. Di Lernia (1999) , Holocene Climatic Changes and Cultural Dynamics in the Libyan Sahara The African Archaeological Review Vol. 16, No. 4 (Dec., 1999), p. 230

الشكل رقم 46 : خريطة تمثل مناطق تواجد التماثيل ذات الاشكال الحيوانية في الطاسيلي ، مما يدل على تقديس الحيوانات خاصة الابقار.



7-1 مناطق قريبة من جانت Djanet ، 8 غرب جانت ، 9 جبارين Jabbaren. ، 10تين هناكتن Ti-n-Hanakaten ، 11 أليديما Alidemma ، 12 اجيفوAdjefou . ، 13تادرويت Tedawet. ، 14 سيليSilet .

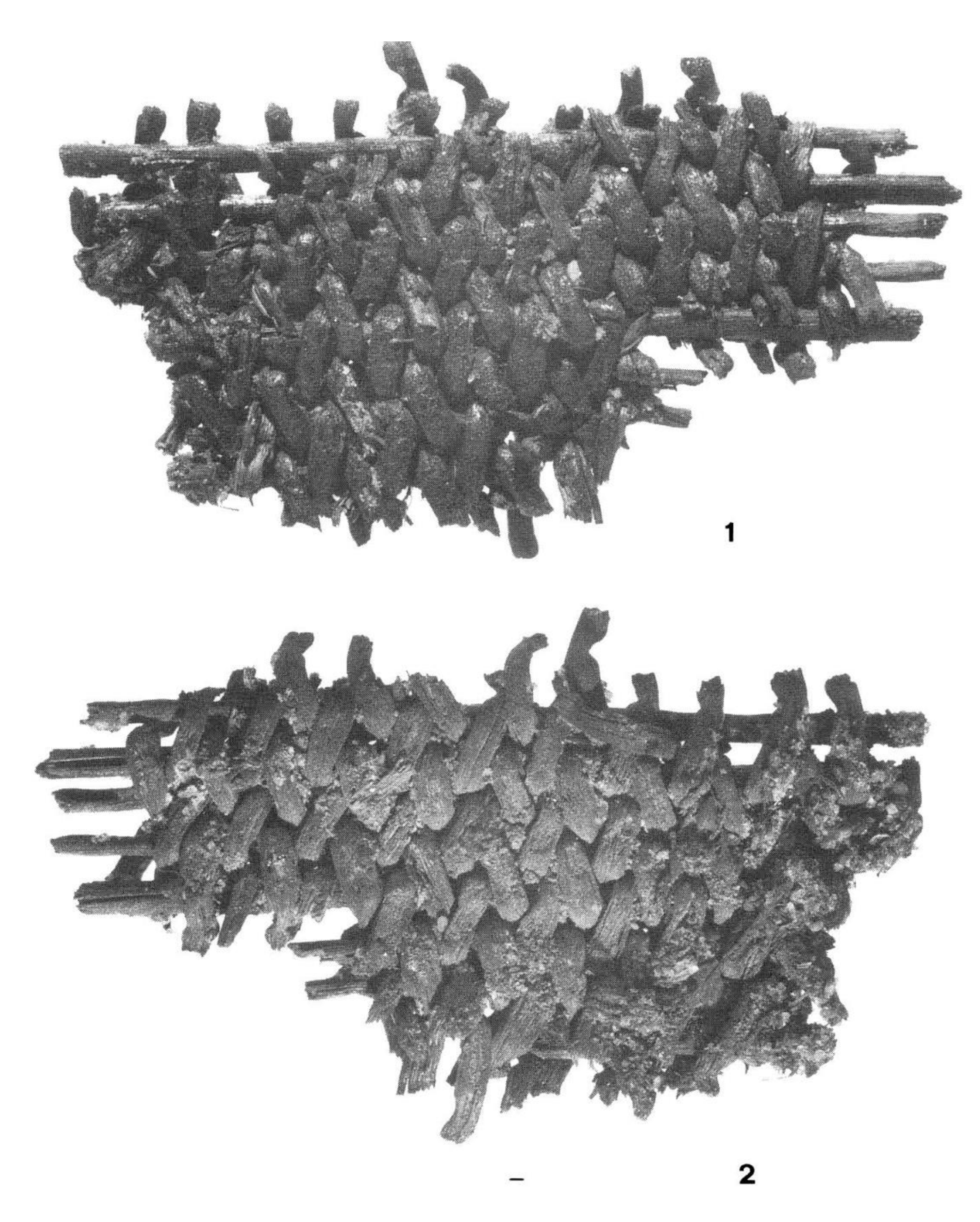
المصدر : Le Quellec J-L (2008) «A Propos Les Molettes Zoomorphes Du Sahara Central» Sahara. N°19, 2008,p41



الشكل رقم 47 : أنواع زخارف الفخار في النيوليتي

يدل تنوع زخارف الفخار في النيوليتي (العصر الحجري الحديث) على تعدد المجموعات البشرية التي سكنت الصحراء الوسطى ، فهذه الصور تعود إلى مرحلتين ، في الاعلى النيوليتي الرعوي الاوسط وفي الاسفل النيوليتي الرعوي المتأخر

Cremaschi M., Di Lernia S., 2001. Environment and settlements in the mid - Holocene palaeoasis of the wadi Tanezzuft (Libyan Sahara). Antiquity, 75, p31.



الشكل رقم 48: السلال في النيوليتي الصحراوي

السلال التي كان يستخدمها الانسان في النيوليتي لجمع الطعام أو تخزينه ، كما إستخدمها في دفن موتاه فيها ، موقع وان فودا في الاكاكوس الليبية على الحدود مع الطاسيلي في الجزائر.

المصدر :

M. Cremaschi and S. Di Lernia (1999) , op.cit. p. 227

أقدم الرسوم والنقوشالصخرية:

بدات أولى الرسوم في العصر الحجري القديم الاعلى وربما اقدم من ذلك فالرسوم المتواجدة في كهف شوفي في مقاطعة الارداش Chauvet (Ardèche) تعود إلى ما بين 33.000 و 30.000 سنة قبل الحاضر بينما أظهرت ابحاث في ملجأ كاستانت Castanetفي الدوردون الفرنسية مشهد يتمثل في ساقي بقرة ورموز منقوشة لأعضاء جنسية لإمراة ورجل إلى جانب رسم ما يشبه الحلقة ، وتم تأريخ هذا المشهد بواسطة الكربون 14 إلى ما بين 35.000– 28.000 سنة قبل الحاضر فهو الاقدم في أوربا [167].

بالنسبة لشمال إفريقيا فان ياسمينة شايد سعودي تعتقد أن نقوش الجنوب الوهراني تقع ضمن الباليوليتي الاعلى حوالي 30.000 سنة ولا يوجد ما يدعم ما ذهبت إليه [168]

من جهة ثانية يعتقد أناتي E.Anatiأن الفن في تنزانيا يعود إلى ما يقارب 40.000 قبل الحاضر أي إلى الصيادين الجامعين القدامى لكن هذه الفرضية كانت تصطدم بقلة التواريخ المطلقة الدقيقة ، وفي ناميبيا التي كانت تعرف على أنها تحتضن أقدم الفن الصخري الافريقي أرخ ببواسطة الكربون 14 من طرف واندت E.Wendt سنة 1972 إلى مابين 27.500 و25.500 قبل الحاضر ، وإكتشف الباحث نفسه بقايا صباغة في نفس الكهف تم تأريخها ب48.000 قبل الحاضر وهذا لا يعني بشكل آلي انها تمثل أقدم فن صخري بل الاحتمال الاكبرأنها إستخدمت من أجل دهن الاجساد ، فدهن الاجسام يعود إلى الباليوليتي الأوسط في إفريقيا وفي أوربا ايضا فقد أكتشف مؤخرا قواقع المحار الاطلسية الملونة في مناطق من أوربا وهي تؤرخ ب50 ألف سنة قبل الحاضر بها وتمثل إنسان نيادرتال الايبيري ، وهناك من يعتقد أنها أقدم من ذلك بكثير بل تعود إلى الباليوليتي الاسفل والإنسان المعتدل ،كما أكتشفت في جنوب إفريقيا بقايا أذن البحر وهو أحد الرخويات الذي يعتقد أنه إستخدم مع أجل الحصول على صباغة ملونة حمراء وصفراء وأرخت تلك البقايا ب100 ألف سنة قبل الحاضر[168] ، وبذلك فأن إستخدام الصباغة الملونة كان قديما جدا.

---

[167]Randall Whitea, , et al (2012) ; Context and dating of Aurignacian vulvar representations from Abri Castanet, France, PNAS , May 29, 2012 , May 29, 2012, no. 22, pp 8453-8454

[168] M., Chaid-Saoudi, Y. 2003. Paléontologues et spécialistes de l’art: un dialogue à entretenir. *Algérie, deux millions d’années d’histoire. L’art des origines*. (p. 69). Nemours / Dijon: Musée de Préhistoire d’Île-de-France / Museum d’Histoire naturelle de Dijon, p69

[168]Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier(2012) The People of Iheren and Tahilahi STONEWATCH The World of Petroglyphs, Part 39, Februar 2012, p8

أما كهف لاسكو وكوسكي وألتاميرا فالرسوم فيها تعود إلى الحضارة المجدالية بين 16.000 و10.000 قبل الحاضر ، وأقدم المنحوتات فتعود إلى 30.000 سنة قبل الحاضر.

الفن الصخري في الصحراء الكبرى:

تعد الصحراء الوسطى واحدة من أعظم مناطق الفن الصخري، والذي يمكن أن يكون يعد تعقيداً من الفن الصخري في مناطق أخرى من العالم مثل : جنوب أفريقيا، وأستراليا،أوربا...

بالاظافة إلى تعقد هذا الفن فان هناك دلائل قوية على أن هذا الفن لم يمثل مجموعة بشرية واحدة وإن كانت هناك ثقافة مشتركة قد إنتشرت في أنحاء الصحراء خلال النيوليتي ، لكن تعدد الأسلوب وتتنوعه وإختلاف الحيوانات الممثلة فيه ، وإمتداده الزمني الذي يعد بآلاف السنين تجعل منه يمثل مجموعات بشرية مختلفة من حيث الجنس والثقافة ، فعلى الاقل يمكن تحديد مجوعات سوداء وأخرى بيضاء وقد تنقسم كل مجموعة إلى مجموعات إثنية تبعا لخصائصها الفيزيولوجية ، تلك المجتمعات عاشت في أزمان مختلفة وفي أجزاء متعددة من الصحراء.

طبيعة تصنيف الفن الصخري :

إن التصنيف الذي إعتمد عليه لوت وهو الاشهر يعتمد على ظهور وإختفاء حيونات معينة[169]مع أن هنري لوت قد إعترف أن حيوانات مثل الجاموس العتيق* قد إستمر وجوده في مراحل لاحقة [170] ، وهناك تصنيف آخرحسب نوع الفن كونه طبيعيا أو رمزيا (موزيليني وموري ...)، كما يصنف الفن الصخري حسب نشاط الإنسان إلى فن الصيادين وفن الرعاة، ويمكن أن يقسم تبعا للمجموعة البشرية مثل ذلك الذي إتبعه أندرو سميث حيث قسم الرسوم إلى أسلوب الجنس الابيض وأسلوب الجنس الاسود .

وهناك نوعين من الفن الصخري الرسوم والنقوش كل نوع يتكون من مراحل فنية(الجاموس العتيق ، البقريات ، الحصان والعربة ، الجمل ،على التوالي بينما مرحلة الرؤوس المستديرة تختص بها الرسوم وترتب زمنيا بعد مرحلة الجاموس العتيق) تلك المراحل الفنية هي في

---

[169] jean loic le Quellec(1998) op.cit.p168.

*الامر لا يتعلق بالجاموس بل حيوانات كالفيلة والزرافات والنعامة التي هي من مميزات مرحلة الجاموس العتيق القديمة إستمر تواجدها خلال مرحلة البقريات ومرحلة الحصان والعربة ، بل إن النعامة قد إنقرضت حديثا في المنطقة .

[170] jean loic le Quellec(1998) op.cit.pp163-164.

الوقت نفسه مراحل زمنية ومناخية تتميز بخصائص معينة وتمثلها مجموعات بشرية مختلفة قد تكون أحيانا متزامنة أو متباعدة زمنيا .

معايير تصنيف الفن الصخري :

وأمام غنى الفن الصخري حاول بعض العلماء أن يقوموا بتصنيفه وتقسيمه كرونولوجيا معتمدين في ذلك على عدة معايير حيوانية مناخية، إنسانية، وأسلوبية،
المعيار الحيواني: يمكن لبعض الأنواع الحيوانية أن تمثل معيارا كرونولجيا من خلال ظهورها أو غيابها في الفن الصخري.

الاستئناس: من الصعوبة ان نتعرف على بداياته وأن نميز خصوصياته على البقايا العظمية للبقر أو الكبش المستأنسة والبرية

المعيار المناخي: وهو دراسة الترسبات والمستحدثات الانسانية القديمة وغبار الطلع في جوار الواجهات النهرية والبحيرية.

ثانيا: الإطار الزمني للدراسة.مشكلة تحديد الاطار الزمني

اختلف الباحثون في تحديد الإطار الزمني لمرحلة الرؤوس المستديرة ويمكن تقسيم أرائهم إلى ثلاثة أقسام:

1-الإطار الزمني الطويل:

حدد فابريزيوموري[171] f mori مرحلة الرؤوس المستديرة بين 8000 و 4500ق م، مع إمكانية أن تكون أقدم الرسوم عائدة إلى البلايستوسان ، وقد تبنى هذا التصنيف أيضا كل من ميشال توفرو Mtauveron وجينات أوماسب Ginette aumassip [172]، ومن المتأثرين بهذه النظرية أيضا الباحثة الإيطالية مارينا لاباسيولو M lapacciolu حيث اعتبرت أن أقدم النقوش والرسوم في الأكاكوس تعود إلى البلاستوسان الأعلى بين 38ألف و18 ألف سنة قبل الميلاد [173] (الشكل رقم 49).

أما إيمانيول أناتي E Anati فقد حصرها بين 7000 و5000 سنة قبل الميلاد[174] أما إمبرتو سانسوني فهو متأثر بأستاذه إيمانيول أناتي حيث يعتبر مرحلة الرؤوس المستديرة تبدأ منذ 9000 ق م بشكل متزامن مع مرحلة الجاموس العتيق bubaline[175] ، وحدد بدايتها كل من ريدجي وكابريل لوتز Rudiger et gobriel lutez ب7000 ق م وتنتهي بمرحلة الجفاف أواسط الهلوسان [176]، و بالنسبة لمليكة حشيد فهي تبدأ مع الهلوسان .

2-إطار زمني متوسط:

حدد هنري لوت مرحلة الرؤوس المستديرة بين5500و 4000 ق م[177].

3-إطار زمني قصير :

تبناه ألفرد موزيلني A.muzzolini حيث وضع هذه المرحلة بين 4000 و1000 قم بحيث يستمر تواجد شعوب الرؤوس المستديرة إلى ما بعد المرحلة الرطبة التي حدثت في

---

(171) مرحلة الرؤوس المستديرة تتضمن الرسوم والنقوشبالنسبة لفابريزيو موري و جميع الباحثين المتأثرين بآراءه ،بينما يقول هنري لوت أن الرؤوس المستديرة لا تتضمن إلا رسوما ، ينظر :

h Lhote (1984) les gravures rupestres de l'atlas saharien monts des ouled nail et région de djelfa,Algérie: office du parc national du Tassili, pp 257-259.

(172)Ginette aumassip (1993)chronologie de l'art rupestre saharien et nord africain,paris: éditionjacque gardini, ,p4,j lLe quellec(1998) op.cit. pp166-167.

(173) J l le quellec (1998) op.cit. p 167.

(174)Ibid. p 168.

(175) Ibid. p 171.

(176) Ibid. p 175.

(177) Ginette Aumassip (1993) op.cit.p4.

أواسط الهلوسان[178]وفي مقال حديث له حدد هذه المرحلة بين 9000 و6000 ق م [179].

ولاشك أن سبب اختلاف الباحثين في وضع إطار زمني صحيح وموحد لهذه المرحلة إنما يعود إلى قلة تواريخ الراديوكربون[180] للرسوم الصخرية وصعوبة إنجازها نظرا لقلة الرسوم والنقوش التي تحتوي على مواد عضوية حيث لا يمكن تزمين إلا اللوحات المغطاة بطبقة أثرية تحتوي مواد عضوية،وحتى عند وجود هذه المادة العضوية فمن الصعب الجزم أن بقايا هذه المادة هي لنفس الأشخاص الذين نفذوا الرسوم فقد تواترت الإقامة في الملاجئ الصخرية منذ عصور سحيقة، لذلك اعتمد الباحثون على مشاهدة الزنجار* في المشهد ومطابقته بلون الصخور لمعرفة درجة قدم المشهد[181].

في سنة 1994إستعمل موري f mori تقنيات دقيقة متمثلة في جهاز المايكرو سكوب الإلكتروني لتحليل الزنجار ليبرهن على صحة تصنيفه [182] ،واليوم هناك عدد كبير من الباحثيين يتبعون آراء هذا الباحث الايطالي بينما يعارض هنري لوت طريقة تزمين الرسوم عن طريق ملاحظة الزنجار فيها ، وقد كان موري قد قام بإسناد مشهد واحد يضم عدة زرافات في منطقة تين اسيغ ti-n-ascighبالاكاكوس إلى عدة مراحل فنية (مرحلة الجاموس العتيق ، مرحلة الرؤوس المستديرة ، مرحلة البقريات ، ومرحلة الحصان والعربة)، اعتمادا على لون الزنجار لكل زرافة بحيث تفصل بين صورة الزرافة الواحدة والأخرى عدة آلاف من السنين وهو ما أثار انتقاد هنري لوت [183].

مشكلة التزمين تبقي موجودة فيما يخص الفن الصخري في الصحراء ، وربما استعمال تقنيات حديثة قد يحل هذا المشكل ويساهم في إعطاءنا معلومات مفيدة جدا فيما يخص طبيعة الحياة في الصحراء في تلك الفترة ومختلف جوانبها ،ونحن اليوم ننتظر نتائج الأعمال التي يقوم بها المركز الوطني للبحث فيما قبل التاريخ والأنتروبولوجيا الثقافية بالتعاون مع جامعات ومعاهد فرنسية منها المركز الوطني للأبحاث العلميةCNRSمن أجل تزمين الرسوم الصخرية والنقوش في التاسيلي أزجر الذي بدأ عمله في 2009.

---

[178]A muzzolni (1991) « masques et théromorphes dans l'art rupestre du Sahara central » archeonil ,mai 1991 ,p43,fig2.

[179]A.Muzzolini (2004) «l'art rupestre au Sahara»le monde de l'art ,uncyclopédia Universalis,France sa 2004, pp 23-24.

[180]حول طريقة التزمين بالكربون 14 ينظر :

Martine cabasio et jacques evin(1988) « expérimentations et datation au carbone 14 » dossiers histoire et archéologie, 1988, n° 126 ,pp 63-66, imprimé en france: par SIP.

* الزنجار : هو درجة الاشماس وهو لون الأكسيد الذي تتخذه الرسوم ، أي تحول كيميائي يحدث على مستوى الجدار نتيجة للشمس ، يتم ظهور الزنجار ببطء فالأكسيدات و الكربونات التي في شكل سوائل من جراء الرطوبة و المطر تتبخر مشكلة قشرة صلبة داكنة اللون، و الزنجار الأكثر وضوحا و اختلاف مع لون الصخرة الأم هو الأحدث، ينظر:

جون كي زربو : «الفن الافريقي» تاريخ إفريقيا العام ،المجلد الاول جون افريك و اليونسكو ،ص 667.

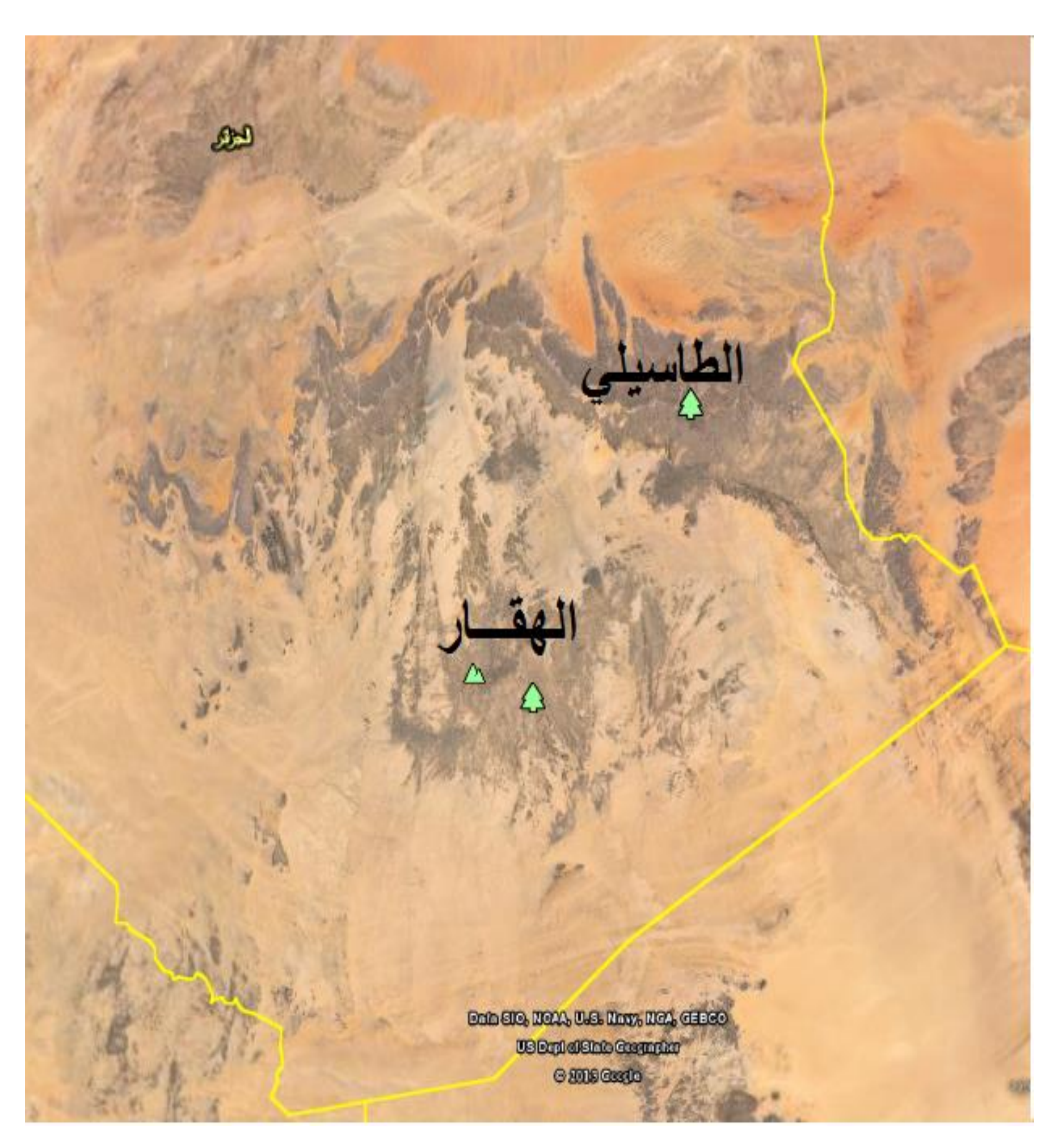
dictionnaire encyclopédique petite Larousse 1985 libraire Larousse, p 677.

[181]H Lhote (1984) op.cit. pp257-258

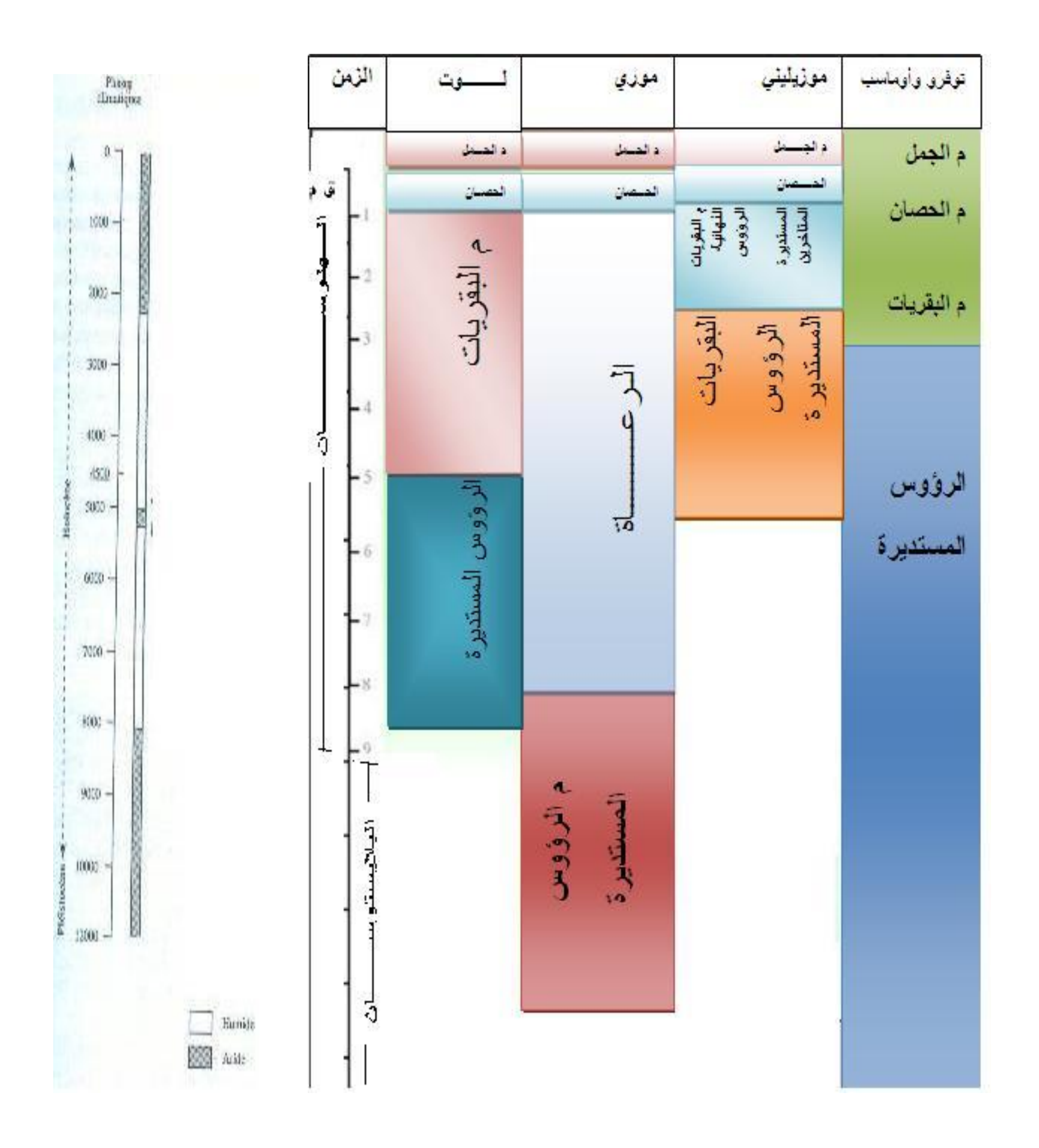
[182]j l le quellec (1998) op.cit. pp 166-167

[183]H Lhote (1984) op.cit. p258

من خلال ما سبق ونظرا لصعوبة تحديد إطار زمني لمرحلة الرؤوس المستديرة ،فقد اتخذت إطارا زمنيا شاملا لكل الآراء يكون حده بداية الهلوسان وانتشار الرطوبة في الصحراء حوالي8000 ق م و طرفه يمثل بداية الجفاف الذي أدى إلى هجرة تدريجية لأقوام الرؤوس المستديرة في2500 ق م



الشكل رقم 48 : موقع منطقة الطاسيلي والهوقار



الشكل رقم 49 :مخطط لتصنيف الرسوم الصخرية و تعاقب مراحل الجفاف و الرطوبة

المصدر : Ginette Aumassip (1993)op.cit.p4

أ- الخصائص العامة لمرحلة ذوي الرؤوس المستديرة

ب- مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة:التصنيف والأساليب الفنية.

إن أغلب الباحثين يصنفون الرسوم الجدارية إلى أربعة أطوار كالتالي:مرحلة الرؤوس المستديرة،مرحلة البقريات ، مرحلة الحصان والعربة ، و مرحلة الجمال ،أما النقوش الصخرية فهي أربعة مراحل أيضا: الجاموس العتيق ، البقريات ، الحصان والعربة الجمل ، و نلاحظ أن التقسيم كان وفق معايير مختلفة منها ظهور أو اختفاء حيوانات معينة *،وقد اعتمد هنري لوت على ذلك في تصنيفه لكنه اعترف لاحقا أن حيوانات مثل الجاموس العتيق قد إستمر وجودها في مرحلة الرؤوس المستديرة[184].

وبالنسبة لمرحلة ذوي الرؤوس المستديرة فقد مثلتها مجموعة من الشعوب سكنت منطقة التاسيلي في فترة ما قبل التاريخ ، وغالبا هذه الشعوب هي ذات أصول مختلفة،أما هذا الاسم الذي أصبحنا نعرفهم به فهو يعود إلى الشكل الفني الذي استخدموه في رسمهم للشخصيات الإنسانية حيث تبدو برأس دائري،وأول من أشار إلى هذه التسمية هو القس بروي l'abbé brueil وقال عن هذه المشاهد أنها تمثل شعوب البقريات برأس في شكل قرص tète discoïde[185]، لكن هنري لوت هو من سماهم باسم الرؤوس المستديرة[186]ويعرفهم بأنهم يمثلون الأشخاص برأس دائري[187].

وحسب موزيليني فان رسومهم تتميزبمساحة لونية موحدة وبتقنية الدارة، ويتراوح الأسلوب من المبسط إلى الطبيعي، الأشكال البشرية تكون على هيئة قرص أو دائرة و نادرا ما تظهر عليها أعضاء الحواس»[188] ، أما روني ڤاردي René gardi فيقول :«أنها تمثل سيطرة تامة للجوانب الدينية السحرية ، رسومها أحادية اللون ومتعددة الألوان وعمر هذا الفن غير محدود»[189]، في حين وصفها كامبس: «أنها انعكاس للأحكام المفزعة وأنها استمرت لمدة طويلة إلا أننا لو تتبعنا تطورها يظهر لنا أنها تتجه نحو الواقعية »[190]

---

* كما يصنف الفن الصخري حسب نشاط الإنسان إلى فن الصيادين وفن الرعاة، ينظر:
j-l le Quellec(1998) op.cit.p168.

(184) ibid.pp163-164.
(185) G aumassip,(1993) op.cit.p18.
(186) J-L Le Quellec, (2006) «Chamanes et martiens: même combat! Les lectures chamaniques des arts rupestres du Sahara.». dans Michel Lorblanchet, Jean-Loïc Le Quellec, & Paul G. Bahn (Eds.), *Chamanismes et arts préhistoriques : Vision critique*:Paris: Errance, pp 232-234.
(187) H lhote (1984) op.cit. pp83-89.
(188) A Muzzolini (1991) op.cit, p 6.
(189) R gardi. neukom .julantha .tchudi (1969) peintures rupestre du sahara.tassili-n-ajjer,Suisse:edition hallwag berné,p2.
(190) g camps (1974) op.cit.p258.

وتتميز هذه المرحلة بوجود الطابع الرمزي للمشاهد بشكل مختلف عن الأسلوب الواقعي في مرحلة البقريات ومرحلة الجاموس العتيق.[191].

ومن خلال استعراض هذه الآراء يمكننا القول أن هذه المرحلة تتميز بوجود شخصيات ذات رأس مستدير مع عدم وجود ملامح الوجه بشكل عام[192]، ويتكون هذا الفن من عدة أساليب،« قد تصل الى 20 أسلوبا الأقدم منها يمثل شخصيات أحادية اللون لا يزيد علوها عن 10 سنتيمتر، ولاحقا بعض الصور يصل ارتفاعها إلى 5أو6 أمتار مطلية باللون الأبيض ومحاطة بالخط البنفسجي والبني »[193].

ولا يعرف على وجه الدقة بداية للرؤوس المستديرة ولا حتى المكان الأصلي لها وفيما إذا ظهر هذا الفن في التاسيلي وتطور فيها، أم ظهر في مناطق أخرى وانتقل إلى التاسيلي، فتواجد هذا الفن في منطقة الأكاكوس لا جدال فيه، وقد أعطت تلك الأماكن زمنا أقدم من الطاسيلي تبعا للتزمين الذي إتبعه موري وهو محل نقد من طرف هنري لوت[194].

من خلال ملاحظاتي لمشاهد الرؤوس المستديرة فإن هذه المرحلة تتميز بـ :

- وجود صور إنسانية غالبة مع قلة تواجد لصور الحيوانات ،وهو ما نجد عكسه سواء في مرحلة الجاموس العتيق bubaline[195] أو مرحلة البقرياتBovidiene[196].

- أشخاص يضعون أقنعة، وأقنعة أخرى مرسومة بشكل منفرد، أما الأشكال فهي مرسومة بأحجام متنوعة وأحيانا أكثر من الطبيعي (اللوحة رقم 66).

- التشكيلة الحيوانية محدودة بالأروية والضبي مع تواجد قليل لأفراس النهر ،وحيد القرن والزرافات وأقل منها للفيلة والحيوانات الأخرى .

- وجود كبير للأقنعة برؤوس فصيلة الكلبيات خصوصا في وادي جرات(اللوحة رقم 64)
- انعدام ملامح الوجه في معظم الصور، واقتصار بعضها على أشكال هندسية في دائرة

---

[191] Christian Dupuy(2007) «etude thématique sur l'art rupestre» ICOMOS, UNISCO,p 30.
[192] Pierre calombel(2000) « le tassili n'Ajjer mémoire de sahara » les lettres de clio, http:www.clio.fr
[193] H lhote (1984) op.cit,p258
[194] Loc.cit
[195]مرحلة الجاموس العتيقbubaline هي مرحلة سادت فيها النقوش وحياة الصيد ،تظهر فيها صور الحيوانات البرية ومنها الأبقار البرية وخاصة الحيرم وهو جاموس ضخم ذو قرون كبيرة بشكل يشبه القيثارة ، كما توجد أبقار برية أخرى من نوعbos primigenius ،ينظر: G camps«bubalus antiquus» encyclopédie berbère,n°11 ,France: :edisud,pp1642-1643.

[196]مرحلة البقرياتbovidien سميت بهذا الاسم نظرا لسيطرة صور الأبقار والحياة الرعوية في المشاهد سواء في النقوش أو في الرسوم الصخرية حيث يلاحظ وجود أنواع مختلفة من الابقار هي : الابقار الافريقية bos africanus والنوع الثاني يسمى علميا باسم bos primigenius ، ثم يظهر نوع جديد يسمى bos brachyceros، ينظر:

E bernus(1992)« bœuf(préhistoire)»,encyclopédie berbère,n°10,,France:edisud ,pp1548-1552.

الرأس،أما المشاهد التي تظهر فيها ملامح الوجه فقد تمثل شخصيات بوجه أبيض[197] بينما ُتظهر أغلب المشاهد الوجه الزنجي[198].

- الألوان المستعملة هي اللون الأبيض واللون الأحمر ثم اللون الأصفر وأقل منه بالنسبة لبقية الألوان البنفسجي، البني، الرمادي ونادرا اللون الأخضر الذي نجده خصوصا في جبارين.

- وجود مساحة ضليه في الداخل بلون مختلف عن لون الجوانب المحيطة بالجسم، وكأنهم يقومون برسم الحدود الخارجية للجسم أولا بلون، ثم يقومون بتلوين الأجسام الداخلية بلون مختلف وهي ما نطلق عليه تقنية الدارة.

- تضع الشخصيات الإنسانية قطعة قماش تشبه التنورة pagneأو غطاء للعورة للنساء والرجال أما البدن فهو عاري.

- يوضح نوع الجنس بالنسبة للنساء بواسطة أثداء مخروطية الشكل توضع أحيانا إحداهما فوق الأخرى .

- عدم وجود مشاهد الحروب والقتال في هذا الفن وهو يدل على التواجد السلمي في المنطقة ، وحتى إن اعتبرنا بعض المشاهد التي تمثل معركة أو شجار ضمن هذا المرحلة فمشاهد القتلى والجرحى منعدمةأما السلاح فيقتصر على العصا والقوسوالعصا المعقوفة (البوميرانغ).

- الزينات الجسدية كثيرة وهي تغطى أجزاء من الجسم كاليدين والصدر والبطن وقد تغطي الجسم كله (اللوحة رقم52)،كما نذكروجود الأساور والزينات الجسدية والأشرطة والحزام في الوسط وفي الذراع وعند المرفق والركبة ،والزوائد المتدلية على الذراعين والساقين، ووجود قرون وريشات فوق الرأس في بعض الأساليب (اللوحة رقم 8) .

- العديد من المشاهد إذ لم نقل كلها موجودة في مناطق جبلية صعبة المسالك، كما توجد مشاهد مختبئة في أماكن مظلمة من الكهوف و كأن هؤلاء إختاروا المناطق الجبلية كأماكن لمعابدهم و لإجراء طقوسهم و مراسيمهم الاحتفالية[199] .

- معظم مشاهد الرؤوس المستديرة تعبر عن جانب روحي و أسطوري غالبا على حياة الناس في ذلك الوقت.

---

(197)A Muzzolini, (1981) «Le groupe europoïde d'iheren-Tahilahi, étage "bovidien final" des peintures du Tassili.» R. O.M,.M, vol:32,n°2 ,p 121-138, h lhote (1970) « le peuplement du sahara néolilithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres » J.S.A, Vol 40 ,n°2, pp93-95fig2,3,4.

(198)g ,camps(1974) op.cit. p 258, m hachid (1998) op.cit,p 189.

(199) M hachid (1998) op.cit p 216.

-تتكون مرحلة الرؤوس المستديرة من عدة أساليب وقد عرفت تقسيمات فرعية متنوعة تختلف من باحث لآخر.ويقسمهاهنري لوت إلى:

- المرحلة القديمةstade ancien**:** تمثل أشخاص صغار الحجم بلون المغرة البنفسجي الداكن الجسم مبسط وأطراف شبه خطية ،الرؤوس عارية وأحيانا تعلوها زوائد في شكل قرون أو ريش ،الحيوانات في هذه المرحلة قليلة وتقتصر على الأروية أو الفيل[(200)].

- المرحلة المتطورةstade évolué: تضم رسوم متعددة الألوان يتميز الأشخاص فيها بحجم أكبر وبأطراف مفتولة مع غياب للرقبة، وانتشار لتقنية الدارةtechnique de cerneبالمغرة الصفراء[(201)]،يدخل ضمن هذه المرحلة أسلوب المريخيين وكل الشخصيات الكبيرة التي تكون في وضعية مركزية بالنسبة للشخصيات الأخرى[(202)] (اللوحة رقم 77)،وتظهر في هذه المرحلة الزينات البدنية والزخارف المتنوعة داخل دائرة الرأس إلى جانبالأساور والأحزمة والريش على الكتف والرأس، يزداد عدد الحيوانات المصورة إلى الفيلة والكركدن والضبي والأروية[(203)].

-مرحلة الانحطاطdécadente stade: تتميز بأشكال خشنة وهيئات بدون تفاصيل وضخامة الأشكال وتعدد الألوان، تستعمل في هذه المرحلة الدارة الحمراء وأحيانا مزدوجة بالأحمر والأصفر مع مساحة داخلية بيضاء،تضم الأسلوب المريخي المتأخر ذو تقنية الدارة الصفراء والمساحة الداخلية البيضاء[(204)].

وكذلك المشاهد المشابهة "للسيدة البيضاء" في أونراحت[(205)] ، تتنوع الحيوانات إلى الفيل والزرافة والبقر والظبي والأروية والضبع والأسد والنعامة إلى جانب الشخصيات المقنعة وأشكال أخرى[(206)]،هذا عن هنري لوت أما فابريزيو موريf mori فيقسم مرحلة الرؤوس المستديرة إلى رسومات أحادية اللون ومتعددة الألوان [(207)] والمرحلة تضم رسوما ونقوش ، وهو ما يعارضه هنري لوت الذي يعتبر أن الرؤوس المستديرة تضم الرسوم فقط [(208)] .

وتقسمها مليكة حشيد إلى مجموعات و هي :

1- مجموعة الآلهة الكبرىوهي قديمة[(209)].

---

(200) h lhote (1973) A la découverte de fresques du tassili, arthaud: paris, pp208-209
(201)ibid.p210.
(202)H lhote (1958) Op.Cit. P265
(203)H lhote (1973)) op.cit.p 210
(204)lhote (1958).op.cit. p265.h
(205)أونراحت تقع جنوب شرق جانت قريبة من منطقة جبارين تنتشر بها مشاهد ذات طابع سحري إلى جانب مشاهد مشهورة كالسيدة البيضاء ،انظر الشكل رقم34.
(206)H lhote (1973)).op.cit.pp 214-215.
(207) G Aumassip , op.cit.p p18- 19
(208)h Lhote (1984)op.cit.p258.
(209)M hachid(1998) op.cit.pp192-197 ,fig272-276.

2- مجموعة المسارين les initiés:وهم أشخاص مقنعين بمساحة لونية سوداء محاطة بجوانب بيضاء أو حمراء، تظهر ألوان أخرى كالأزرق والأخضر التي توجد في الأشكال المتطورة، ومنها"السيدة البيضاء" و"محاربو الإغريق" بصفار و"السيدة السوداء".
3- مجموعة الشياطين Les diablotinsوالشخصيات الصغيرة الأخرى[210].

أما بالنسبة للأساليبفنذكر أولا أسلوب **الشخصيات الصغيرة** الذي يمثل حسب هنري لوت المرحلة الأقدم في الفن الصخري، يتميز بوجود شخصيات صغيرة ذات جسم بسيط و رأس مستدير وأطراف شبه خطية ، أعلى الرأس يكون عاريا و لكن قد نجد قرونا أو ريشا ، اللباس يقتصر على قطعة قماش تستر العورة pagne، عادة نجد هذه الشخصيات مجتمعة في اثنين أو ثلاثة أما الأسلحة فهي مقتصرة عن العصا و القوس ،تتراوح الألوان ما بين الأصفر والأحمر والبنفسجي، قسم من هذه الشخصيات يسميها هنري لوت باسم الشياطينdiablotine تميز بالمغرة الصفراء المحاطة بالمغرة الحمراء[211]الأسلوب يتطور إلى المغرة الصفراء المحاطة بالمغرة البنفسجية،حيث يتحسن الأسلوب لتصبح الشخصيات أكثر حركية فهي تظهر في مناظر طقوسية يقوم الأفراد فيها برقصات من خلال انحناء الجسم ووضعية الأيدي[212] (اللوحة رقم7).

أما **أسلوب المريخيين** فيتميز بحجم كبير و أطراف سميكة مع غياب للرقبة ، كما يتميز بتعدد الألوان، ولا حدود بين الأطراف حيث تنعدم المفاصل أما النساء فهن يظهرون بأثداء صغيرة مخروطية الشكل [213]و أشكالهم تبدو ساكنة وهي بمساحات لونية بيضاء وجوانب حمراء أو صفراء ، لكن توضح اليدين و الرجلين بصفة منحرفة إلى جانب وجود الأساور مثل مجموعات صفار[214] و جبارين[215] وهي مجموعات قديمة[216] رؤوس هذه الشخصيات تحمل أقنعة تشبه خوذات الغطاسين أو رواد الفضاء، لهذا السبب سماهم هنري لوت باسم المريخيين martiens[217] (اللوحة رقم 16).

أمابالنسبة لأسلوب **الآلهة الكبرى**الذي يتواجد في صفار فيتميز برأس مستدير مع انعدام الرقبة ، كما توجد ذيول على الذراعين و على الركبة ويعد مشهد" الإله الكبير" في صفار

---

[210] M hachid(1998) op.cit .pp200-211.
[211]h lhote (1958)op. cit.p225.
[212]H lhote (1973).op.cit.p 208.
[213]Ibid.p226.
[214] صفار: متواجدة في قلب منطقة جبلية صخرية متآكلة جدا مع مسالك صعبة،و نقاط الماء الرئيسية تتواجد في قلب صخور يستحيل أن تصل إليها الأبقار، لعل هذا هو سبب قلة رسوم البقريات فيها ، ينظر :
h Lhote (1958).op.cit.pp 131-138.
[215] جبارين: منطقة جبلية وعرة تشبه صفار ،تكثر بها الجبال الصخرية ذات الأشكال الغريبة معظمها من الحجر الرملي لعبت عناصر الحت دورا كبيرا في تشكيل الملاجئ المزينة بالرسوم الصخرية التي تعود إلى مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة البقريات ، ينظر:h g hugot (1974), op.cit.p35 :
[216]M hachid (1998) op.cit. pp192-216.
[217]h lhote (1976) vers d'autre ... op.cit, p65.

مشهد نموذجيا لأسلوب الآلهة الكبرى ،لا وجود لأية ملامح للوجه ، والعضلات بارزة مع وجود القرون و نوع من الخيوط في الذراع ، بالنسبة للحيوانات فان الاروية هي الغالبة علي معظم المشاهد، و ما يميز هذا الأسلوب عن أسلوب المريخيين هو وجود فراغ في الرأس و عدم وجود العينين أو زخارف داخل الوجه مثلها نجد لدى الإله المريخي (اللوحة رقم 77) ،إضافة إلى ما سبق يمكن ملاحظة ووجود رموز تمثل دوائر مركزية صغيرة متسلسلة ورموز أخرى في المشاهد وهو ما لا نجده في أسلوب المريخيين.

كما تبرز في مرحلة الرؤوس المستديرة شخصيات أنثوية تمثل آلهة عظمى يتميزن بالزينات البدنية في شكل نقاط متقطعة ،مع قرون طويلة في بعض الأحيان ،الأثداء طويلة مخروطية الشكل وبها تزيين هي الأخرى ،زوائد متمثلة في خيوط متدلية على الذراع مع أساور كثيرة على اليدين معظم الشخصيات الأنثوية نجدها بهذا الأسلوب ومتماثلة خصوصا من حيث الزينات الجسدية .

أما **أسلوب القضاة** أو **"**قضاة السلام**"** كما يسميهم هنري لوت فيتميز بوجود شخصيات

متماثلة الجسم تبدو مناظر لأشخاص طبيعيين، يتميز الأشخاص بحلاقة غريبة تتمثل في دائرة فوق الرأس بحجم مختلف بين الكبيرة والمتوسطة الحجم، تتواجد مشاهد " قضاة السلام" في منطقة إن إتينان i-n-itinen* وفي جبارين[218] .

أما **الأسلوب الخيطي**filiformeفلم يتم تصنيفه ضمن أي من مراحل الفن الصخري وكون هذا الأسلوب يحتوي على مناظر الرقص التي تدل على طقوس معينة فيمكن أن ينتمي إلى الرؤوس المستديرة كما أن تلك الشخصيات ذات قرون، تبدوا أجسامهم في بعض المشاهد غير متماثلة فالسيقان طويلة جدا تفوق الحجم الطبيعي، أما اليدين فهي متوسطة الحجم أو صغيره ،والرأس دائري في الغالب مع عدم وجود ملامح الوجه.

وبالنسبة لأسلوب **الشخصيات النصف إنسانية** الذي تتواجد نسبة قليلة منه في الرسوم الصخرية أما غالبة المشاهد فهي موجودة في نقوش وادي جرات، والحيوانات الممثلة في هذه المشاهد هي حيوانات ابن آوى والكلب البري ثم السنويات وحيوانات أخرى كالضبي ووحيد القرن وبصفة أقل الفيل حيث تتخذ تلك الشخصيات رؤوس تلك الحيوانات.

إستطاع الباحثون أن يميزوا في بعض المشاهد ملامح الجنس الأبيض الذي يسميه الفرد موزيلني A muzzoliniباسم الأوروافريقي Europoide[219] بينما تسميهم مليكة حشيد

---

* ان اتينان هي منطقة جبلية تشرف علي الوادي الذي يحمل نفس الاسم ، توجد بها مشاهد الآلهة الكبرى ومشاهد قضاة السلام ، ينظر : h lhote(1976) vers d'autre…op.cit.,pp 102-103

[218]h Lhote (1973) op.cit.p77,fig 27.

[219]A Muzzolin(1981) op.cit.p121-138.

باسم "المشتاوين"Méchtoide [220] وتمثلهم مشاهد تان زوميتاكTan zoumaitak وتين تزاريفت Tin tazarifet[221] ، وحسب موزيلني [222]الذي أطلق على هذا الأسلوب اسم **إهيرن – تاهيلاهي** ihern- tahilahiوهوينتمي إلى مرحلة البقريات النهائية[223]، ويمكن أن يدخل ضمن الرؤوس المستديرة [224] ، أما هنري لوت فقد قال « أن مرحلة الجاموس العتيق التي تمثلها نقوش وادي جرات[225]وهي للجنس الأبيضالذي من المفترض أن يكون أقدم من الزنوج»[226] ،بينما رسوم الرؤوس المستديرة يبرز فيها بشكل أكبر الجنس الزنجي ولا يتواجد الجنس الأبيض إلا في الأساليب الأخيرة [227]يتميز هذا الأسلوب بغنى المواضيع وبتواجد مختلف الحيوانات ، وهو يتواجد في مناطق مختلفة ولكن خاصة في ملجئي اهيرن وتاهيلاهي القريبين من بعضهما.

ويعود سبب انتشاره في كامل المنطقة إلى الجفاف الذي أعقب العصر الحجري الحديث الذي شتت المجموعات الصحراوية ، وهو ما سمح أيضا بانتشار تأثيرات لفن الرؤوس المستديرة لتستمر إلى غاية الفترة النهائية لمرحلة البقريات[228]، يتميز أيضا برسم ملامح الوجوه وبالفساتين الزاهية الألوان، وبرسوم ذات ألوان متعددة والتزينات الجسدية الفريدة من نوعها في شكل خطوط مائلة ، وحتى الحيوانات تحضي هي الأخرى بالزينة والألوان المتعددة والخطوط المتموجة في أجسامها ، حيث يعد تمثيل ملامح الوجه خاصا بهذا الأسلوب الذي يعتبر خاليا تقريبا من الأقنعة .

أما أسلوب المرأة المنفرجة femme ouverte المتواجد بصفة خاصة في وادي جرات وصورها مرتبطة دوما بشخصيات نصف إنسانية مقنعة برؤوس حيوانات من فصيلة الكلبياتcanidé فيمشاهد جنسية، ويبدو واضحا رمزية المشاهد فهي لشخصيات أسطورية أو تمثيلا للآلهة الأنثوية الخاصة بالإخصاب لكونها تتميز بضخامة الحجم مقارنة مع الشخصيات الذكرية .

---

[220] نسبة إلى إنسان مشتي العربي قرب قسنطينة ومشتى افالو قرب بجاية،ينظر M Hachid (2000) Les: Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili -Et Nil . Paris: Edisud-Ina-Yas..pp9-14.

[221]تين تزاريفت: المنطقة تضم مجموعة ملاجئ تحت الصخور ، مزينة برسوم تعود إلى مراحل فنية مختلفة وخاصة الرؤوس المستديرة، تضاريسها شبيهة بصفار وجبارين ينظرhg hugot op.cit.pp14,23:,

[222]A Muzzolini (1981) op.cit.pp 121-138

[223] تقول ج اوماسب أن هذا الأسلوب ظهر في مرحلة البقريات وانتشر في كامل التاسيلي في تلك المرحلة ،ينظر: G aumassip , op.cit.p6.

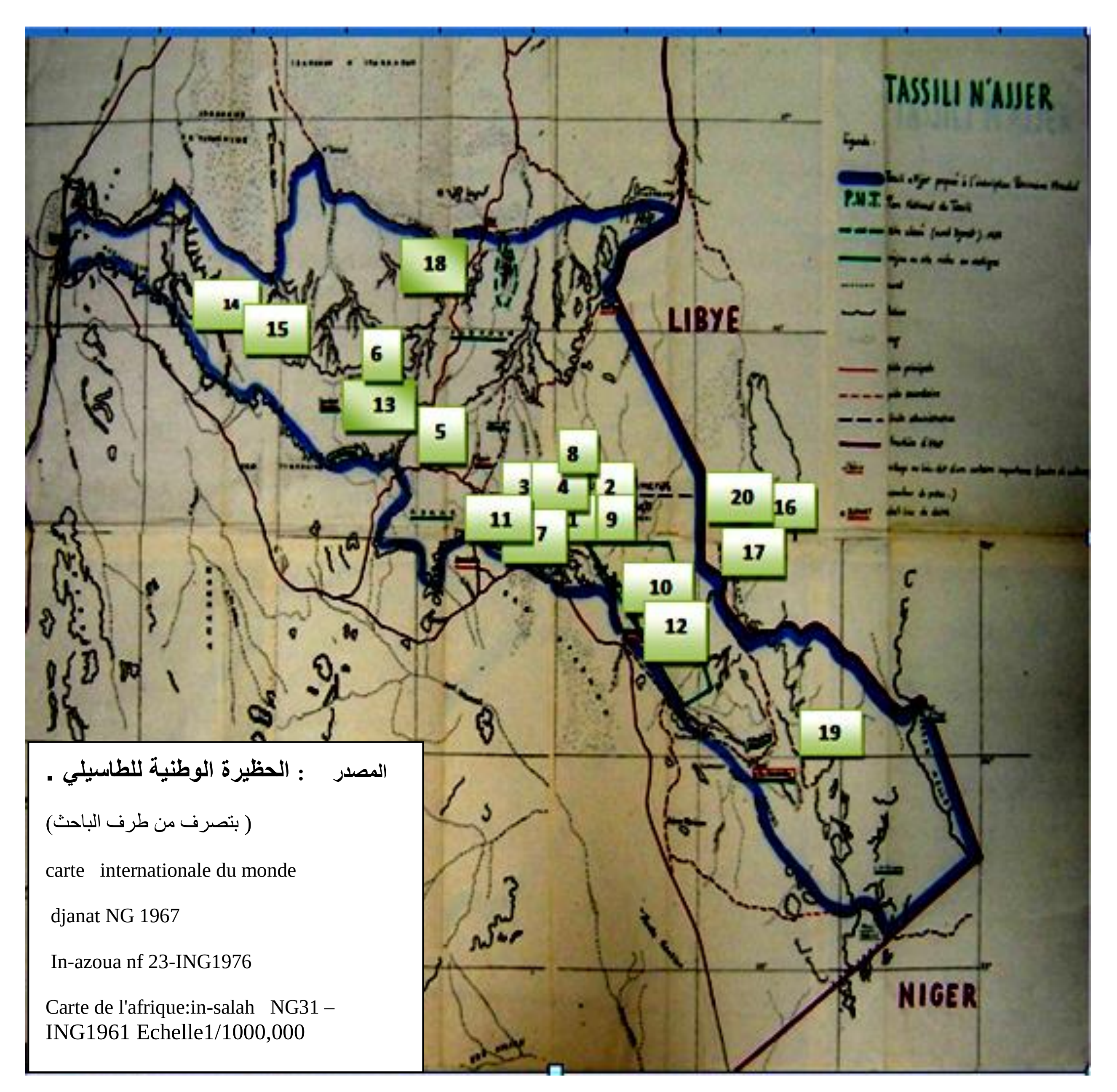
[224]A Muzzolini (1991) op.cit. pp30-31.

[225]وادي جرات هو عبارة عن مجرى مائي واسع يعود تكوينه إلى حقبة السيلورى – الدوفيني siluro- dévoniensللطاسيلي الخارجي،ينفتح على حوض إليزي و ما يقرب من 30 كلمترا من منطقة برج الحواس،ينظر: h lhote (1976) gravures…op.cit. T1. p 11.

[226]h Lhote (1970) op.cit. p94 fig 1-2.

[227]R Lantier (1969) « la vie préhistorique d'après les peintures rupestre africaines et espagnoles» C.R.A.I, vol 113, n° 3, p400.

[228]A Muzzolini (1991)op.cit. p30



01- تامريت	02-تين تزاريفت	03- تمنزوزين	04- إن اتينان	5- اوان بندي
06-تيسوكاي	07- جانت	08- تين أبوتيكا	09- صفار	10-جبارين
11-تان زوميتاك	12- اونرحات	13- تين تافريست	14- اهرين	15- ديدر
16-اكاكوس	17- وان موهيجاج	18- وادي جرات	19- تين هنكاتن	20- تين لالان

الشكل رقم 50 : خريطة لمواقع الرسوم الصخرية في الطاسيلي،

تظهر في هذه الخريطة اهم مواقع الرسوم الصخرية التي يبرز فيها الاثر الديني .

ج- الأصول والامتداد الجغرافيلشعوب الرؤوس المستديرة:

قبل معرفة الأصول المحتملة للرؤوس المستديرة يجب أن نعطي فكرة عن التواجد البشري والحضاري في ما قبل التاريخ في بلاد المغرب والصحراء والتغيرات المناخية التي صاحبته،فمنذ 40ألف سنة بدأ الإنسان العاتري وهو ممثل الإنسان العاقلhomo sapiensفي شمال إفريقيا بالتوسع في بلاد المغرب والصحراء[229]،ومع نهاية هذه الفترة حدثت مرحلة مناخية جافة حددت بين 20ألف و 10,500 قبل الميلاد[230].

ورغم أنه لا توجد شواهد على وجود بقايا إنسانية تعود إلى هذه الفترة، إلا أنه لا أحد يمكنه الجزم بفراغ المنطقة من السكان، بما أن الإنسان تمكن من مقاومة الفترات الجليدية في أورباوأثبت وجوده في تلك الفترة من خلال رسوم على الكهوف الاسبانية و الفرنسية[231]، فربما تمكن الإنسان في الصحراء من الصمود ولعل بعض من المشاهد الفنية تعود إلى تلك الفترة مثلما يشير إليه بعض الباحثين[232]، على كل حال فالأمر يحتاج إلى البحوث العلمية المكثفة فربما قد يتمكن العلماء من اكتشاف بقايا للإنسان تعود إلى هذه الفترة.

أما في بلاد المغرب فإن شواهد على وجود الإنسان تتناسب مع هذه الفترة أي حوالي22500ق م في موقع مشتى العربي في قسنطينة وأفالو ببجاية[233]، وإنسان المشتى معروف أنه ممثل الحضارة الإيبيرومغربية التي كانت ساحلية ولم تتعدى منطقة كليموناطة بتيارت وموقع الهامل ببوسعادة [234]، ولعلها وصلت إلى الصحراء الشمالية[235]،يعتبر كل من مليكة حشيدوديدا باديdida badi أن بقايا تين هنكاتن بالتاسيليوأمكني بالهوقارamakniووان موهجاج بالاكاكوس تعوددللزنوج، يتعلق الأمر بخمسة هياكل كاملة لبالغين وهيكلين لطفلين في تين هناكتن تؤرخ ب 5950 ق م[236]و كذلك أطفال مدفونين في

---

[229] Abdelaziz farreh(2002) l'Algérie civilisations anciennes du sahara, Algérie:edition ENEF, P84.

[230] J L le quellec (1999) «répartition de la grande faune sauvage dans le nord du l'Afrique durant l'holocène». L'anthropologie: paris vol: 103,n° 1. p 164.

[231] يعود الفن في الكهوف الأوربية إلى ما يقرب من 30الف سنة ينظر:

A Laming Ampraire(1962)la signification de l'art rupestre paléolithique ,méthode et Applications,paris: Edition picard,p61.

[232] يذكرفابريزيو مورى f mori ان الفن الصخري الصحراوى يعود إلى نهاية البلايستوسان أما مارينا لاباسيولو marina la pacciolu فتقول أنه يعود الى البلايستوسان الأعلى بين40 و20الف سنة ،ينظر:

Jean loic le quellec (1998) op.cit.p88.

[233] slimene hachi ,les cultures… op.cit.p17, Abdelaziz farreh(2002) op.cit. p 84.

[234] محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق. ص88.

[235] slimene hachi ,les cultures… op.cit.p22.

[236] سميرة عمراني،المرجع السابق،ص66.

أمكني و فيوان موهجاج[237]، من جهة ثانية فإن الفخار الذي أكتشف على نطاق واسع في الطاسيلي والأكاكوس مرتبط بشعوب زنجية لكونه اكتشف في نفس المستوى الذي وجدت فيه هذه الهياكل البشرية [238].

وفي حوالي 7000ق م ظهر أقوام ذو قوام طويل رشيق من جنس البحر المتوسط ولكنهم لم يخلو من الصفات شبه الزنجية، وهؤلاء يعرفون بالقفصين [239]،وهناك تشابه بين القفصيين وإنسان المشتى حيث يبدوا أن للحضارتين أصل مشترك من الناحيةالبشرية[240]ويعتقد سليمان حاشى أن الايبرومغربية هي الثقافة الساحلية للقفصية، [241]كما أن مليكة حشيد تقول أن القفصين مسئولون عن الفن الصخري في التاسيلي[242].

ومن خلال ما سبق نستنتج وجود أصول ثنائية للرؤوس المستديرة ،تواجد أكيد للعنصر الزنجي وتواجد قديم لجنس من الشمال ممثلا في مرحلة الجاموس العتيق ، وفي الرؤوس المستديرة لا يظهرالجنس الأبيض إلا في الطور الأخير الذي هو نفسه أسلوب اهيرن-تاهيلاهي المنتمي إلي مرحلة البقريات النهائية [243]وخلال مرحلة البقريات أيضا يسود الجنس الزنجي[244].

وقد ظهرت عدة فرضيات حول أصول السكان:

- **الفرضية الأولى:** هيتلك التي قال فيها هوجو ش ح hogot من أن أقدم موجة من الشعوب قد قدمت من منطقة الخرطوم،حيث أن شواهدها الحالية نجدها في التوبو الذين يسكنون التيبستي،والفولانيفي غرب إفريقيا [245].وقال في موضع آخر أن أقدم موجة بشرية هي تلك التي تكونت على ضفاف النيل موازية لمستوى الخرطوم والشهانب وتحركت من الشرق إلى الغرب على طول البحيرات الكبرى، ثم توغلت في الشمال حتى الهوڤار والطاسيلي ووادي الساورة، وهؤلاء شكلوا حضارة النيوليتي ذو التقاليد السودانية (وهي تسمية تطلق على النيوليتي في الصحراء لتأكيد وجود الطابع الزنجي)،وقد عرفوا الفخار و أتقنوا الفلاحة،ثم تلتها موجة أخرى في الجنوبوهي للجنس الغيني توسعت بصفة خاصة في الغابات الاستوائية ، يأتي بعد ذلك القفصيون من الشمال باتجاه الصحراء والموجة الرابعة هي الايبرومغربيون الذين يمتدون إلى موريطانيا و الصحراء الغربية و الصحراء

[237]dida badi (2004)op.cit.p56, M hachid (1998) op.cit. p 217.

M hachid (2000) op.cit., p40.[238]

[239]جيهان ديزانج (1985)«البربرالاصليون» تاريخ إفريقيا العام ،المجلد 2: باريس ،جون أفريك و اليونسكو، ص432.

[240]M hachid(1983) les pierres écrites de l'atlas saharien,.algerie: edition .E N A G. T 1. p20.

[241]

[242]slimene hachi ,les cultures…op.cit.p12

M hachid (2000) op.cit.p, p77.

[243]A Muzzolini, (1981) op.cit.pp91-102.

[244] G aumassip, op.cit.pp21-22.

[245]H g hugot(1974),le Sahara avant le désert. France:Editions Des Héspérides,p144.

عموماوهؤلاء هم المشتاويون méchtoide، الموجة الخامسة و هي التينيري Ténéréو هي تلك التي وجدت أثارها في منطقة أدرار بوس[246] هذه المنطقة الأخيرة تقع في أقصى شمال النيجر قريبة من الحدود مع الجزائر (الشكل رقم 51).

ومن نتائج الهجرة الأولى للشعوب الزنجيةانتشار نوع من الفخار يعرف بزخرفة الفخار بالمهزة وهذه الهجرة كانت مدفوعة بتوسع الغابات الإستوائية في إفريقيا الوسطى حيث تمثل هذه الغابات بيئة مغلقة أمام الإنسان تدفعه للهجرة نحو الشمال وكانت الهجرة بمحاذاة الأنهار والبحيرات[247] ، ويحدد رودلف كوبر تاريخ قدوم الزنوج إلى الصحراء الوسطى بين 8000 و 7000 ق م لكنه لم يحدد المكان الذي أتو منه [248] .

الفرضية الثانية: الدراسات التي قام بها الباحثان الألمانيان هالي إلريش ulriche hallier وزوجته brigiter hallier في منطقة جادو [249] النيجرية،قد أطلقت فرضية جديدة حول أصول الرؤوس المستديرة من منطقة إينيرس في جادوا ineris، بسبب تشابه فن الرؤوس المستديرة في المنطقتين وقدم هذه المنطقة عن الطاسيلي[250] .

الفرضية الثالثة : و تمثل في أصول الرؤوس المستديرة من منطقة تادرارت الجنوبية حيث أدت الابحاث التي قام بها كل من فرحات نجيب و ميشال توفروا إلى افتراض وجود طور أولي للرؤوس المستديرة في منطقة تادرارت الجزائرية [251] ، سمي باسم كيل إسوف kel essuf نسبة الى قبيلة مشهورة من الطوارق. [252] .

الفرضية الرابعة: مصدر الهجرةهذه المرة من الشمال تؤكدها تأثيرات الثقافة القفصية مثل تزين بيض النعام ، كماأن تواجد الجنس الأبيض في مرحلة الجاموس أكيد على حد تعبير هنري لوت[253]، فهل عاشت هذه المجموعات البيضاء إلى جانب الزنوج؟

على كل حال فإن تواجد الجنس الأبيض اقل بكثير من الزنوج الذي يغلب طابعهم على كل الأساليب الفنية لهذه المرحلة ، ويقدم الباحث ديدا بادي dida badiفرضية أخرى مفادها :«

---

[246]هـ ج هوجو (1985) الصحراء في ما قبل التاريخ ، تاريخ افريقيا العام المجلد الاول، باريس: جون افريك واليونسكو ص ص604-608.

[247]فيكتور فرناندز(2005)« اربع آلاف سنة في النيل الازرق» ترجمة أسامة عبد الرحمان نور ،مجلة الاثار السودانية - اركماتي العدد السابع . ديسمبر2005 ينظر:
الموقع الالكتروني للمجلة: www.arkamani .org /vol7/archeologie 7 /victor –arabic .com

[248]Rudolph kuper(.1978)« sahara,10.000 jahre zwishen weide und wuste ».museen der stadt köln trad charlotte von craffenried .p118

[249] تقع هذه المنطقة في أقصى شمال النيجر قرب حدودها مع الجزائر،أنظر الشكل رقم51.

[250]Ulrich Hallier w. Brigitte c hallier (2005) « round heads in the djado (nord de Niger and tassili mountains sud Algeria » stone wath magazine 4-5. 2005 p 3-27.

[251] تقع في أقصى حدود الجزائر الجنوبية وهي منطقة جبلية ، أنظر الشكل رقم5.

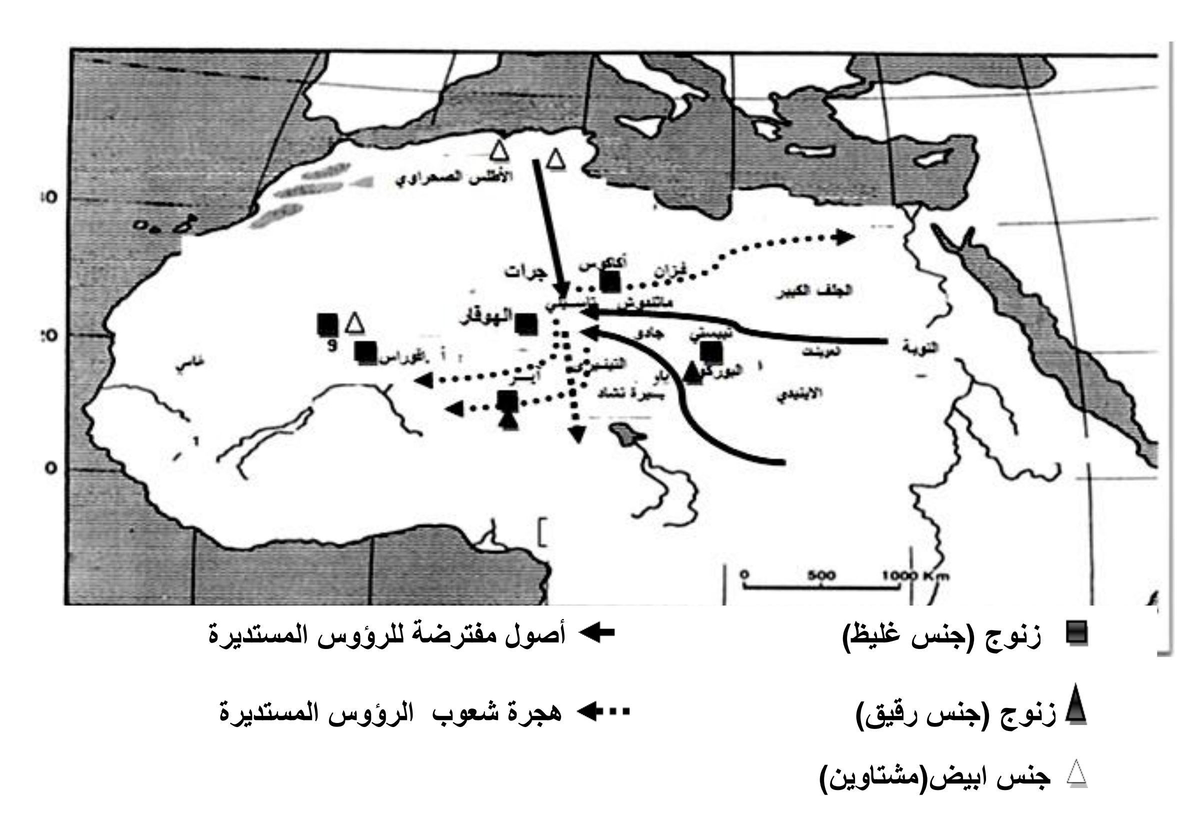
[252] nour-eddine saoudi (2002) les temps préhistoriques en Algérie, Alger: edition dalimen. P88

[253]H.lhote (1970) op.cit.p 93 ,fig2,3.4.

أن التركيبة البشرية التي نجدها في الفن الصخري ،تجعلنا نعتقد بوجود شعب محلي منحدر من كيلاسوف kelessufانتقل إلى العيش مع مجموعات أخرى بحيث جذبته الظروف الطبيعية[254].

أما بالنسبة لمناطق تواجد الرؤوس المستديرة من خلال فنهم ، فهي مناطق التاسيلي والأكاكوس و بعض المشاهد المشابهة في منطقة اينيدي بتشاد ،حيث نجد للإله الكبير في صفار شبيه في إيينيدي وهومشهد الإله في سيفري sivré[255].

كما أن بعض الأساليب الفنية نجدها في مناطق أخرى مثل جبل العوينات والجلف الكبير على الحدود المصرية الليبية كما نجدها في هضبة المساك [256]،وفي منطقة تادرارت الجنوبية[257] ومنطقة جادوا شمال النيجر [258].



الشكل رقم 51: خريطة تمثل الأصول المفترضة للرؤوس المستديرة

المصادر: h g hugot .op.cit.p144, M C chamla (1968) les population anciennes du sahara et des régions limitrophes, paris : edition A M G ,p189, M hachid (2000) op.cit.p77.

---

[254]dida badi ,op.cit. p 56.
[255]g camps(1974)op.cit. p 258.
[256]J l le quellec (2007). Ni hommes, … op.cit .pp 67-68.
[257]nour-eddine saoudi (2002) op.cit. p78.
[258]Hallier –ulrich w. brigitte hallier(2005)op.cit.pp 3-27.

د- دوافع ومواضيع فن الرؤوس المستديرة

الجانب الديني يشكل دافعا قويا للإبداع الفني في ذلك الوقت حيث يذكر مارسيا إلياد وهو متخصص في علم الأديان : «أنه إذا اعتبرنا أن أهل العصور الحجرية بشرا حقيقيون فإن ذلك يتبع أنهم امتلكوا معتقدات ومارسوا بعض الشعائر»[259]، ويقول ميشال لوربلانشات Michel lorblanchat: «إن التغير في تقنية الرسم وأسلوبه قد يكون متصلا بالتغيرات في المعتقدات والوظائف الاجتماعية للفن ، فالفن الصخري يتطور فعلا مع تطور المعتقدات»[260] ويبدوا الغرض الديني جليا في الفن الصخري فأندري لوري كورهان يعتبر الكهوف نوع من المعابد ويجعلها عنوانا لدين الكهوف[261]، فالإنسان كان بحاجة إلى تجسيد أفكاره الدينية فكان المتنفس الوحيد له في ذلك هو الفن سواء كان نحتاللتماثيل الحيوانية أو الإنسانية أو الفن الصخري الذي برعوا فيه.

في زماننا هذا يتوجه الفنان بفنه إلى الجمهور فالإبداع الفني في هذه الحالة هو فن من اجل الفن ، والفنان اليوم باحث عن الجمال ويجسده في لوحاته ، وتشكل اللوحات التي تعود إلى عصر النهضة نموذج لهذه الفكرة ، ولكن هل كان الإنسان البدائي باحث عن الجمال هو الأخر؟بالنظر إلي الظروف التي كان يعيش فيها فمن الصعب القبول بذلك.

السحر والدين يلازمان الإنسان في ما قبل التاريخ فهما ينبعان من أصل واحد لا يمكن فصلها من حيث الأصل المشترك، ويقول في الإطار نفسه سيجموند فرويد sigmund freud: « انه لا يجانب الصواب من يتكلم عن سحر الفن ويشبه الفنان بالساحر،فالفن لم يبدأ بكل تأكيد باعتباره "فنا للفن" بل كان يعمل في خدمة ميول الإنسان ،وإن كانت تلك الميول تمثل بنسبة لا بأس بها مقاصد ونيات سحرية »[262] فالرسامين البدائيين الذين تركوا الحيوانات في صورالكهوف كانوا يسعون إلى الشعوذة لهذا تحتل تلك الرسوم مكانا نائيا وبعيدا وصعب المنال داخل الكهوف»[263].

وقد كان القس بروي l'abbé breuil من الأوائل الذين قالوا بوجود غرض ومعنى سحري في الفن الصخري أثناء دراسته لرسوم الكهوف في أوربا التي تعود إلى العصر الحجري القديم ،حيث قال إن تمثيل الحيوانات في مشاهد تتعلق بالصيد يهدف إلى مساعدة الصيادين

[259] مارسيا اليادا(1986) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس ، سوريا، دار دمشق،ج1،ص18.

[260]Gerard jaquet (1999) l'arche de déluge art du messak messager de désert,france édition vivrance grenoble, p10.

[261]A L corhan (1964) les religions de la préhistoire (paliolithique) presse universitaire de France , p95.

[262] sigmund freud(1951) totem et tabou,Interpretation par la psychanalyse de la vie sociale des peuples primitif, trad. s jankélévitch ,paris: petite bibliothèque bayot,.p70.

[263]A-L corhan (1976) «interprétation esthétique et religieuse des figures et symboles dans la préhistoire ,A. S. S. R , vol:42 , n° 1,1976, p 12.

في بحثهم على الغذاء فالصورة تعطي قدرة سحرية للصيادين للسيطرة على الحيوان مما يساعد في القبض عليه [264].

والكثير من الباحثين يعتبرون الفنان هو نفسه الساحر حيث أن المجتمعات البدائية مثل الاستراليين الأصليين لازالت تقيم طقوس احتفالية من أجل الصيد الوفير حيث يلعب الساحر دورا كبيرا فيها [265]، وهناك سحر الصيد وسحر الخصوبة المعبر عنهما بطقوس مختلفة[266].

بتعدد دوافع الإنسان من وراء الفن تعدد مواضيعه أيضا إلى مواضيع دينية و مواضيع سحرية ، فمما لا شك فيه أن وراء هذا الإبداع الفني يكمن وعي وإحساس مرهف وذلك يظهر على أكثر من مستوى من الناحية التقنية والأسلوب وما يتطلبه من إعداد المواد الخام والأدوات واختيار الجدار والملاجئ الصخرية الملائمة واستغلال النتوءات والتصدعات لإظهار نوع من البروز للموضوع الذي يريد إنجازه ثم على مستوى الأشكال التي تعبر عن مخيلته.

ومن الممكن أن تكون هذه المشاهد نتيجة لعمل جماعي أكثر من كونه فرديا حيث أن اختيار الألوان ومزجها وكل التحضيرات المتعلقة بالإنجاز تجعلنا نؤكد على أنه إنجاز جماعي وقد يكون نتيجة لانتهاء مراسم طقوسية تعبدية أو تحضيرا لها ، فتلك الشعوب كانت تقيم مراسيمها الطقسية قرب تلك المشاهد التي تعبر عن أساطيرها وألهتها ومقدساتها وكذلك أبطالها.

ذوي الرؤوس المستديرة هم أكثر شعوب الصحراء تدينا فقد اتخذوا من المراكز الجبلية التي سميت لدى الباحثين باسم غابات الصخورforets de pierre معابد لهم وجعلوا من ردهات الملاجئ الكبيرة أماكن لمراسمهم الطقوسية التي سجلوها على الصخور[267] .

يقول في هذا الإطار جون كلوت:j colletes«أن الفن الصخري قد يظهر موهبة عظيمة إذا ما كان مجسد المقدسات»[268]، ومرحلة الرؤوس المستديرة تميزت بتواجد كبيرللمقدسبواسطة تلك الرموز المعقدة ،فلم تصل أية مجموعة إلى ما وصلوا إليه إبداع فإليهم تعود أولى الأساطير المجسدة على جدران التاسيلي[269].

---

(264)Sophie de Beaune(1998) «chamanisme et préhistoire un feuilleton a épisode» l'homme, vol:38,n°147, 1998, p203.
(265)A Laming Empraire, op.cit.p103.
(266)Sophie a de beaune, op.cit.pp203.
(267)M hachid (1998) op.cit. p 216.
(268)Gerard jaquet ,op.cit.p 10.
(269) M hachid(2000) op.cit . p 27.

الفن الصخري يعبر أيضا عن الأساطير التي كانت موجودة في تلك الفترة حسب الباحث لامينغ امبرار A Laming Emperaire[270]، وهو ما نجد له أمثلة كثيرة لدى الرؤوس المستديرة فيما سيأتي.

والباحث اندري لوروا كورهان انتقد أراء القس بروي السابقة الذكر مستدلا على انتقاده له بالقول أن الرموز في المشاهد لا تمثل أفخاخ أو أسلحة وبالتالي فالمشاهد بشكل عام لا تعبر عن الصيد ، لكنه اعترف مع ذلك بوجود غرضا سحريا لبعض المشاهد بشكل مختلف تماما عن الفكرة التي أوردها القس بروي التي تسمي الصيد السحري، أما سحر الخصوبة فهي موجودة في هذا الفن نظرا لوجود مشاهد مضاجعة أو المشاهد التي تظم على الأقل رجالا ونساء وذلك بناء على تحليلات أندري لوروا كورهان للفن الأوربي[271]،و تلك المشاهد موجودة في نقوش وادي جرات [272]وفي رسوم منطقة اونرحاتawanrhat وتمنزوزين timenzouzin[273].

من جهة أخرى فقد انتشرت فكرة الشامانية[274]بين الباحثيين في الفن الصخري وهي نظرية حديثة نسبيا، من اكبر روادها جون كلوت و لويس ولیامس ودافيد كولسون كما اقر بوجودها مارسيا اليادا[275] ، وتم تطبيقها أولا على الفن الأوربي فقد وصف مشهد يمثل شخصية مقنعة في كهف الإخوة الثلاثة في منطقة أرياج بفرنسا[276] انه يمثل الشامان(اللوحة رقم 10) ، فيما أكد كل من لويس وليامس وجون كلوت وجود الشامانية في فن جنوب إفريقيا ، أما جون لوكلاك فيميل إلى الاعتقاد بأنها ظاهرة عامة في ما قبل التاريخ[277]، حاول بعض الباحثين تطبيقها في الفن الجنوب الإفريقي وفن الطاسيلي والباحث فرانسو سولاهافوبf soleilhavoupأكد وجودها في فن الرؤوس المستديرة حيثُفسرت مشاهد الشخصيات السابحة على أنها تمثل شامان في رحلة بحث عن الأرواح، كماُفسرت بعض الرموز الدائرية على أنها تمثل طبل الشامان[278].

عموما الظاهر على فن الرؤوس المستديرة هو الغرض الديني السحري، كما نجد مواضيع الخصوبة وافرة فيه أيضا .

---

[270]A l corhan(1976)op.cit.,p12.
[271]ibid, p 12.
[272]H lhote (1976)les gravures…T1,pp100-103.
[273]أنظر حول هذا الموضوع في الفصل الثالث .
[274] الشامان: هي كلمة يعود أصلها إلي منطقة سيبيريا يقوم الشامان بمهمة الطبيب والمشعوذ في القبيلة ، وله الدراية في التحكم في القوي فوق الطبيعية ، تنتابه حالات ذهنية شاذة كعلامات علي صلاته بالقوي الخارجة عن الكون، هذا لدى مجتمعات الصيادين ،أما في المجتمعات الزراعية والحضارات القديمة فتزول فكرة الشامان ويحل محلها الكاهن آو رجل الدين ينظر: الميرا إسماعيل علي (1982) السلالات البشرية ، بيروت: دار عز الدين للطباعة والنشر، ص 220 .
[275]Mircea Eliade (1949) « le problème du chamanisme».R H R. vol:131,n° 1, pp 50-52.
[276]كهف الإخوة الثلاثة في منطقة ارياج بفرنسا ،وهو من الكهوف العميقة يحتوى على ردهات وطبقات تحت أرضية ينظر:A Laming –Empraire(1962) op.cit.p99
[277]j-l le Quellec(2006) «Chamanes et …op.cit.pp 248-251.
[278]Ibid pp 239,241.

و تعبر العديد من المشاهد عن الطوطمية التي تعد أقدم أشكال الدين [279] فنحن نجدها في كل شيء في الأقنعة والزينات الجسدية أو من خلال الرقص حيث يحاكي الراقص حركات الحيوان الطوطم[280] ، كما أن تكرار ظهور حيوانات معينة في المشاهد مثل الاروية والظباء و الأبقار يدل على أن هذه الحيوانات تمثل الطوطم وقد أكد في هذا الإطار أندري لوروا كورهان أنه توجد حيوانات طوطمية[281] للإنسان فيما قبل التاريخ وأن صور الحيوانات تمثل رموز طوطمية[282].

وعادة الطوطم يكون حيوان القبيلة المفضل ولكن يمكن أن يكون نبات أيضا،حيث"تفسر الكثير من الزينات والأشياء والأقنعة في الاحتفالات الطقوسية على أنها رموز طوطمية ،كما أن معظم الأقنعة إذا لم تكن رؤوس للحيوانات فهي على الأقل مستمدة من الحيوانات تدل كلها على الحيوان الطوطم، فالطوطمية لها علاقة وثيقة مع تقديس الحيوان الذي كان شائعا في عصور ما قبل التاريخولم ينقطع إذ لا يزال موجودة إلى اليوم[283] .

كما لعبت خصوبة المرأة وتكاثر الحيوان وخصوبة الطبيعة دورا كبيرا في فن الرؤوس المستديرة حيث نجد الكثير من المشاهد المعبرة عنها سواء في الرسوم الصخرية أو في نقوش وادي جرات حيث أن العناصر الهامة في هذا الفن هي خصوبة النساء وتكاثر الحيوان**[284]**.

---

[279] A Laming –Empraire, op.cit.p115

[280] Ibid.p116.

[281] الطوطمية:هي اعتقاد عشيرة ما أنها تنحدر من طوطم ما وغالبا ما يكون حيوان ولكن قد يكون نباتا أو من مظاهر الطبيعة وتنسب إليه ،ينظر :الميرا اسماعيل علي، المرجع السابق،ص 204.

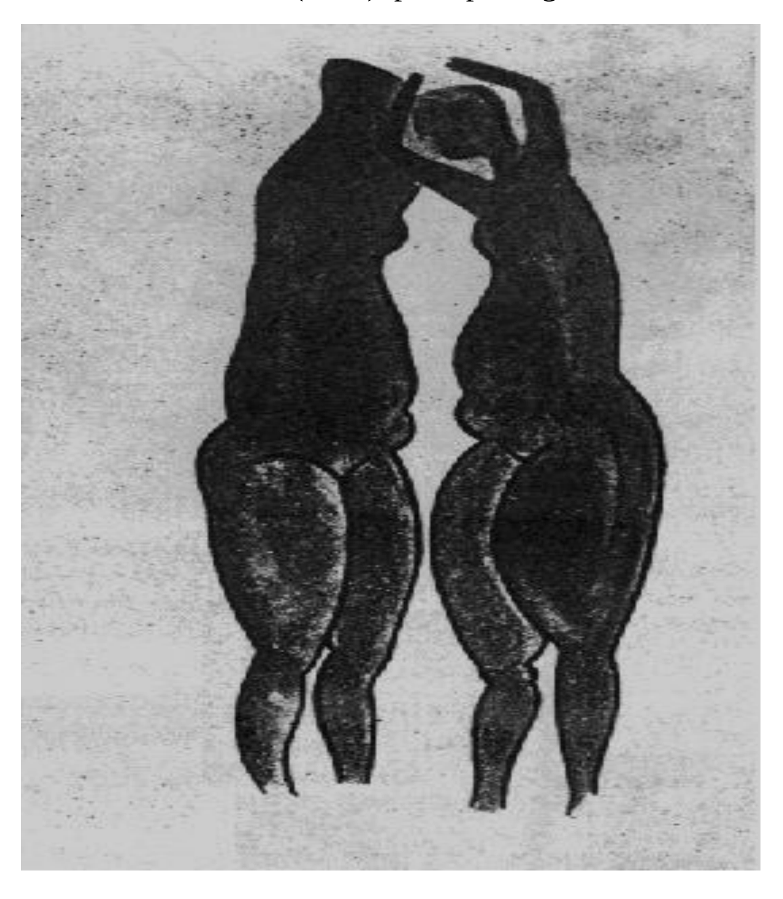
[282] A L corhan(1976)op.cit.p11.

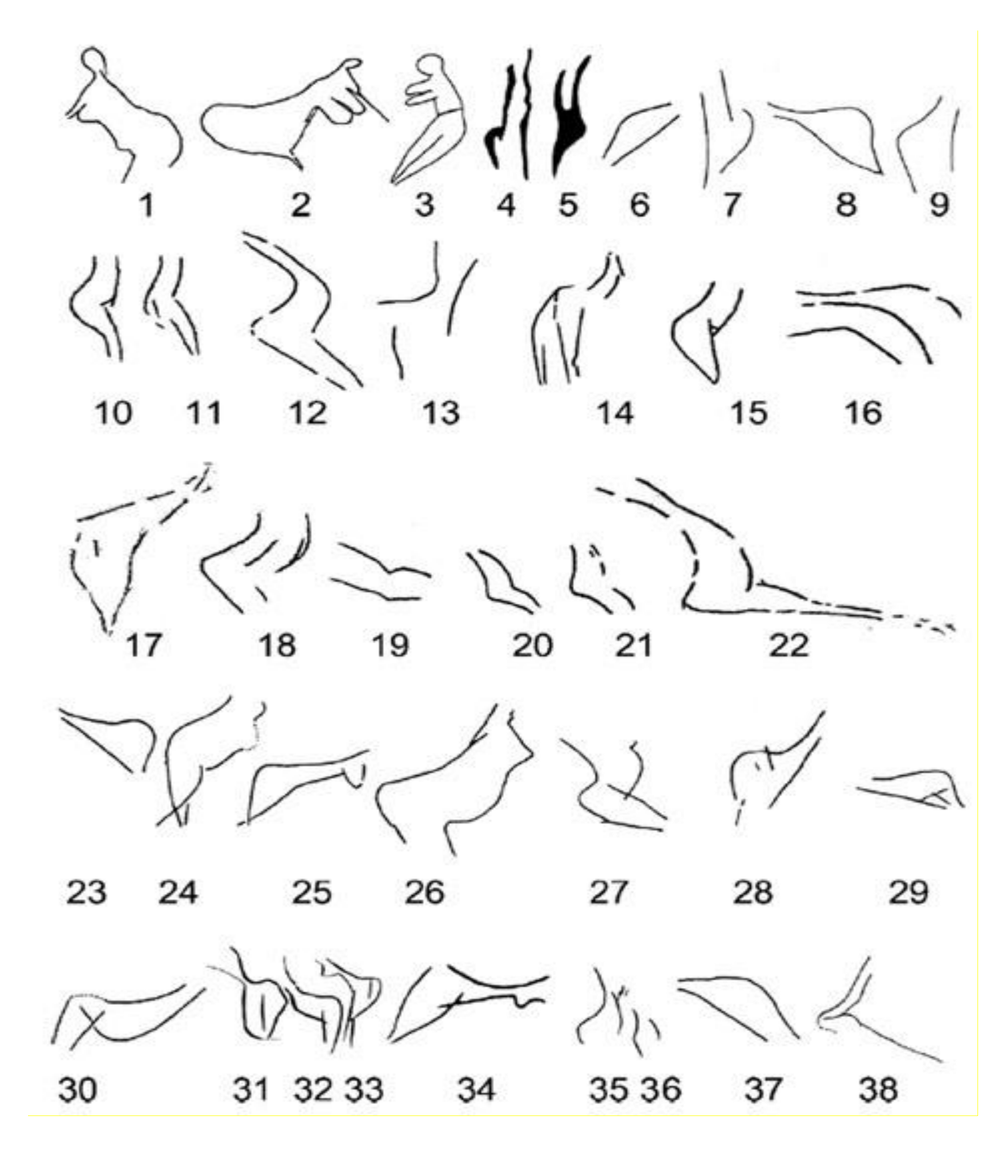
[283] خزعل الماجدي (1997)أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ،الأردن:دار الشروق ،ص.80

[284] M hachid(2000) op.cit . p 27 .

اللوحة رقم 09 : فينوسيات منطقة تامريت (التاسيلي)

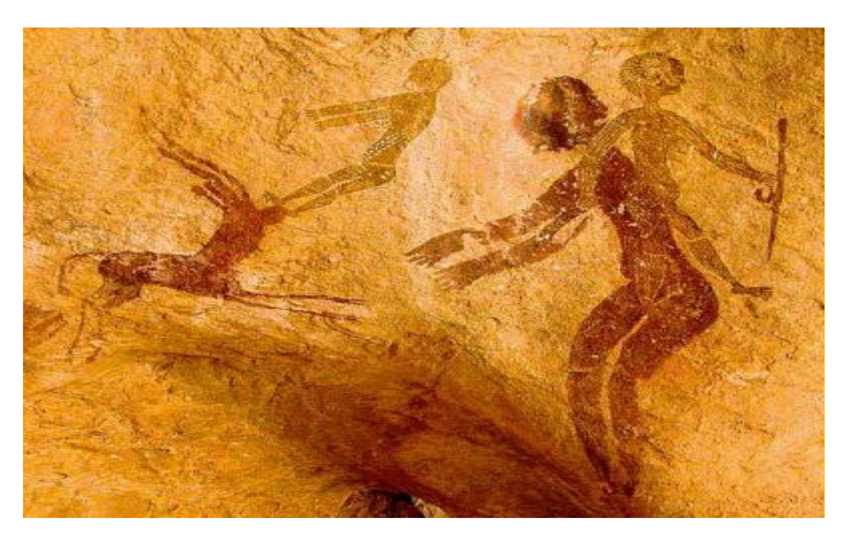
المصدر : h lhote(1958)op.cit. p56,fig15.



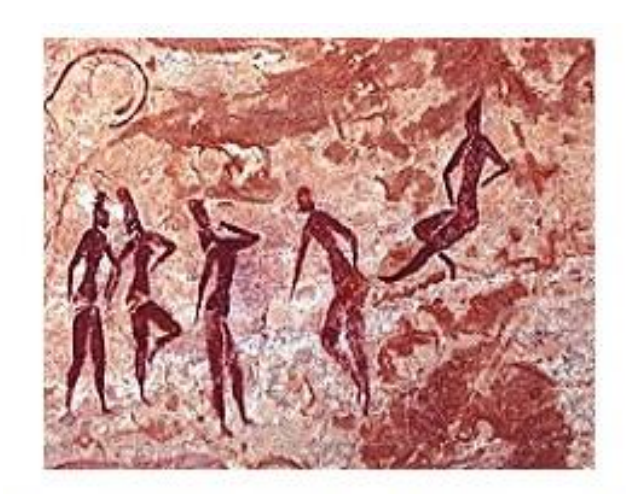


-25 ، Fronsac**24-23** ، Fronsac22-10 ،. Saint-Cirq**9** ، Comarque **8-6** . Villars**5-4** ، Cussac **3-1**
La Font-Bargeix. **38** ،. Paulin-Cournazac **37**، Vielmouly II**36-35**، Combarelle**34**

لوحة رقم 10: صور أنثوية في مواقع الفن الاوربي



لوحة رقم 11: مشهد في منطقة تامريت بالطاسيلي



لوحة رقم 13 : النساء في موقع جبارين بالطاسيلي في حوالي 5000 ق.م



لوحة رقم 12: سيدة واندورف Willendorf النمسا 24الف - 22 الف ق.م



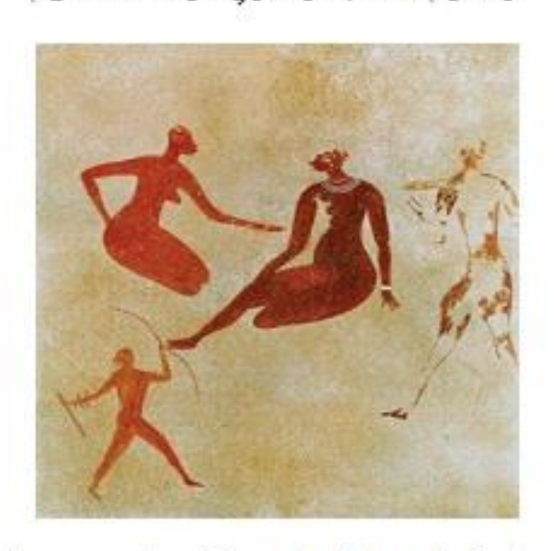
لوحة رقم 15: مشهد في جبارين الطاسيلي



لوحة رقم 14 : سيدة براسمبوي فرنسا 36 ألف ق.م



لوحة رقم 17 : السيدة البيضاء في أواترا حات



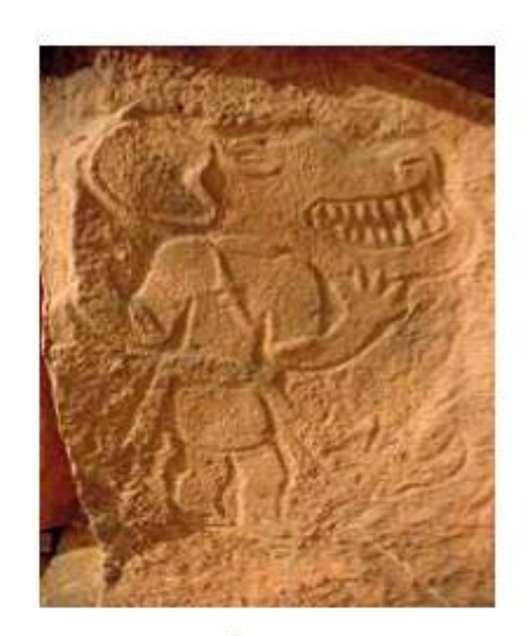
لوحة رقم 16: النساء في موقع جبارين



الشكل رقم 52: الانسان– الاسد في موقع هوهلستاين Hohlenstein ألمانيا بين 28ألف و 30ألف ق.م



لوحة رقم 18: الرجل الساحر في أوترلحات الطاسيلي



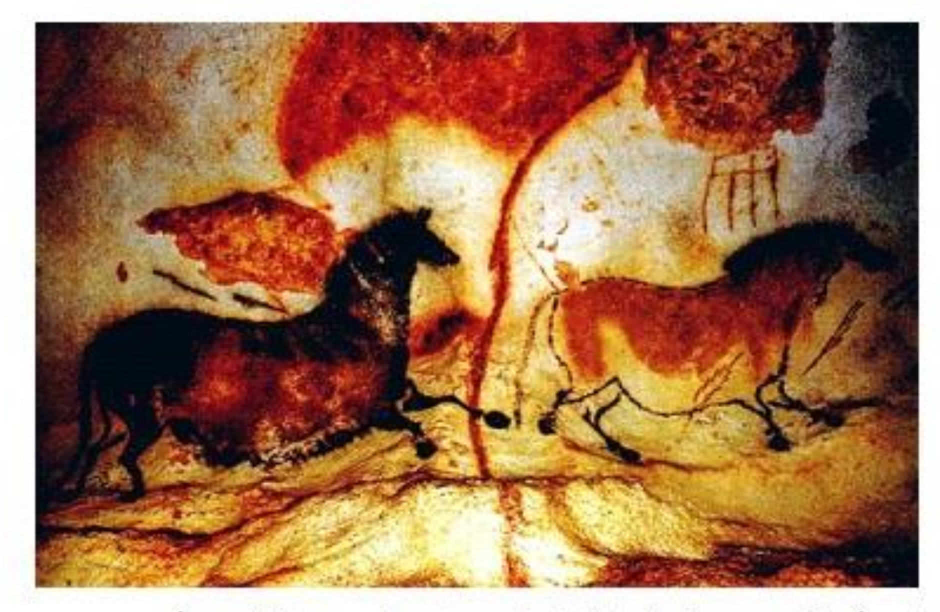
اللوحة رقم19 : شخصية أسطورية براس حيوان من فصيلة الكلبيات

منطقة مساك ميلي Messak Mellet بليبيا





لوحة رقم 20 : كهف التميرا بإسبانيا لوحة رقم 21: وادي جرات الطاسيلي



لوحة رقم 22 : كهف لاسكو فرنسا حوالي 10آلاف سنة



لوحة رقم 23: مشهد للابقار في صفار الطاسيلي

ثانيا: تأثيرات الرؤوس المستديرة في المناطق المجاورة.

لم تكن شعوب ما قبل التاريخ معزولة عن بعضها، بل كانت هناك اتصالات بين مختلف المناطق[285]، وبالنسبة لشعوب الصحراء فإن الظروف الطبيعية كانت مساعدة جدا على التبادل الحضاري، فالأنهار كانت تخترق الصحراء الكبرى رابطة بين مناطق الصحراء الشمالية و الجنوبية والوسطى ،وتقول في هذا الإطار الباحثة ماريان كورنوفا m cornovin: «أن الشروط كانت مناسبة لحياة مزدهرة في الصحراء الرطبة ،وفي المقابل فإن طرق الاتصال كانت موجودة فعلا فالمجاري المائية والبحيرات الكبيرة كانت تسهل ذلك،فقد كانت تلك الفترة أحسن فترات الاتصالات بين مختلف المناطق من وإلى الصحراء »،[286]ومن الممكن أن الاتصالات كانت تتم عن طريق الأنهار بالقوارب من الأطلس الصحراوي وحتى الهوقار ومن الساحل الليبي حتى فزان والتاسيلي والأكاكوس والتيبستي كما تدل على ذلك رسوم القوارب في تين تزاريفت [287].

وقد كانت الاتصالات بين الشعوب سهلة بسبب التجاور، وعدم وجود العوائق المتمثلة في الكثبان الرملية التي تشكل اليوم العروق ، والأراضي القاسية مثل الحمادة ،وقد أكد علماء الجيولوجيا وجود مجاري مائية هامة في منطقة الصحراء الكبرى[288] والتي كانت تنبع من سلسلة جبال الأطلسي ومن الهوڤار،ولازالت الأودية الجافة في المنطقة تشهد عليها رغم ما أصابها من ردم [289]،ومنها وادي جرات الذي اعتبره جيرارد جاك بمثابة وادي النيل لكنه صغير.[290]

فالصحراء كانت مركزا حضاريا كبيرا وبفضل موقعها الجيد كانت تربط بين مختلف أجزاء إفريقيا ، وعلينا تصور المناخ و التضاريس مختلفين على اليوم ، فالعروق الكبيرة (العرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير) التي تمثل اليوم حاجزا رمليا يصعب الاتصالات الحضارية ،لا وجود لهما في مرحلة ما قبل التاريخ بل على العكس كانت مليئة بالمروج الخضراء والبحيرات، أما الحمادة الحمراء وحمادة تانزروفت فقد كانت سهول خضراء تجوبها قطعان الأبقار، و منطقة الساحل الإفريقي التي يصيبها الجفاف اليوم كانت تعج بالحياة في ذلك الوقت .

---

(285) يعد توسع الحضارة العاترية في الصحراء وكذلك امتداد القفصية الى شمال الصحراء دليلا على تلك الاتصالات الباكرة بين شعوب ماقبل التاريخ ،ينظر:محمد الصغير غانم (2003)المرجع السابق ، ص ص 42-45. g camps(1974)op.cit.pp219.

(286) Marianne Cornovin(1982) la néolithique du sahara central ,paris : edition SPF, p442

(287) Gerard jacquet(1999), op.cit.p18.

(288) دونيس بولم (1980) الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين،بيروت : دار الحياة ، ص.174.

(289) J dubief, op.cit.p575

(290) Gerard jecquet , op.cit.p 19.

وفي ظل ذلك الجو المناسب للحياة الكثيفة وفي ظل الأمان والسلام بين مختلف المجموعات السكانية [291]، أصبحت المنطقة جاذبة للسكان القادمين من الجنوب بفعل امتداد الغابات الاستوائية أو القادمين من الشمال ، وهذا ما يفسره التنوع البشري الذي نجده في الرسوم الصخرية، فقد كان الاستقرار البشري في الصحراء الوسطى كثيفا مشابها للشرق الأدنى وقد قيل إن إفريقيا الشمالية كانت أكثر جهات العالم وقتئذ ازدحاما بالحياة وآهلة بالسكان [292]، حيث قامت حضارة مزدهرة لا تختلف عن الحضارات الكبرى في العصور القديمة ،من أبرز معالمها الفخار واستئناس الأبقار والزراعة ،إضافة إلى تراث فني هو الأغنى في العالم ، فالتحول إلى الاقتصاد الإنتاجي كان قديما جدا، ويمكن أن يكون نوع من الزراعة قد ظهرت لكن الشيء الأكيد هو استئناس مبكر للأبقار يعد أقدم من منطقة الشرق الأدنى[293].

ومنطقة الصحراء الوسطى تشكل وحدة ثقافية وحضارية فريدة من نوعها ، وهي تتكون من مراكز ثقافية رئيسية هي: التاسيلي ووادي جرات ،منطقة الأكاكوس ،منطقة الهوقار ،هضبة المساك ،والآيرAIR ، فتلك المناطق قد أعطت تواريخ قديمة جدا للإقامة الإنسانية تعود إلى 10آلاف سنة وحتى 11ألف سنة في منطقة الأير ،وفي هذه المواقع نفسها فإن الفن الصخري أعطى تواريخ تعود إلى 10آلاف سنة و9آلاف سنة و8آلاف سنة أي مع بدايات الهلوسان[294]، ومنطقة التاسيلي تتميز عن كل تلك المناطق بغناها بالملاجئ الصخرية التي تستضيف تلك الأعمال الفنية بحيث جعلت من المنطقة متحف في الهواء الطلق وساعد الجفاف في حفظ الاعمال الفنية .

أ-الروابط الحضارية بين الطاسيلي و الأطلس الصحراوي :

بالنظر إلى المرحلة الرطبة التي كانت سائدة خلال عصر الرؤوس المستديرة والتي تعني عدم وجود عوائق طبيعية بين منطقة التاسيلي ومنطقة الأطلس الصحراوي ، وقد ساهموجود الأنهار في تسهيل الاتصالات والتأثيرات الحضارية بين المنطقتين ، والتى لا تزال آثارها موجودة إلى اليوم من خلال الأودية الكبيرة ،ومن أهم تلك الأودية وادي تفاساست ووادي إغراغاران وأودية أخرى مثل وادي جدي ووادي الساورة في الشمال.

---

[291]تشهد الرسوم الصخرية على تواجد سلمي للمجموعات البشرية بحيث تكاد تنعدم مشاهد القتال ، إلا في المراحل الأخيرة حيث بدأت تمتد الصحراء ، فقلت الموارد وبدأ الصراع من أجل البقاء.

[292]يسري الجوهري و محمد السيد غلاب (1968)الجغرافيا التاريخية ،عصور ما قبل التاريخ وفجره،مصر:المكتبة الانجلومصرية ص121.

[293]Andréa dué (1994) le sahara vert et l’egypte prédynastique la révolution du néolithique. premiers vilages premiers cultures edition hatier, paris: p34.

[294]M hachid(1998) op.cit.p218.

وقد سمحت الظروف الطبيعية كما ذكرنا في تسهيل الاتصالات بين المنطقتين والانتقال السكاني والحضاري ،فقد امتد تأثير الحضارة العاترية والحضارة القفصية إلى الصحراء[295] ، والأدلة تأتينا هذه المرة من بقايا الهياكل العظمية المكتشفة في الصحراء فمن الجانب الأنتروبولوجي الملامح البشرية لهذه الهياكل مشابهة لإنسان المشتى Mechtoide المكتشف في منطقة مشتي العربي بقسنطينة ومنطقة افالو بورمال ببجاية [296].

أما بالنسبة للفن الصخري نلاحظ انتشار أسلوب تازينة[297]Tazina في النقوش الصخرية لوادي جرات،والذي يدل على التأثير الفني لمنطقة الأطلس الصحراوي ،حيث قال بول هاورد :P. huard« إن هذا الفن متواجد في كامل أنحاء الصحراء سواء في شكل نقوش أو رسوم »[298] ومن جهة ثانية هناك تأثيرات حضارية قادمة من الصحراء يمكن ملاحظتها في منطقة تيارت[299].

ويعد التشابه الكبير بين نقوش وادي جرات ونقوش الأطلس الصحراوي في الأسلوب الفني والمواضيع التي تعالجها المشاهد الصخرية في كلا المنطقتين دليلا على الروابط الحضارية بينها.

ب-الروابط الثقافية بين التاسيلي ومناطق الصحراء الوسطى والجنوبية :

تتواجد في منطقة الأكاكوس[300] رسوما تنتمي ثقافيا إلى نفس مجموعة رسوم التاسيلي خاصة مشاهد الشخصيات نصف إنسانية [301] ، فهذه المنطقة تمثل نسبة عالية من التقارب مع التاسيلي حيث أن أسلوب اهيرن- تاهيلاهي في التاسيلي يشبه أسلوب وان اميلuan amil في الأكاكوس [302]، ومشاهد صفار التي تمثل أشخاص ذوي حلاقة في شكل

---

[295]الحضارة العاترية من مواقعها في الصحراء وادي الساورة، تديكلت ،الهوقار ،عرق آدمير، تيهوداين tihoudaine أدرار بوس adrar bos ينظر:ه ج هوجو، المرجع السابق ،ص 603.

[296] لم يتمكن الباحثون من تحديد لم يتمكن من تحديد معلومات دقيقة عن إنسان "المشتى" وفيما إذا كان أبيض اللون أو أسود اللون ،غير أن مليكة حشيد و عبد العزيز فرح يجعلانه الجد المباشر لأوائل البربر، ينظر :
Abdelaziz ferrah, op.cit. p 84, M hachid (2000) op.cit. p 12.

[297]أسلوب تازينةstyle de tazina.أسلوب فني خاص بالنقوش يظهر في عدة اماكن من الأطلس الصحراوي حيث تكون قوائم الحيوان رقيقة وبشكل جميل،وأحجام الحيوانات متوسطة ينظر :
M hachid (1983) op.cit.T1, pp65-66.

[298]J l le Quellec (1998)op.cit. p102.

[299]mayle des hernens, m .et. rd (1963) «influence saharienne dans le néolithique de la région de tiart » B. S .P .F, 1963, vol 60 ,pp79-91.

[300]تادرارت اكاكوس :هي منطقة محاذية للطاسيلي تنتمي جغرافيا وثقافيا وإثنيا إلي منطقة الطاسيلي وهي متداخلة معها فمعظم أودية المنطقة ممتدة في العمق الطاسيلي ، اكبر مدينة فيها هي مدينة غات التي يحتضنها جبل اكاكوس.

[301]J-L Le Quellec, (2007) op.cit. « ni hommes…». p66.

[302] Ibid. p67.

قبعة ،نجد أمثلة عنها في وادي أفارWadi afarالمجاورللطاسيلي (303)، أما منطقة عويس فتظم نقوش متماثلة مع نقوش وادي جرات (304) ،وكذلك الأمر بالنسبةلمشاهد الرؤوس المستديرة في أراماتarametفي الاكاكوس التي اكتشفت من طرففرانسوا سولاهافوب f soleilhavaup بين 1998و2000(305)ونلاحظ هنا أن مشاهد المريخيين غائبة كليا في الاكاكوس،كما أن الطبقة النهائية في الطاسيلي تعد هي الطبقة الأقدم في الاكاكوس(306).

بالنسبةلمنطقة جادو في النيجر القريبة جدا من الطاسيلي يعتقد الباحث الألماني إلريش هالي Ulrich hallier أن رسومها الصخرية تنتمي إلى الرؤوس المستديرة ،وهي متزامنة تقريبا مع مشاهد الطاسيلي فهما يرجعان إلى نفس المجموعة البشرية(307).

أما منطقة الإينيدي فهي غنية بالفن الصخري كما أن بعض رسومها مماثلة للطاسيلي(308) خاصة في إقليم بوركوBorkouحيث تمثل بعض المشاهد جانبا أسطوريا دينيا مثل مشهد إنسان ڤونوا Homme gonoaالذي يماثل الإله الكبير في صفار ، كما توجد أعمال فنية أخرى في مناطق صعبة المسالك في سهل أوريOuri تذكرنا بتضاريس صفار وجبارين،وهناك مشهد الفتاة الشابة في منطقة ڤورشي نيولا د واGuirchi niola doa التي تشبه مشهد "الفتيات الشابات من الفولاني" التي اكتشفها هنري لوت في جبارين(309).

وبالنسبةلمنطقة التيبستي فنلاحظ فيها عدد من الرسوم المنتمية لأسلوب الرؤوس المستديرة خاصة رسوم الأقنعة والشخصيات النصف إنسانية (310).

أما منطقة المساك فلها تشابه ثقافي مع منطقة تادرارت الجنوبية ، جعلت الباحث جون لوكلاك يقول بأنه إذا كانت منطقة تادرارت أكاكوس هي امتداد ثقافي لمنطقة الطاسيلي،فإن منطقة تادرارت الجزائرية هي امتداد لمنطقة المساك(311).

---

(303)f Soleilhavaup (2007) « investigation rupestre au fazzan,libye du sud ouest»INORA, n°49 2007.France: imprimerie nuance. pp2-3, copie électronique .
(304)J-L Le Quellec, (2007) « ni hommes…»op.cit.. p6.
(305)f Soleilhavaup (2007)op.cit.p3.
(306) Yves Gauthier(2007) "sous zone4" libye-egypt-nord du sudan.ICOMOS,UNISCO.p 10
(307)Ulrich hallier .w . brigtte . c hallier (2005) op.cit. p2.
(308)ICOMOS, p71.Reberta simonis et al.(2007),« sous zone3.tchad»
(309)Ibid.p72.
(310)A muzzolini (1991) op.cit.p30.
(311)J-L Le Quellec, (2007) « ni hommes…»op.cit. p67.

ج-العلاقات الحضارية مع مصر:

لقد درج كثير من الباحثين على إرجاع أي إبداع حضاري لبلاد المغرب إلى تأثيرات خارجية، إذ لم تكن من أوربا فمن مصر ،وراح الكثير منهم يبحث عن أصول لكل ثقافات المنطقة ، فعلى سبيل المثال سميت ثقافة كبيرة في ما قبل التاريخ باسم الثقافة الايبيرومغربية[312] لتأكيد التأثيرات الايبيرية[313]مع أن بعض الباحثين أرادوا تسميتها باسم الوهرانية أو المويلحية[314] نسبة لموقعها النموذجي[315] والحضارة العاترية نسب بعضهم نشأتها إلى فلسطين[316] ،و بالنسبة للفن الصخري فقد أعتبر هنرى لوت بعض المشاهد ذات تأثيرات مصرية مثل مشاهد القضاة والمقنعين برؤوس طيور[317].

فمن الواجب أولا الحديث عن أوجه التشابه بين حضارة مصر ما قبل التاريخ وحضارة الطاسيلي ، خلال عصور ما قبل التاريخ للوصول الى معرفة العلاقات بينهما .

إن وجود فخار مكتشف في مرمدة بن سلامة تؤكد العلاقات الباكرة بن المنطقتين خاصة من حيث التشابه في الزخرفة ،وقد قامت هذه الحضارة بين 5000- 4500ق م وهي تعد أقدم حضارات وادي النيل ،وهذا الإطار الزمني يماثل تقريبا المرحلة الأخيرة من الرؤوس المستديرة والمرحلة الأولى من البقريات بالنسبة للفن الصخري ،انتشرتالزخرفة بالخط المتموج[318] في مصر أيضا،علما بأن الفخار في التاسيلي أقدم بكثير من مصر بل هو من بين الأقدم في العالم على حد تعبير مليكة حشيد[319]وقد عرفت حضارة البدارى[320]وجود فخار مصقول بخط متموج مشابه لمنطقة التاسيلي ،فمنذ 6000 سنة حصل تدفق كبير لفخار صحراوي مزين بإتقان إلى جنوب وادي النيل، وقد أكد رودولف كوبر أن أفق الفخار في الصحراء أقدم منه في مصر[321] ،ويقول يان ترستو Yan

---

[312]الايبيرومغربية هي احدي حضارات العصر الحجري القديم النهائيepipaléolithique تؤرخ باكثر من 22 الف سنة، وهي ثقافة ذات امتداد ساحلي الا ان تأثيراتها تمتد حتى الصحراء الشمالية،ينظر:

op.cit.pp15-24.slimene hachi,les cultures…

[313] لم تظهر الملاحة في البحر المتوسط الا بعد بعدة ألاف من السنين ، ينظر:

جيهان ديزانج (1985) « البربرالاصليون» تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، باريس: جون افريك واليونسكو ص431.

[314] موقع المويلح بالغرب الجزائرى الذي اكتشفه بول بلاري p.pallary سنة1899 ، وّشرع في التنقيب فيه سنة 1909،ينظر : محمد الصغير غانم (2003)المرجع السابق،ص82.

[315]Slimen hachi,les cultures… op.cit.p11.

[316]محمد الصغير غانم(2003)المرجع السابق ،ص68.

[317]H lhote(1973)op.cit.p76,fig23.

[318]عرفت منطقة الصحراء الوسطي زخرفة للفخار تعرف بالخط المتموج وهذه الزخرفة نجدها أيضا في وادي النيل ولكن بشكل متأخر عن الصحراء ينظر:

Michel lihoreau (1993) poteries préhistoriques du sahara, paris:Edition karthala, pp23,44.

[319]M hachid (1998) op.cit.p20.

[320]حضارة البدارى بين 5000- 3500 ق.م ينظر42-:hg hugot , op.cit, pp41

[321]Rudolph kuper(1978) op.cit. p117.

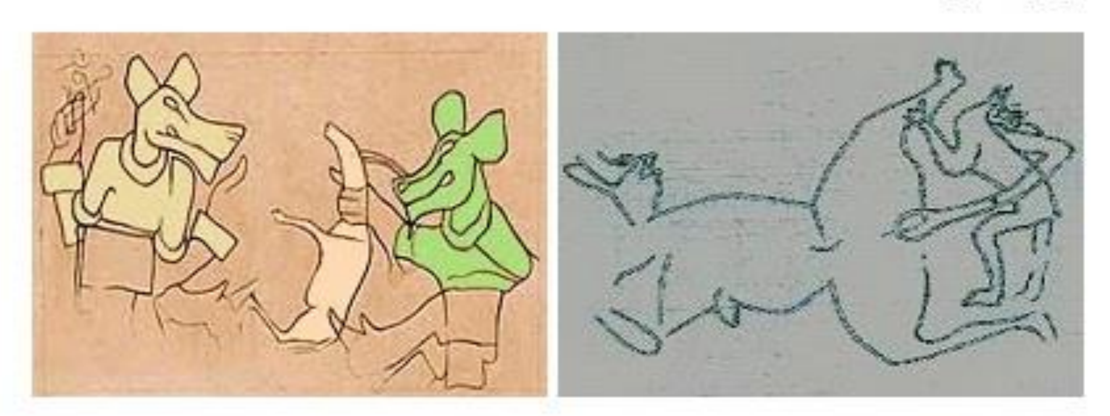
tristantعن حضارة الفيوم[322]:«أن رؤوس السهام والأدوات الصغيرة المنجزة من قشرة بيض النعام تذكرنا بالصحراء الوسطى»[323].

[322]حضارة الفيوم من الواحات المصرية تتميز حضارتها بالصناعة الحجرية القزمية، يعتقد بان أصحاب هذه الحضارة قد أتوا من جنوب الصحراء الليبية إلى واحة الخارجة ومنها إلى الفيوم ينظر :
مصطفى كمال عبد العليم (1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي: ص8.

[323]Yan tristant(2005): le delta du nil avant les pharaons enter originalités locales et influence Etrengeres , archio-nil n°15, décembre2005.p87.



لوحة رقم 24 :الاله أنوبيس إله الموتى المصري يمثل بإنسان برأس إبن آوى والاله حورس برأس صقر



لوحة رقم 25 : على اليمين مشهد جنسي لشخصيةأسطورية من الطاسيلي(وادي جرات) قد تمثل إله الخصب ، الملاحظ هنا هو أن هذه الشخصية هي براس إبن آوى ،لوحة رقم 26: على اليسار شخصيات اسطورية براس حيوانات من هضبة المساك في ليبيا



لوحة رقم 27 : رجل بقناع رأس حيوان في الطاسيلي

بينما يقول موزيلني: «أن حضارة الواحات المصرية ذات ملامح صحراوية حيث نجد فن غنيا قريبا من أسلوب الصحراء الوسطى»[324] ،وبشكل عام هناك تأثيرات ثقافية متصاعدة من الصحراء باتجاه وادي النيل، فالوصول المبكر للفخار الصحراوي المزخرف بالخطوط المتموجة يشير إلى صلات صحراوية كبيرة خلال العصر الحجري الحديث، أما بالنسبة للفن الصخري فإن أي علاقات محتملة يمكن أن نجد آثارها في هضبة المساك أولا، ثم في جبال الأكاكوس والطاسيلي ، والتي تتمثل في مشاهد لشخصيات إنسانية برؤوس حيوانات ، وهذه المشاهد نفسها نجدها في المعابد المصرية فمعظم الآلهة المصرية هي برؤوس حيوانات، كما تتشابه طقوس الدفن[325] بما في ذلك من أثاث مدفني وكذلك الدفن في سلال فقد وجدت جثث لأطفال وجدت مدفونة في سلال في كهف تين هناكتن [326].

كما أن تماثيل وصور" أنوبيس" التي تمثل إله الموت و التحنيط في مصر الفرعونيةالذي يتشبه به المصريون في طقوس التحنيطحيث يرتدي الكاهن قناع يمثل رأس ابن آوى في الطقوس[327]،هذه الصورتشبه مشاهد وادي جرات، فهذا الإله المصري قد يكون نسخة عن إله صحراوي في ما قبل التاريخ انتقل إلى مصر مثلما انتقل الفخار والأساليب الفنية الأخرى عن طريق الاتصال الحضاري الذي كانت تمثله شبكة الأنهار والبحيرات الصحراوية ، ويحتمل أيضا عن طريق هجرة كبيرة لأقوام صحراوية إلى وادي النيل بسبب الجفاف.

والرسوم الصخرية في منطقة الجلف الكبير والعوينات[328] وخاصة مشاهد وادي سورا التي تقع في الصحراء الغربية المصرية على بعد بضع كلمترات من الحدود الليبيةوتبعد عن واحة الداخلة[329]التي تعد أقرب واحة مصرية إليها بمسافة تزيد عن 600 كلم فتلك الرسوم الصخرية مشابهة لمشاهد الطاسيلي وهضبة المساك[330]، ومن أبرز الكهوف في المنطقة كهف الوحش وكهف السباحين ،حيث توجد فيها مشاهد غريبة تمثل كائنا أسطوريا نصفه إنسان ونصفه حيوان سمي باسم الوحش[331]،"يظهر المشهد وحشا كبيرا يلتهم إنسانا ويوجد في المشهد عدد كبير من الشخصيات تنظر إلى الوحش ومجموعة من السباحين قد

---

(324)A Muzzolini, (1961) op.cit.pp33-34.

(325) عن الطقوس المد فنية في مصر ينظر:

René lachaud(1995) magie et initiation en égypt pharaonique édition dangles:France, pp160-165.

(326) سميرة عمراني ، المرجع السابق ،ص65.

(327)François xavier héry, thierry enal (1993) animaux de nil-animaux de dieu ,Edition Edisud:paris,p25fig23.

(328)تقع هذه المواقع في الصحراء الغربية المصرية قرب الحدود الليبية، أنظر:الشكل رقم51.

(329)الواحات الداخلة احدي مجموعة الواحات الجنوبية بالصحراء المصرية الليبية تبعد مسيرة أربعة أيام إلي الشمال من واحة الفرافرة ينظر : إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص122.

(330)J-L le quellec (2005) «:une nouvelle approche des rapports nil-sahara d'après l'art rupestre» archeo-nil, n°15,décembre 2005,p49.

(331)J-L le quellec(2007) « la bête aux source de la religion pharaonique » archeologia sa ,n°441, février2007,p55..

تمثل الموتى، وقد قام الباحث جون لوكلاك بتحليل هذه المشاهد وربطها بنصوص كتاب " الموتى الفرعوني" التي تقول :« إن أرواح الموتى يبتلعها الوحش » [332] فهذا المشهديعبر عن أسطورة مصدرها هذه المنطقة التي هي اقرب ما تكون إلي ليبيا ومثل هذه المشاهد تكثر في التاسيلي في نقوش وادي جرات وكذلك في الرسوم الصخرية في التاسيلي والأكاكوس حيث أن العديد من الرسوم هي في الواقع انعكاس للأساطير الموجودة في تلك الفترة .

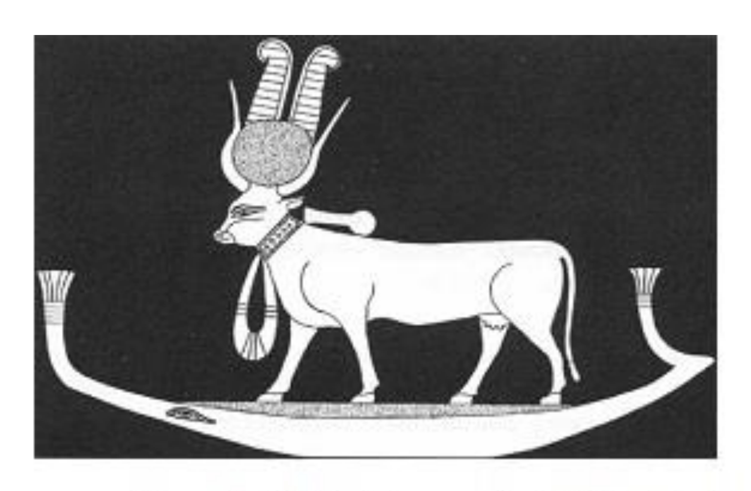
ومن خلال ما سبق نستنتج أن مصر تدين بالكثير إلى ثقافة العصر الحجري الحديث الصحراوية التي سبقتها[333] حيث تربط بين المنطقتين ثقافة مشتركة [334] ، والجدير بالذكر أن مرحلة الجاموس لا نجد لها تمثيلا في مصر، وبما أن النقوش تعرف على أنها أقدم من الرسوم وهوما يدل على أقدميه الفن في الطاسيلي عنه في مصر، وبذلك فإن التأثيرات المصرية التي اعتقد هنري لوت أنها موجودة في بعض المشاهد إنما كانت في اتجاه معاكس من التاسيلي باتجاه مصر.

---

(332) J-L le quellec(2007) « la bête aux source… op.cit.p57.

(333)g camps (1974)op.cit. pp223-224.

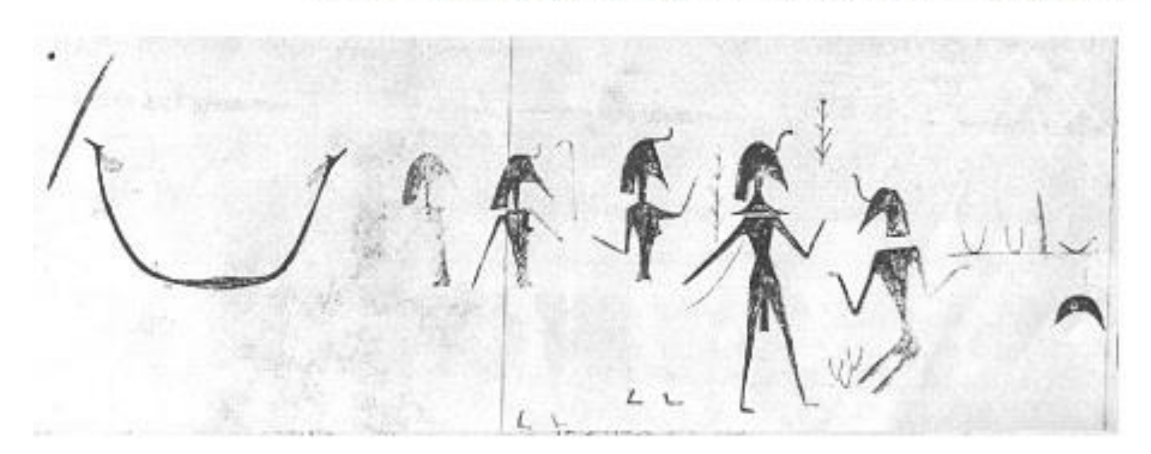
(334)J leclant. P ,huard . L Allard (1980) la culture des chasseur du nil et du sahara , mémoire de C.R.A.P.E, n°.29, 2 vol.



لوحة رقم28 : حتحور hathor الالهة المصرية

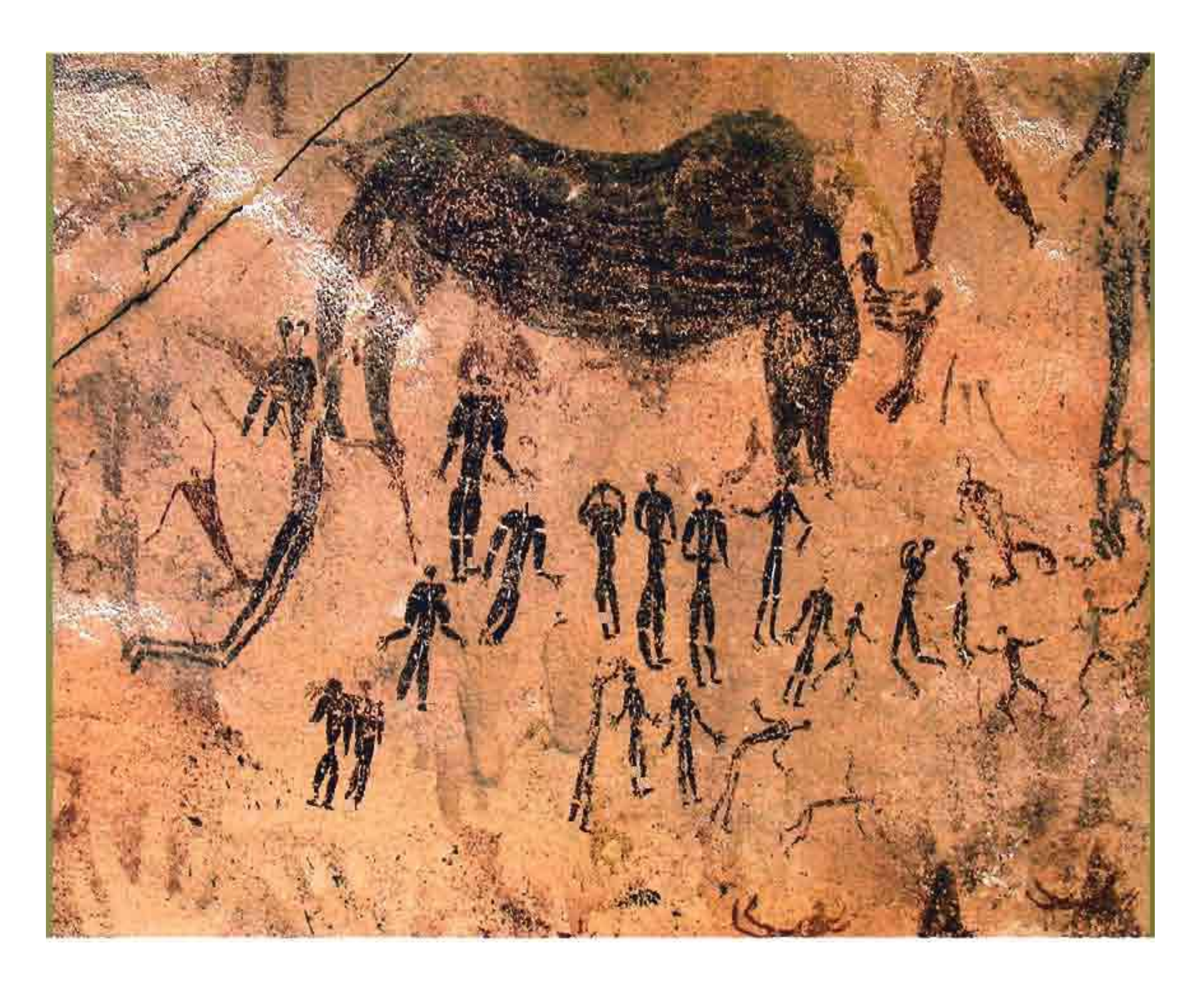


لوحة رقم 29: آلهة ذات رؤوس الطيور في الطاسيلي شبيهة بالالهة المصرية



الشكل رقم30 : مشهد في منطقة جبارين يكاد يكون مطابقا لمشاهد منحوتة على معابد مصرية

Lhote H (1958), *A La Découverte Des Fresques De Tassili.*, Paris:Arthaud,p80



لوحة رقم 31 :مشهد في كهف السباحين في وادي سورا قرب العوينات على الحدود المصرية الليبية في أقصى الجنوب ، يبرز فيه الشبه الكبير مع الرسوم في الطاسيلي .

يمثل أسطورة الموتى الذين يلتهم الوحش عديم الرأس.

د - البعد الإفريقي لفن ذوي الرؤوس المستديرة :

إن وجود الطابع الزنجي في الرؤوس المستديرة والذي هو محل إجماع للباحثين في الفن الصخري يجعلنا نطرح التساؤل التالي : هل الفن الإفريقي اليوم هو سليل فن الرؤوس المستديرة في الطاسيلي ؟

للإجابة على هذا التساؤل ينبغي أولا معرفة مصير الرؤوس المستديرة ، فلا شك أن الجفاف الأول الذي حل بالمنطقة في وسط الهلوسان (الشكل رقم 51) قد جعل الشعوب تنزح من المنطقة باتجاه مناطق أخرى في الشمال والجنوب ، ولكن مع بقاء مجموعات أخرى لكون المرحلة الجافة لم تدم طويلا و لوجود مناطق رطبة في التاسيلي، من الممكن أنها كانت تمثل ملجأ للجماعات السكانية ،فلا بد أن الإنسان قد تكيف مع الظروف مثلما يحدث الآن.

ظهرت هجرات جديدة بعد عودة الأمطار معظمها لشعوب زنجية مما ساهم ازدهار الحضارة التي هي موضوع دراستنا ثم توالت الهجرات بعد ذلك لشعوب زنجية وأخري من الجنس الأبيض ضمن مرحلة البقريات التي أصبحت متزامنة مع الرؤوس المستديرة إلا أن الجفاف ضرب مرة أخرى وبقوة واستمرار فكان عامل حاسما في زوال حضارة الرؤوس المستديرة ،فقد أصبحت المنطقة منطقة طرد للسكان وفق مصطلح الجغرافيين،علمابأن آثار الجفاف يمكن ملاحظتها من خلال صور هجرة القبائل بقطعانهاوكذلك صور صراع المجموعات الباقية حول مصادر المياه والكلأ(اللوحة رقم 81) .

وشكل قدوم أقوام ليبية - بربرية من الشمال نقطة النهاية بالنسبة للمجموعات الزنجية من بقايا شعوب الرؤوس المستديرة والبقريات ، فقد كانت هذه الشعوب ذات بأس فقد حارب جزء من هذه الشعوب مصر الفرعونية وشكلوا خطرا كبيرا عليها ،[335]وكانوا يقودون العربات ذات الأربعة أحصنة التي من الممكن أن تكون من اختراعهم، ثم ما لبث هؤلاء أن شكلوا أرستقراطية عسكرية وسيطروا على المجموعات السوداء [336]، وبذلك استعبدت بقايا مجموعات الرؤوس المستديرة وشعوب مرحلة البقريات، انتهت بذلك حضارة الزنوج في الطاسيلي تماما مثلما انتهت مدنيات في البحر المتوسط بفعل شعوبالبحر[337] ، لكن هؤلاء المنتصرين ما لبثوا أن تأثروا بهذهالمجموعات السوداء المقهورة

---

[335] صاحب الصراع بين الليبيون والمصريين كل مراحل التاريخ المصري القديم منذ فترة ما قبل السلالات ينظر : عبد اللطيف محمود البرغوثي(1971) التاريخ الليبي القديم،دار صادر، بيروت ،ص ص52-74.

[336] ذكر هيرودوت أن الجرامنت يطاردون التروجلوديث troglodytes وهم سكان الكهوف (قد يكونوا من الزنوج) بواسطة عربات تجرها أربعة أحصنة ينظر:Hérodote,IV,183

[337] هي شعوب متعددة الأعراق يمكن أن تكون الدفعة الأولى منها قد انطلقت من شمال البحر الأسود ، هدمت في طريقها عدة حضارات، وقد ظهر قسم منها في سواحل بلاد المغرب ومصر حيث تحالفوا مع الليبيون، وقد خاض المصريون معارك حاسمة ضدهم في سنوات :1227ق. م، و1194ق. م و1191 ق. م، ينظر: مصطفى كمال عبد العليم ،المرجع السابق ،ص ص24-28.

وتركوا بدورهم منجزات فنية على الصخور ضمن ما عرف بمرحلة العربة والحصان.

من خلال ما سبق نستنتج أن عاملين ساهما في زوال حضارة الرؤوس المستديرة العامل الأول هو الجفاف المتزايد ،والعامل الثاني هو قدوم أقوام ليبية بربرية [338]، والنسبة الأكبر من شعوب الرؤوس المستديرة فقد هاجرت من المنطقة ، على مرحلتين :

المرحلة الأولى في الجفاف الذي حدث في أواسط الهلوسان aride - mi holocène لكن سرعان ما عاد الازدهار إلى المنطقة ، وأصبح الفن أكثر تطورا وإشراقا بظهور الأساليب المتطورة مثل مشاهد السيدة البيضاء، ومشهد أنتينيا وقضاة السلام، والهجرة الثانية تمت تدريجيا تبعا لاشتداد الجفاف الذي بدا تقريبا في 2500 ق م وينظر اليوم الفولاني والتوبو[339] على أنهم من نتائج هذه الهجرة [340].

هاجرت تلك الأقوام ونقلت معها فنها وحضاراتها ومعتقداتها إلى الشرق نحو مصر حيث توجد دلائل تأثيرات صحراوية فيها مثلما سبق لنا الإشارة إليه، وإلى جنوب وادي النيل حيث من الممكن ان ثقافة كرمة التي ازدهرت بين 2000ق م و1500ق م قد شهدت تأثيرات صحراوية خاصة في مجال تقديس الأبقار[341]، ونحو بلاد المغرب في الشمال[342].

أما التأثير الأكبر فقد كان باتجاه الجنوب نحو الصحراء الجنوبية ووسط وغرب إفريقيا حيث تنتشر اليوم بين الشعوب الإفريقية طقوس وعبادة روحانية وأساطير قريبة الشبيه بما وجد لدى الرؤوس المستديرة منها :

- تقديس الأجداد بحيث يقوم الناس بإقامة مراسيم طقوسية لأجدادهم الميتين حديثا تهدف تلك الطقوس إلى الاتصال بهم ، وتتضمن المراسيم رقصا منتظما ، يرتدي الراقصون في هذه المراسيم أقنعة تمثل أرواح الاجداد [343]، وهذه الطقوس موجودة لدى الكثير من الشعوب الإفريقية وخاصة لدى الدوغونdogon[344] ،وهي مجسدة في مشاهدالطاسيلي لدى

---

[338]مشاهد المعارك في مرحلة البقريات النهائية ومرحلة العربة والحصان تدل على الصراعات بين مختلف الأقوام خاصة بين الغزاة البيض من الشمال والفلاحين أو الرعاة الزنوج ،وقد استمر وجود الزنوج أيضا خلال عهد القرطاجيين و الرومان جنوب بلاد البربر ينظرgsellst(1920):HAAN, Paris:edition hachette, ,T1,p213

[339]التوبو هم سكان التبستي اشتق اسمهم من تي- بو ومعناها شعب الصخر لأنهم يسكنون هضبة التيبستي ينظر :يسري الجوهري (1973) الإنسان وسلالاته ،مصر:دار المعارف ،ص384،ويعتقد قزال أنهم التروجلوديت troglodytes الذين كان يطاردهم الجرامنت وفق كلام هيرودوت ينظر gsellst(1920):op.cit.p61

[340]H g hugot, op.cit.p144.

[341]chaix (2004) «Le boeuf africain à cornes déformées».*Anthropozoologica*, louis vol: 39 n°1,pp 335-342.

[342] أنظر العلاقة بين الطاسيلي والاطلس الصحراوي.

[343]Lucien levy –bruhl(2007)le surnaturel et la nature dans la montalité primitive,paris: edition Flammarion, ,p92.

[344] الدوغون يسكنون جنوب مالي في هضبة باندياقارا ،تبلغ مساحة هذه الارض 9000ميلا مربعا وهي ذات تضاريس صعبة:ينظر: j christophe « les dogon du mali, culte ses ancêtres» mai2000,les lettre de clio »

الرؤوس المستديرة [345] ، أما بالنسبة للدوغون فكل عائلة تمتلك تماثيل لأجدادها ويسمون قوة الأجداد باسم نيما Nyama و يقدمون لها القرابين [346] وتهدف تلك الطقوس إلى تحرير أرواح الموتى ،ومن بين الحيوانات المذكورة في أساطير الخلق لديهم حيوان ابن آوى، حيث أن الآلهة المسماة باسم العما amma خلقت الأرض و أنجبت أول مولود لها وهو ابن آوى [347].

وليس الدوغون وحدهم من نجد عندهم هذه الاحتفالات الطقوسية فلدى الندوب Ndopفي السنغال طقوس إحتفالية يقومون بها للأجداد أو لعلاج المرضى و طقوس أخرى لإعادة إدماج الأشخاص في مجموعاتهم عند بلوغهم سن الشباب وهي نوع من طقوس التلقين أو المسارة initiation[348]، وكذلك يوجد لديهم طقوس لاستحضار أرواح الأجداد[349].

هذه المعتقدات الروحانية لدى الدوغون Dogon والفولاني Peuls والندوب ndop مماثلة تقريبا لمشاهد الرؤوس المستديرة (اللوحة رقم 14-31) فالسحر والاعتقاد بوجود الأرواح في كل ما يحيط بالإنسان، ووجود الشامانات الذين يتصلون بالارواح هي من المعتقدات الاحيائية وهو ما وجد أمثلة عنه كل من فرانسوا سولا هافوب F.soleilhevoup, وجون كلوتJ.Clottes وجون لوكلاك j l le Quellecوألفرد موزيلني A.muzzoliniودافيد لويس ولیامز david lewis williams ، في الفن الصخري في مناطق مختلفة من العالم ومنها مرحلة الرؤوس المستديرة في الطاسيلي وفي فن جنوب إفريقيا أيضا [350].

من جهة ثانية المشاهد التي ّتظهر نساء ورجال بزينات جسدية كبيرة شبيهة بما يوجد لدى الفولاني في السنغال[351] حيث ينتشر لديهم الوشم، كما أن الأقنعة والطقوس التي نجدها في الطاسيلي شبيهة بطقوس افريقية يرتدى فيها الراقصون والراقصات أقنعة مماثلة لأقنعة الرؤوس المستديرة ،وهي تدل على توسع الزنوج باتجاه الشمال الإفريقي في فترة ما قبل التاريخ أكثر من أماكن تواجدهم اليوم [352].

.httm://www.clio.fr.

[345]J l le quellec (2006)«L'extension du chamanisme à l'art rupestre sud-africain.» *Afrique Histoire*, vol 6,n°2.p 47, copie electronique.

[346] memel foté harris (1962) « rapport sur la civilisation animiste» ,colloque sur les religions Abidjan 5-12 avril 1961,paris: édition présence africaine, pp34-36.

[347]memel fote harris , op.cit.pp34-36.

[348]أنظر طقوس المسارة في الفصل الثالث.

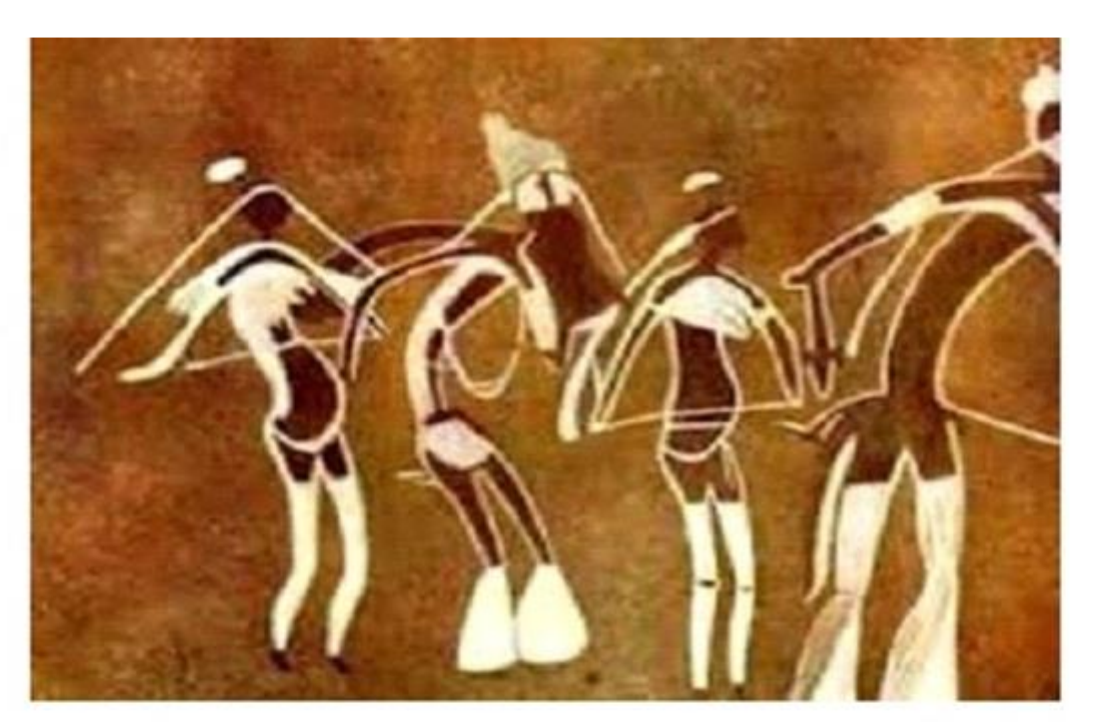
[349]J l le quellec (2006)«L'extension …» op.cit.p 47.

[350]A muzzolini (1991) op.cit. p18.

[351]الفولاني هم رعاة الأبقار في إفريقيا الغربية من السنغال حتى تشاد وشمال الكاميرون لهم بشرة نحاسية ،الرحل منهم يسمون البوروروbororo،والمستقرين يسمون ڤويداguidda ، وقد لاحظ الباحثين أن العديد من مشاهد ذوي الرؤوس المستديرة في الطاسيلي تشبه تقاليد وأساطير الفولاني، ينظر:h lhote(1976) vers d'autre…op.cit.pp144-145

[352]R lantier (1969) op.cit ,pp 398

كل تلك المعطيات تؤكد الطابع الزنجي لذوى الرؤوس المستديرة وامتداد هذا الفن اليوم في إفريقيا السوداء.



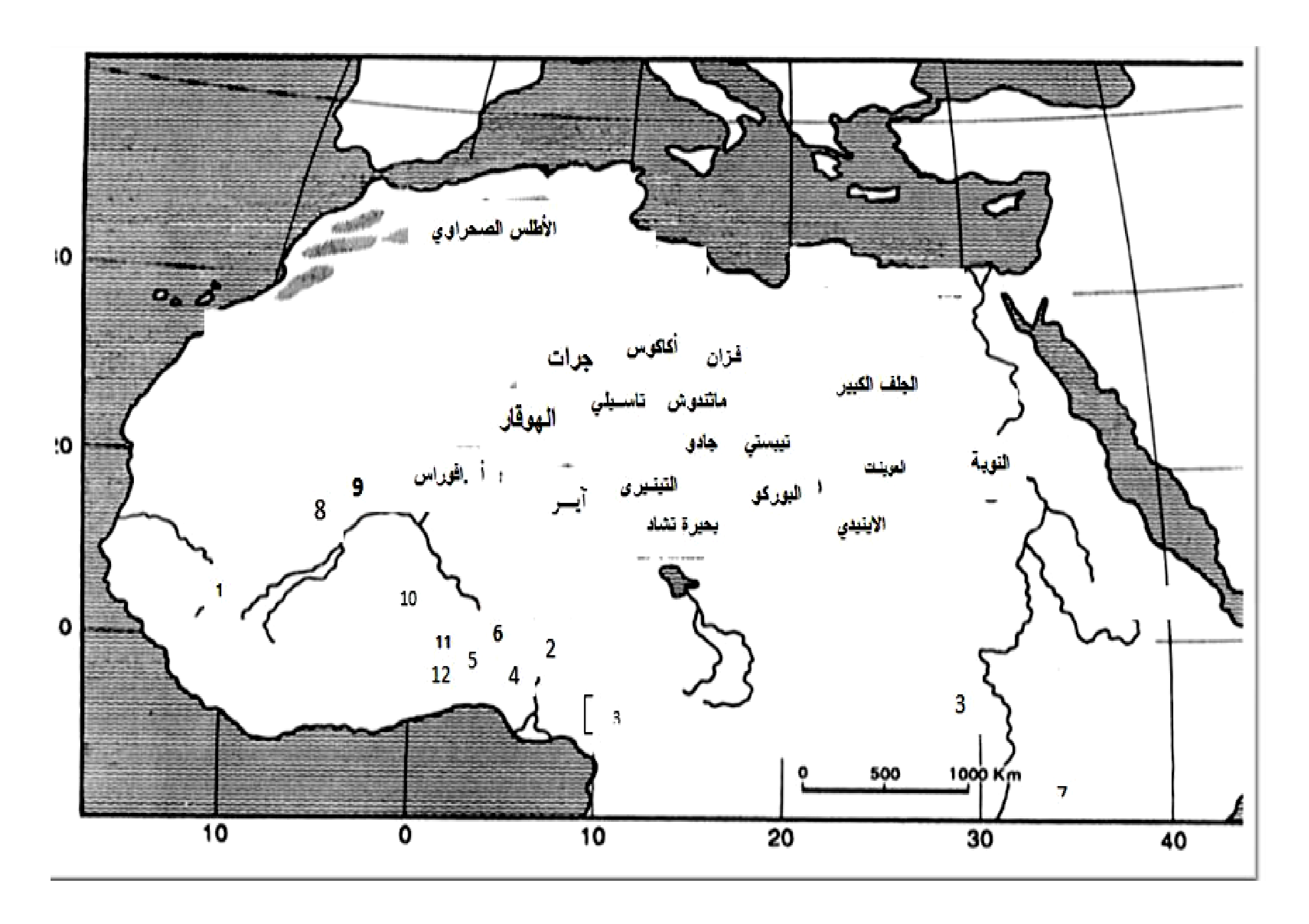
لوحة رقم 32

مشهد للراقصين في صفار شبيهة بما هو موجود اليوم في إفريقيا



لوحة رقم 33

راقصين أفارقة الشبه كبير بين هذا المشهد والمشهد الموجود في الاعلى .



الشعب	البلد	الرقم	الشعب	البلد	الرقم	الشعب	البلد	الرقم
الفولاني peul	السنغال	1	الديولاdioula	ساحل العاج	5	الدوغون dogon	مالي	9
الهاوسا hausa	نيجيريا	2	الوي"we"	ساحل العاج	6	الكورومبا kurumba	بوركينافاسو	10
الدنكاdinka	السودان	3	الباند pende	الزائير	7	البوبو bobo	بوركينافاسو	11
السينوفو sénaufo	ساحل العاج	4	البامباراbambara	مالي	8	اليوروبا yoruba	بنين	12

الـ

الشعب	البلد	الرقم	الشعب	البلد	الرقم	الشعب	البلد	الرقم
الفولاني	السنغال	1	الديولا	ساحل العاج	5	الدوغون	مالي	9
الهاوسا	نيجيريا	2	الوي"we"	ساحل العاج	6	الكورومبا	بوركينافاسو	10
الدنكا	السودان	3	الباند	الزائير	7	البوبو	بوركينافاسو	11
السينوفو	ساحل العاج	4	البامبارا	مالي	8	اليوروبا	بنين	12

شكل رقم 53: خريطة تمثل شعوب افريقية ذات طقوس شبيهة بفن الرؤوس المستديرة في الطاسيلي .

المصدر: Michel huet (1994) danses d'Afrique .textes de claude savary Edition de chêne hachette livre:paris., p 6.

الفصل الثاني

المظاهر الدينية لدى الرؤوس المستديرة

أ-معالم الفكر الديني عند الرؤوس المستديرة

ب-العبادات الطوطمية

ج- الديانات الروحانية والسحر

د-الأسطورة عند ذوي الرؤوس المستديرة

هـ- الطقوس

و- عبادة الشمس والقمر

أ- معالم الفـــكر الديني عند الرؤوس المستديرة.

لقد عرف الإنسان العبادة والدين منذ البداية، فطبيعته البشرية ُتشعره بالضعف أمام الكائنات الأخرى، فقد كان الإنسان يعتقد بوجود قوى تتحكم في الكون ويجب عليه أن يتفادى سخطها فكان يتقرب إليها بالعبادة ، وكان الموت أكبر هواجسه فهو يلاقي الخطر في كل مكان من حوله ، وقد تعلم الدفن منذ البداية فقد ذكر لنا القرآن الكريم قصة ابني آدم عند ما قتل أحدهما الآخر فأرسل الله غرابا ليعلمه كيف يدفن أخيه[353]، ومارسالانسان طقوس دفن كثيرة منها تشويه الأسنان[354] السفلية للميت[355].

من جهة ثانية فقد ثبت أن أقدم المباني في العالم لم تكن للسكن بل كانت هياكل للعبادة وهو ما تدل عليه أثار كاتال هويك في الأناضول(تركيا) الذي وجدت فيه رؤوس الأبقار مرصوفة بشكل فريد داخل الهيكل،مع تماثيل لآلهة أنثى وبقايا عظام للإنسان تعود إلى ما تقرب من 11ألف سنة [356] ،غير أن الدلائل الأثرية الأولى عن الدفن تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط حيث وجدت طقوس مدفنية لدى النيادرتاليون[357] منذ ما يقرب من 100 ألف سنة، و هؤلاء كانوا يلونون الجثث بالمغرة الحمراء ، كما اكتشفت أثار على سلخ اللحم عن الجسد[358]وقد عرفت الحضارة القفصية في بلادالمغرب مثل هذه الممارسات فقد اكتشف في موقع كيلموناطة بتيارت[359] أدلة استخدام عظام الأموات ونقلها وتلوين الجثث[360] وفي الصحراء يعد موقع تين هناكتن [361]فريدا من نوعه فهو يعطي دلائل

---

[353]قال الله تعالي «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ». القران الكريم، سورة المائدة، الآية 31.

[354] تشويه الأسنان عرفته الحضارة الايبيرومغربية والحضارة القفصية ينظر :

Slimane hachi ,les cultures …op.cit.p33.

[355]D Grebenard (1996)« Capsien »,Encyclopédie Berbère , N°12 ,Edisud:Paris,P 1763.

[356] مارسيا الياد،المرجع السابق، ص 26.

[357] النياندرتاليون من نياندرتال Neandertal بألمانيا،وهو الموقع النموذجي الذي اكتشفت به بقايا إنسانية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط paléolithique moyen، تعود معظم المواقع الأثرية الأوربية التي تؤرخ بهذه الفترة إلى إنسان نياندرتال، ينظر:

Serge lancel,op.cit.,p255, E Anati (1999) La Religion des Origines ,Trad, Patrek Michel, paris:Bayard Edition, P51.

[358] فراس السواح (2002) دين الانسان،دمشق: دار علاء الدين، الطبعة الرابعة ، ص212.

[359]هو موقع هام تعاقبت عليه الحضارة الايبيرومغربية والقفصية ،ينظر:غانم (2003)المرجع السابق،ص ص88،100.

[360] D Grebenard (1996)op.cit.p1763

واضحة على الجانب الديني ، وما يميزه هو العلاقة المباشرة مع الرسوم الصخرية ويحتوى هذا الموقع على طبقة أثرية عميقة تعرف الباحثون فيها على 15 مستوى وعثروا على بقايا حيوانات مختلفة ، وقد تم دفن 6 أشخاص في هذا الموقع بحيث تدل الممارسات الجنائزية على تعاقب عدة ثقافات وتعود الطبقة القديمة إلى الحضارة العاترية[362].

ومن المواقع الهامة أيضا موقع منخور mankhor الذي يقع غرب اليزي ويظم هياكل عظمية مدفونة في وضعية جنينية [363]مطلية بصلصال ابيض kaolin ، ولكن هناك شيئا خاص لا نجده في غيره من المواقع يتمثل قي وجود هياكل عظمية لأبقار مدفونة بطريقة تدلعلى أنها أحيطة بعناية خاصة ووفق طقوس معينة [364]بالإضافة إلى موقع وان موهيجاجuan muhigiag[365] في الاكاكوس الذي وجدت فيه جثة محنطة لطفل صغير، وموقع القويتر el-guettar قرب ققصة(تونس) الذي يعد من أقدم الظواهر الثقافية التي يمكن أن يفهم منها الجانب الديني وتتمثل هذه الظاهرة في تكديس إرادي للحصى في ما يشبه القبور، ونجد مثال أخر في منطقة تازروق tazeroukفي الهوقار حيث يحتوي المكان على حجارة مجمعة مع إهداءات عديدة وأدوات من فترة ما قبل التاريخ إضافة إلى رأس ثور[366].

وقد وجدت العديد من التماثيل الحيوانية والإنسانية التي تدل على العبادة ، وهي تمثل أبقارا وكباشا وغزلانا ، تعود بعض تماثيل الأبقار إلىأسلوب "إهرين-تاهيلاهي [367]الذي ينتمي إلى الطبقة النهائية لكل من البقريات و الرؤوس المستديرة [368]، ويؤرخ بحوالي 1000±500سنة ق. م بالنسبة لموزيليني بينما يضعه قوتي yves gauthierفي 3500قبل الميلاد[369] وإذا ربطنا بين رسوم الأبقار مع التماثيل الحجرية فإننا نفترضوجود عبادة للأبقار في الصحراء [370]، فقد ذكرت الباحثة هانريت كامبس فابر H.C.Fabrer نقلا عن

---

[361]تين هناكتن يقع على بعد 200كلمتر من جانت يعد أغنى المواقع الصحراوية حيث الآثار مرتبطة برسوم صخرية تعود إلى كل المراحل ،المستوى الأسفل في الموقع يعود إلى الحضارة العاترية ،ويعود تأريخ العصر الحجري الحديث فيه إلى6605 و5550 ق م،ينظر :Nour-Eddine Saoudi ,op.cit.p78

[362]سميرة عمراني ، المرجع السابق ،ص ص61-65

[363] الوضعية الجنينية تلامس فيها الركبتان واليدين الوجه وتلتصق الأطراف الأمامية بالصدر، وجدت هذه الطريقة في الدفن لدى القفصيين ينظر lionel balout(1958) : l'algérie préhistorique, paris: editions A M G, p96

[364]Nour-Eddine Saoudi ,op.cit.pp80-81.

[365] وان موهيجاج موقع هام في جبال الاكاكوس غير بعيد عن الحدود الجزائريةوهو عبارة عن ملجأ صخري ،وجدت قربه بقايا إنسانية وحيوانية لها إرتباط وثيق مع الرسوم صخرية في الجدار ،ينظر الشكل رقم 50.

[366] G Camps(1992)« Dépots Rituals» Encyclopédie Berbère, n°11 ,Édisud , Paris:pp2269-2271.

[367]J- L Le Quellec (2008) « A Propos Les Molettes Zoomorphes Du Sahara Central» ,Sahara. N°19, 2008, P 53. copie elictronique.

[368] ينظر أسلوب اهيرن- تاهيلاهي ضمن الفصل الأول.

[369]J- L Le Quellec (2008)Op.Cit.P55.

[370] H.G Hugot (1974),Op.Cit. P 200 .

هنري لوت قوله أن هذه التماثيل تعد شاهدا على عبادة للأبقار مع حيوانات أخرى في العصر الحجري الحديث néolithique[371]،و الكثير من المشاهد الصخرية تعطي أدلة واضحة على وجود فكر ديني تمثله آلهة وكائنات أسطورية وحيوانات مقدسة وفكر سحري روحاني أيضا .

كما أن الإنسانمارس طقوس مختلفة تدل على الإيمان بحياة أخرى بعد الموت وعبر عن خشيته من الموت وأمله في الحياة الأخرى بطقوس دفن مختلفة وكذلك برش الجثث بالمغرة فاللون الأحمر يدل على تجدد الحياة، ووضعيات الدفن هي الأخرى تعددت وكانت الوضعية الجنينية الأكثر انتشارا في الصحراء فقد اكتشفت جثث في تين هناكتن مدفونة وفق هذه الوضعية [372]،من جهة ثانية ذكر هيرودوت[373] وضعية دفن غريبة كانت لدى النسامونnasamones[374]تتمثل في أنهم كانوا يحرصون على أن يكون الشخص جالسا عندما يسلم الروح فلا يموت ممدا على ظهره ويدفنون على تلك الوضعية [375].

وهناك وضعيات دفن أخرى فقد كانت الجثث تطوى أو تحزم وأحيانا يتم تعريتها من اللحم ويرش ترابا اصفر على الجثة ،بالإضافة إلى الأثاث الجنائزي الذي يوضع مع الميت[376] ،فقد كان الإنسان يعتقد على نطاق واسع في العالم بوجود حياة بعد الموت، هذه الحياة يمكن أن تكون على القمر أو الأرض أو في المحيط أو البحر أو في مكان أخر[377]،كما كان الإنسان يحتفظ بعظام أجداده فقد كان يدفنهم تحت أرضية الكهوف حيث يعيش مثلما هو الأمر في منطقة كتال هويك catal hŭak بالأناضول [378].

وتمارس شعوبا عديدة طقوس العبور بالميت إلى عالم الأجداد ، بل ويقوم الناس باستشارة الأجداد الميتين[379] ويحتفظون بتماثيل لهم في بيوتهم فلدى شعب الدوغونdogon في مالي طقوس مختلفة ولهم علاقة عجيبة مع أجدادهم، ونحن نعتقد أن حياة الدوغون التي أثارت طقوسهم فضول العلماء قريبة الشبه بحياة الرؤوس المستديرة فالأقنعة واللباس والطقوس الذي يرتديه الراقصون المقنعون تكاد تطابق مع المشاهد الصخرية.

---

[371] Heriette Camps Fabrer,op.cit.p260..

[372] Nour-Eddine Saoudi ,op.cit.p80.

[373]هيرودوت أو" عطية الربة هيرا"، ولد في عام 484 ق. م و طاف مناطق مختلفة من العالم ،و توفي سنة 424 ق.م، ينظر: علي فهمي خشيم ،المرجع السابق ، ص10 .

[374]النسامون هي قبيلة كثيرة العدد في عداد شعب كبير، ذكر هيرودوت أنهم يتركون قطعانهم على ساحل البحر ويذهبون إلى أوجلة لجمع التمر في فصل الصيف ، ووفق ذلك فان هيرودوت يجعل موطنهم بين ساحل البحر ومنطقة أوجلة ينظر:Hérodote IV, 172

[375]Herodote IV,190.

[376]رابح لحسن (2004) أضرحة الملوك النوميد والمور ،الجزائر :دارهومة للنشر، ص ص262-266.

[377]E Anati (1999) op.cit.P51.

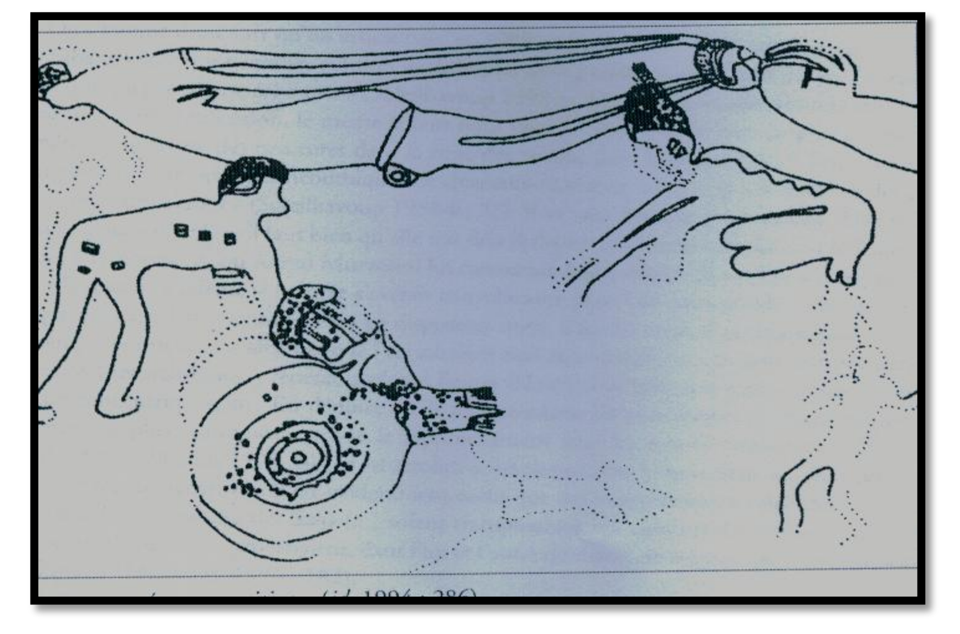
[378] مارسيا الياد ،المرجع السابق، ص 26 .

[379]حول طقوس العبورأنظر ما سيأتي في موضوع الطقوس .

ومن الأخبار التي يذكرها هيرودوت عن السكان القدامى في بلاد المغرب والصحراء أن النسامونnasamonesعندما يحلفون يقومون بوضع أيديهم على قبور أشخاص عرفوا بالنزاهة في حياتهم ويقسمون على ذلك، ويعد هذا نوع من تقديس الأجداد وعرف عن النسامون أيضا أنهم يقومون بالنوم فوق القبور وكل ما يأتيهم من حلم أثناء نومهم يعتبرونه بمثابة الوحي ويعملون به، وهنا يذكرڤزال gsellأن نساء الطوارق يقومون بالنوم قرب القبور من أجل معرفة أخبار أزواجهم الغائبين [380].

أما في المشاهد الصخرية فإن اللون الأبيض يعبر عن الموت ، وكذلك تعبر عن الموت المشاهد التي تمثل شخصيات سابحة في منطقة اونرحات ففي المشهد الذي سماه هنري لوت باسم" السابحة ذات الصدر على الظهر"[381]نلاحظ وجود مبالغة في حجم اليدين قد يدل ذلك على الموت ،وفينفس المنطقة نجد مشهد "المرأة الزنجية ذات الصدر المزين" [382] حيث توجد صورة امرأة متراكبة معها بلون ابيض وهي سابحة أيضا قد تكون معبرة عن الموت وفي صفار يوجد مشهد معبر عن الحياةالاجتماعية حيث يوجدنساء

وأولاد وعلى اليمين داخل دائرة نجد شخصية مستلقية على الظهر يبدوا عليها السكون وفوق هذه الشخصية يوجد طفل ينتحب عليه ، يمكن أن يعبر هذا المشهد عن الموت مع أنه قد يحمل تفسيرات أخرى.



اللوحة رقم 34 :

منطقة اونرحات شخصياتسابحة فسرت على أنها تمثل الشامان في رحلة بحث عن الأرواح

وقد تمثل الموت أيضا.

المصدرH lhote (1958)op.cit p88,fig36:

---

[380]Gsell(1915) hérodote textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord ,alger :imprimeur-librairel'université,p184..

[381]H. Lhote (1958)Op.Cit. P88 Fig 36 ,P120 Fig43-45.

[382] لاحظ تفسيرات أخرى لهذه المشاهد في موضوع الزينات الجسدية.

الملاجئ المزينة تعتبر دائما بمثابة بوابات بين العالم الحقيقي والعالم الآخر[383]،فقد كانت تقام فيها مراسيم احتفالية لتكريم الآلهة والمعبودات وكل المقدسات ويشكل وجود الإنسان فيها مناسبة للتضرع وطلب الخصوبة حيث تظهر النساء في المشاهد وهن رافعات أيديهن إلى السماء ينظرن باتجاه الإله الكبير،ويحتمل انه كان يوجد تمثال كبير يجسد الإله في ذلك المكان ، ويتم تقديم الأضاحي في الحال وهي غالبا حيوانات الأروية أو الظباء أو بعض الطعام [384]، وتقام الطقوس باستمرار أمام تمثال الإله في صفار حيث يأتي الناس من كل مكان إلى المعبد ، وتوضح إحدى المشاهد الصخرية بالفعل صعود الناس إلى الجبال وهم مجموعات من الرجال والنساء والأطفال [385](اللوحة رقم 35) .

يجسد الكاهن القَيم على الإله كل تلك المراسيم برسم جداري ضخما تكريما للإله ومع مرور الزمن يبقى هذا المكان مقدسا للمجموعات البشرية الساكنة حوله وحتى البعيدة عنه ، ويلجأ من حين لأخر لوضع إضافات فوق المشهد تبعا للضرورة الدينية وهذا ما يفسر وجود تراكب للمشاهد superposition[386].

يميل الباحث لوروا كورهان Andre leroi corhan إلى القول بوجود وجود دين للكهوف أو عبادة للكهوف باعتبارها أماكن مقدسة حيث اتفق الباحثين على اعتبار الكهوف نوع من المقابر والكثير منها فعلا هو غير قابل للسكن وصعوبة المرور إليه ودخوله والوصول إلى الجدران المزينة مثل مغارة نيوز niause[387] أو الإخوة الثلاثة les trios frères المتواجدتين في بفرنسا فهي عبارة عن متاهات حقيقيـة [388]،ورغم أن مناطق التاسيلي مختلفة عن أوربا حيث لا توجد فيها الكهوف العميقة ذات الممرات، إلا أن العديد من الملاجئ الصخرية موجودة في مناطق جبلية صعبة المسالك مثل صفار ، جبارين تيسوكاي، تان زوميتاك[389].

أما المناطق التي تشبه كهوف أوربا فهي منطقة تين هناكتن ومنطقة إن اتينان in-itinen، هذه الأخيرة تتواجد فيها الرسوم في مكان مظلم معزول و مدخله ضيق ، وقد لوحظت هذه الظاهرة في بعضالأماكن تشكل استثناء لكل مشاهد الرؤوس المستديرة التي

---

[383]Jean Clottes(2004) «L'art Rupestre Et La Chamanisme » Les Lettres De Clio, Janvier 2004 www.Clio.Fr.

[384] ذلك ينطبق على أسلوب المريخيين والآلهة العظمى الذكرية في المرحلة القديمة ،بتحول الناس بعد ذلك إلى حياة الرعي والزراعة ،وتصبح الأبقار هي الحيوانات المفضلة في القرابين ،أنظر الشكل رقم7.

[385] J D Lajoux (1977),Tassili-N-Ajjer. Art Rupestre Du Sahara Préhistorique Paris:.Edition Du Chène , 2°Ed, pp50-51.

[386]ينظرموضوع تراكب الصور ضمن الفصل الثالث.

[387] مغارة نيوز niause تقع جنوب فرنسا ينظر:نصر الدين بن الطيب (2008) تاريخ الفن من العصر الحجري إلى العصر الغوتي،الجزائر: منشورات الريشة الحرة ،ص26.

[388] مارسيا الياد ،المرجع السابق، ص ص30-31.

[389] تان زوميتاك تكثر بهذه المنطقة رسوم الرؤوس المستديرة وهي تقع شمال جانت (أنظر الشكل رقم8).

تتواجد الرسوم فيها عادة في الهواء الطلق[390]،لم يتم اختيار هذه الأماكن بالصدفة وذلك لأنها تمثل مناطق مقدسة لشعوب الرؤوس المستديرة .

ونجد تشابه بين معابد صفار وجبارين الجبلية وبين المعابد المصرية فإذا عرفنا أن المعابد في مصر هي أماكن للزيارة والتعبد ولا يحتشد فيها لممارسة الطقوس، ولا هيللكهنة يمارسون فيها الشعائر المقدسة أمام الناس، فالمعبد المصري لا يستقبل الناس بل هو تحديدا المكان الذي يبالغ فيه بحماية وإخفاء الإله فيه، فقلب المعبد مكان سري ، يتم الذهاب إليه عبر بوابات عديدة وكلما وصلنا إلى الداخل ازداد المكان ظلمة فلا يصله إلا الكهنة المخولون بذلك وهناك يوجد التمثال المقدس للإله [391]، وعلى عكس المعابد المصرية المراسيم كانت تتم قرب الملجأ المكشوف في صفار.

إذا كانت الأوصاف التي قدمها خزعل الماجدي للمعبد المصري صحيحة فإنها قريبة الشبه بمعابد صفار فكلاهما صعب الوصول إليه ، فطبيعة صفار وجبارين وتامريت الجبلية ذات الصخور الحتية والتي سماها هنرى لوت غابة الحجارة foret de Pierre[392] تمثل كتل صخرية تتخللها الأودية ،وبالنظر إلى طبيعة المناخ والغطاء النباتي في ما قبل التاريخ فهي عندئذ منطقة معزولة ومغطاة بالغابات وهي بذلك ملائمة لظهور ديانات روحانية.

إذ أن الهدف الديني واضح من اختيار أماكن انجاز هذه الرسوم ، خاصة الصور الأقدم في مرحلة الرؤوس المستديرة (أسلوب الآلهة الكبرى والمريخيين) وهي الأكثر تعبيرا عن الدين بالإضافة إلى أسلوب السحرة (الشامانين) الذي ينتمي إلى المرحلة المتطورة ،فالرؤوس المستديرة اختاروا المناطق المرتفعة كمراكز دينية لهم [393].

ولا تعد منطقة صفار الوحيدة من حيث الأهمية بالنسبة للرؤوس المستديرة فمنطقة اونرحات تمتاز بمشاهد روحانية كثيرة ، وان كانت هذه الأخيرة يبدوا فيها المظهر السحري غالبا على عكس صفار وجبارين حيث تشبهالمظاهر الدينية المعروفة في العصور القديمة .

ومنطقة تين هناكتن كانت أيضا ذات أهمية دينية ليست فقط للرؤوس المستديرة بل لشعوب مرحلة البقريات وشعوب مرحلة الحصان والعربة أيضا ، فقد كان الكهف الواسع محلا لاستقرار هذه الشعوب وممارستها لطقوسها التي جسدتها على الصخور ، كما أن اكتشاف تماثيل حيوانية وأخرى شبه إنسانية في المكان يدل على انه كان بمثابة معبد لإنسان

---

[390] من بين هذه المواقع موقع إن إتيان حيث توجد رسوم "قضاة السلام" في أماكن مظلمة، الوصول إليها يتطلب عبور ممر ضيق،ينظر h lhote (1976) vers d'autre…op.cit.p92:fig50

[391] خزعل الماجدي (1999) الدين المصري،الأردن: دار الشروق ، ص146.

[392] h lhote (1976) vers d'autre…op.cit.93.

[393] M Hachid (1998) Op.Cit. P189.

ما قبل التاريخ ، إلى جانب كونه مقبرة فقد كان يدفن فيه موتاه أيضا ، وقد اكتشفت ج أوماسب g aumassip مواقد هناك[394]فقد كانت تقدم القرابين للآلهة فيه.

فالكهوف كانت بمثابة مقابر للإنسان إلى جانب كونها مقرا للعبادة ، والمصادر القديمة تخبرنا عن ذلك فالقديس أوغسطين يذكر: « أن بعض معاصريه كانوا يعتقدون أنهم اقرب إلى الله عندما يغوصون في باطن الأرض » [395].ويذكر هذا الأخير أن السكان الأصليون يؤمنون بوجود أرواح تحت الأرض ، وفي عهده طلب من الأباطرة القضاء على كل الأوثان الموجودة قرب الأشجار والكهوف ، وحسب ڤزال gsell هذه الأماكن تعد بمثابة أماكن ولوج الأرواح تحت الأرض[396].

ومن الأدلة التي لاتحمل الشك في نظرناعلى أن الجبال بما فيها من ملاجئ صخريةكانت أماكن مقدسة يتعبد فيها الإنسان مشهد في جبارين [397] يمثل مجموعة كبيرة من الشخصيات من النساء والرجال والأولاد (اللوحة رقم 35).

نتساءل إلى أين يتجه هؤلاء ؟ قد يكونوا في طريقهم لإحياء مراسيم طقوسية في المنطقة المقدسة التي تعودوا على أداء طقوسهم فيها ، حيث سيقدمون القرابين المتمثلة في سلال الفاكهة وربما حيوانات أيضا ويبدوا أن للنساء دورا كبيرا في هذا المجتمع فتلك السيدات البدينات مطلعات على الأسرار الدينية وهن يقدن الجميع نحو المكان الذي يتعبدون فيه [398].

---

[394] سميرة عمراني، المرجع السابق، ص.67

[395] st gsell(1927)op.cit, p140.

[396]Ibid. pp133-134.

[397] J D Lajoux , Op.Cit.pp 50 – 51.

[398] أنظر ما سيأتي عن طقوس المسارة.



اللوحة رقم 35 : منطقة جبارين المسيرة نحو الجبال الأماكن المقدسة لذوي الرؤوس المستديرة

ب- العبادات الطوطمية في الطاسيلي:

يعرف سيجموند فرويد الطوطمية : «أنها نظام ينوب مناب الدين لدى بعض الأقوام البدائية وهي تمثل أساسا بالحيوانات ولكن أيضا هناك النباتات وحتى الجمادات ، ففي مصر القديمة كانت زهرة اللوتس ترمز إلى اله الشمس ، وكل الآلهة المصرية هي ذات جذور حيوانية فقد"عبدت الحيوانات لذاتها في شكل عقيدة طوطمية[399] تعكس انحدار الناس من حيوان معين »[400] فالطوطمية هي نظام ديني واجتماعي في نفس الوقت[401].

يدرس بعض الباحثين تطور الأديان منذ ما قبل التاريخ وصولا إلى الحضارات القديمة فقد عبدت الحيوانات لذاتها في شكل عقيدة طوطمية ، ثم في مرحلة لاحقة وتحت وطأة الصعود الروحي للآلهة أصبح التعبير عن الجذور الحيوانية رمزيا بحيث يتم رسم الإله أو تمثاله الحيواني ، أما في مرحلة الانحطاط الأخيرة فقد طغت عبادة الحيوان في حد ذاتها باعتبارها آلهة [402].

و الباحث بيار ميتس Pierre métaisيقول : إن لدى الشعوب البدائية لكل فرد طوطمه أو الروح المفضلة لديه وفي بعض الأحيان نسميها الروح الحارسة وقد تتخذ شكل حيوان لا يمكن أن يصطاد أو يقتل ولا يتم أكل هذا الحيوان [403]، وكثيرا من العشائر الهندية في أمريكا تقوم برسم طوطمها بطريقة الوشم على الأجسام [404] .

كما تذكر المصادر القديمة أمثلة عن العبادة طوطمية في بلاد المغرب القديم فديودور الصقلي[405] يخبرنا بوجود قبيلة تعيش معها القردة ضمن العائلة ، وهي تحترم بشكل كبير وتعاقب بشدة كل من يؤذيها كما أن الأفراد يتخذون أسماءها ، أما قبيلة البسيل psyiles في منطقة السرت فلها علاقة عجيبة مع الأفاعي على عكس جميع الليبيين فهؤلاء البسيل psyiles يعرضون الأولاد الجدد على الأفاعي فإذا لمس الطفلالأفعى فان ذلك يعني أن هذا الطفل هو فعلا ابن والده ،ويذكر في هذا الإطار قزال gsell ان كلمة البسيل قد تعني الأفعى[406].

---

[399] الطوطم هو كلمة ذات أصل هندي وتعني علاقة الدم بين الأخ وأخته ثم أطلقت على الحيوان الذي تنحدر منهالقبيلة، ينظر:جفري بارنارد (1993) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،الكويت،عالم المعرفة:ص366.

[400] sigmund freud,op.cit.P133.

[401] ibid..P80.

[402] - خزعل الماجدي (1999) المرجع السابق ، ص178 .

[403] Pierre Métais (1951) « Essai Sur La Signification Du Terme (Totem)», R. H .R , 1951 Vol:40 ,n°1 , P87.

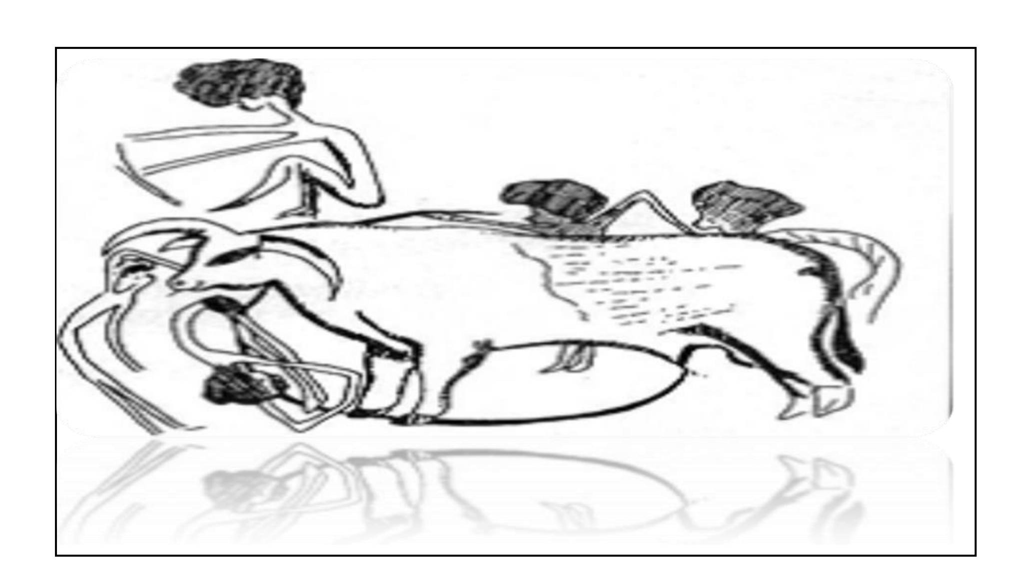
[404] علي عبد الواحد الوافي (1959) الطوطمية أشهر الديانات البدائية ، مصر: دار المعارف، ص22.

[405] ديودور الصقلي diodorus siculusمؤرخ يوناني عاش في صقلية في القرن الأول قبل الميلاد ،له مؤلف باسم المكتبة التاريخية ينظر :علي فهمي خشيم ،المرجع السابق ،ص112.

[406] Gsell (1920) H.A.A.N ,T1,pp245-247

والأمثلة عن الطوطمية كثيرة فالطوارق منذ عدة قرون يعتبرون حيوان الورن خال لهم فهم لا يصطادونه ولا يأكلون لحمه [407]وهم يمتنعون أيضا عن أكل الطيور والأسماك[408] ،وهذا الأمر يذكرنا بمشاهد لمس الحيوانات المتوحشة من طرف أشخاص وهي متواجدة بكثرة في الطاسيلي خاصة في وادي جرات، فمن الممكن أن تلك الحيوانات كانت مقدسة تعد بمثابة الطوطم ،والعديد من الشعوب اليوم تعطي الإنسان أسماء حيوانية أو نباتية أو أشياء جامدة يدل ذلك على ثقافة ذات أصول طوطمية على حد تعبير الباحث هاربرت سبانسر Herbert spenser[409]، بينما شعوب أخري تنظر إلى حيوانات معينة كرمزلها ولدينا أمثلة عن ذلك في الدب الروسي والديك الفرنسي [410].

والعبادة الطوطمية ترتبط بمجموعة كبيرة من المحرمات ونحن نجد الكثير منها في فن الرؤوس المستديرة ،كما أن الكثير من الزينات التي نجدها لدى شخصيات الرؤوس المستديرة مثل الريش على الرأس والزوائد المختلفة والقرون وحتى الحلي والأقنعة التي يرتدونها من الممكن أنها رموز طوطمية ، وقد ذكر الباحث لامينغ امبرار A laming empraire أن الرموز في الرسوم الصخرية كالذيول والأقنعة الحيوانية ترمز إلى الحيوانات الطوطمية[411]، و الكائنات الأسطورية التي تمثل شخصيات إنسانية برؤوس حيوانية قد تمثل حيوانات طوطمية يحاكيها الإنسان في مظهرها .



اللوحة رقم 36 : منطقة تين هناكتن طقوس متعلقة بأبقار مقدسة.

المصدر: J L Le Quellec.,(1993) symbolisme...op.cit.p310,fig96-5

[407] بشى ، المرجع السابق، ج4، ص21 .

[408]Pierre Métais (1951) op.cit.p117.

[409] E.F. Evans – Pritechard (1965) Le Religion Des Primitives A Travers Les Théories Desl'Anthropologies ,paris:Petite Bibliothèque Payot, P74.

[410] علي عبد الواحد الوافي ، المرجع السابق ، ص24.

[411]A laming empraire, op.cit.p117.

فسر الباحث جيراد جاك Gerard jaquet مشهد يمثل راقصين حول بقرة في نقوش هضبة المساك على أنها تعبر عن طقوس لعبادة الأبقار[412]،من جهة ثانية فإن وجود الكثير من التماثيل الحجرية تدل على عبادة الأبقار على حد تعبير هنري لوت [413]،وهذه التماثيل أكتشفها الباحثون قرب الرسوم الصخرية وفي الأماكن نفسها تتواجد بقايا الفخار، ويبدو أنه في مرحلة البقريات وبخاصة أسلوب اهرين – تاهيلاهي بلغ الاعتناء بالأبقار ذروته فقد أصبحت مقدسة واليها تعود أيضا هذه التماثيل [414] (الشكل رقم37-38) ، وتعتبر جانيت اوماسب g aumassip أن وجود تماثيل للأبقار في موقع تين هنكاتن يدل على أنها حيوانات مؤلهة[415]و ترتبط بقايا الأبقار برسوم فريدة من نوعها في الملجأ نفسه تمثل طقوس لعبادة الأبقار تظهر فيها مجموعة من الأشخاص يحيطون بثور،كما أن إحصائيات حول الفن الصخري أظهرت أن من 6الى 13%من الصور في الجنوب الوهراني تمثل أبقار وترتفع النسبة إلى 20% في وادي جرات [416] مما يؤكد أهمية الأبقار الدينية للإنسان لان الإنسان إنما كان يرسم الحيوانات التي لها أهمية دينية له وذلك في غالب الأحيان .

وفي الإطار نفسه ينقل ڤزال عن سترابون[417] النص التالي: « يوجد في موريتانيا حيوانات أسطورية تشبه الثيران ولكن في قوتها وشكلها ونوعية حياتها تقترب من الفيلة » [418]، وفي القرن الخامس الميلادي يذكر كوريبوس[419] : « أن عبادة الثور كانت منتشرة بين القبائل الليبية في منطقة السرت ويسمونه " قورزيل" الذي ولد من الإله أمون ومن بقرة وكانوا يجسدونه في بقرة يرهبون به أعدائهم في بداية المعركة ويعتبرونه قائد لهم في الحرب » [420]، أما في مصر فان الإله أبيس apis[421] الذي تعود عبادته إلى الأسرة الأولى يمثله ثور يحمل هلال القمر على ظهره أو ببقرة تخصب بواسطة شعاع من القمر ،كما جسدت الأبقار بالآلهة حتحور hathor التي تعطي الحياة وتحمي الموتى والتي تحولت

[412] Gerad Jacquet ,op.cit.p P77.

[413] J- L Le Quellec (2008)«A Propos Des …»op.cit. P53 .

[414]Ibid.pp54-55.

[415] M Hachid (1998) Op.cit.146 .

[416]G Aumassip,op.cit.p15

[417] سترابون جغرافي و مؤرخ يوناني ولد في عام 63أو 64 ق.م عاش حتى بلغ الأربعة والثمانين من عمرهينظر : علي فهمي خشيم ، المرجع السابق ، ص58.

[418] Gsell(1927) op.cit. T VI, P128.

[419] كوريبوسcorrippusهو شاعر عاش في القرن السادس الميلادي، ينظر: Gsell(1920) op.cit. T1.p84

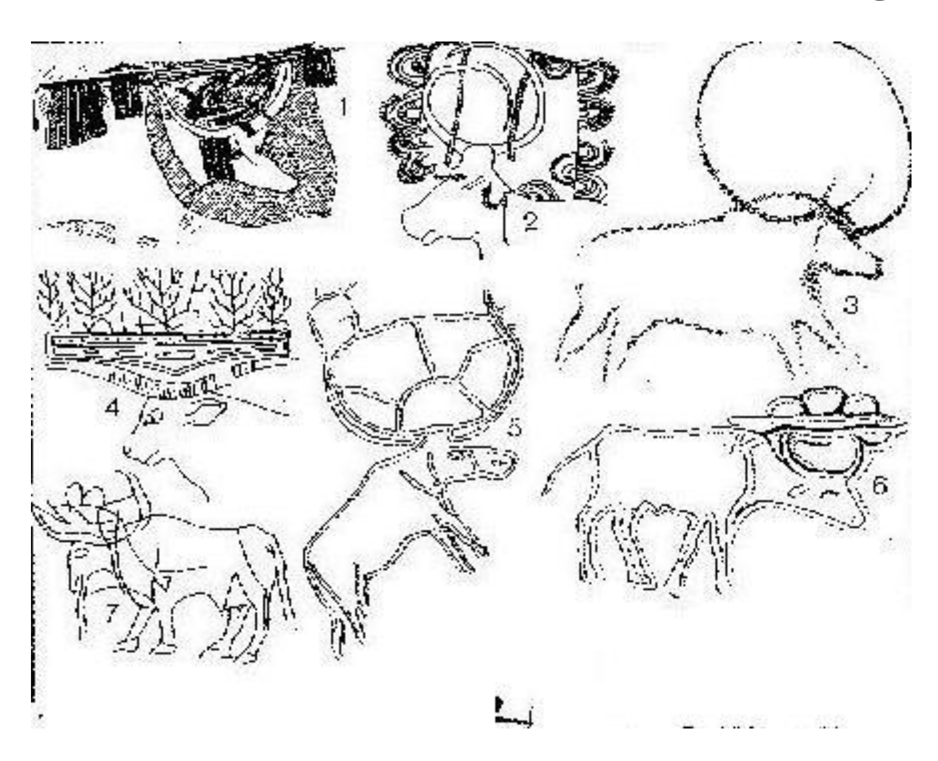
[420] Gsell(1920) op.cit. T1 ,p244.

[421] أبيس:apis إله مصري عبد على هيئة عجل في منف منذ عصر الأسرات الباكر، وهو رب لخصوبة الأرض ، يمثل واضعا قرص الشمس بين قرنيه،ينظر :

ياروسلاف تشرنى (1996)الديانة المصرية القديمة ،ترجمة أحمد قدرى ،دار الشروق ،الأردن : ص223.

فيما بعد إلى ربة الخصب [422] ، أما في بلاد المغرب كان يرمز إلى الالهة بشكل عام بهلال وقد انتشرت عبادة الربات القمريات بين الشعب في القرن الأول الميلادي على ما يذكره شارل بيكار[423]،فهل يشكل هذا دليلا كافيا للبرهنة على وجود عبادة للأبقار في الصحراء خلال العصر الحجري الحديث؟.

إذ لم تكن كذلك فإن معطيات أخرى تعطيها لنا الرسوم الصخرية ،فقرون الأبقار أصبحت رموزا للآلهة الأنثوية مثل "السيدة البيضاء" التي تعتبر ربة للخصب فهي تحمل فوق رأسها قرنين عظيمين ،كما أن الكثير من المشاهد المعبرة عن الأسطورة نجد فيها شخصيات ذات قرون ونجدها دائما في وضعيات الرقص الطقسية ، وهو ما يدل على قداسة الأبقار التي ترمز للقوة و الغنى و يمكن أن تكون صورة عن الآلهة أو أنها ترمز إلى القرابين لدى الشعوب المختلفة[424].



اللوحة رقم 37 : زوائد و أشياء فوق الابقار في مناطق مختلفة من الطاسيلي تدل على التقديس

[422] J L Le Quellec (1993) Symbolisme Et Art Rupestre Du Sahara,France: Edition Harmattan, P148.

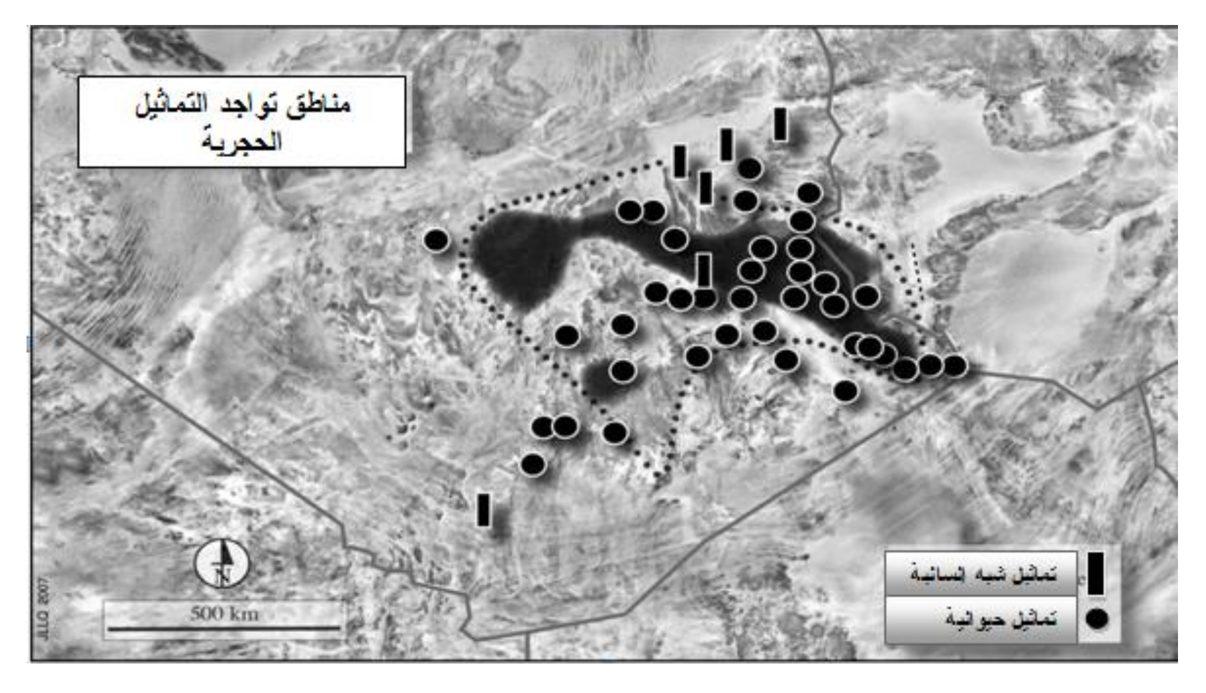
Ibid. pp191-192. [423]

[3]Louis Chaix (2004) «les bœufs africaines à cornes déformées», l'anthropozoologica ,. [424] T39,n°1.P341.



لوحة رقم 38 : أبقار مرسومة بدقة وبالألوان الطبيعية في وادي تسات*Wadi Tasset* غرب الطاسيلي تدل على تقديس الابقار .

المصدر: Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs, Part 39, StoneWatch Work Februar 2012, p2



الشكل رقم 54 : خريطة تمثل مناطق تواجد التماثيل الحيوانية والشبه إنسانية.

المصدر : J-L Le Quellec (2008) « A Propos des …»op.cit. p 51fig14

وقد انتشرت لدى بعض الشعوب الإفريقية اليوم ظاهرة تشويه قرون ، كما أنها كانت منتشرة في الصحراء و بلاد النيل في فترة ما قبل التاريخ وهذا ما تؤكده الرسوم الصخرية ، وهناك أشكال مختلفة منها لوي القرون وكذلك وضعها في شكل متوازي[425] ، حيث توجد في جبارين ووادي جرات رسومونقوش لأبقار ذات قرون متجهة إلى الأمام و هو ما قد يدل على نوع من التشويه أو لوي القرون[426]، وقد تكون معدة من اجل التضحية ، فقد ذكر هيرودوت أن الليبيون يقومون بقطع جزء من أذن الضحية ، و يرمونها فوق البيت ثم يقومون يلوي عنق الضحية [427] ونجد اليوم لدي بعض الشعوب الإفريقية في أعالي النيل كشعب الدنكا dinka، وشعب النوي nuer ظاهرة تشويه القرون [428](الشكل رقم37).

وفي الفن الصخري وجدت بالفعل أبقار قرونها تشكل دائرة ، كما وجدت أبقار تختلف قرونها في الاتجاه بشكل معاكس ،و أبقار أخرى ذات قرون متوازية وأخرى ذات قرون إلى الأمام، وعن هذه الأخيرة يشير هيرودوت إلى أن الجرامنت لهم أبقار ذات قرون متجهة إلى الأسفل بحيث تغرس في الأرض كلما حاولت السير إلى الأمام لذلك فهي ترجع إلى الوراء في رعيها [429] ، ويؤكد الباحث كامبس g camps وجودها في الفن الصخري[430] ، ومن خلال البقايا الأثرية للأبقار فان 30%من الأبقار كانت ذات قرون إلى الأمام وذلك بين الألف السادسة والرابعة قبل الميلاد [431]، ولم يتم التأكد بعد من أن قرونها طبيعية أم تم لويها من أجل التضحية بها .

إضافة إلى تشويه القرون أو تزينها فإننا نجد أيضا زوائد بين القرون في مشاهد الأطلس الصحراوي متمثلة أساسا في قرص الشمس ، وتعد هذه الظاهرة الأكثر انتشار ومتعلقة بالكباش التي تحمل قرص بين قرونها، من الأمثلة عنها كبش بقرص الشمس في حجرة سيدى بوبكر hadjra sidi boubaker الواقعة جنوب الجلفة[432] فهذه الزوائد الطقسية الموضوعة فوق رأس الحيوان ، وكذلك وضعية المصلى التي تتخذاها الشخصيات الذكرية خصوصا الموجودة إلى جانبه ، تدل على تقديس الكبشوارتباطه بعبادة الشمس من خلال القرص الوجود بين قرنيه ، وربما يكون معد للتضحية من اجل الشمس الإله العلوي في بلاد المغرب في ذلك الوقت ، وهو ما نجد أمثلة عنه في

[425]Louis chaix(2006) bœufs à cornes déformé et bélier à sphéroïde :de l'art rupestre à l'archeozoologie, ,cahier de l'AARS, n°10,2006,p 49.(copie électronique)
[426]g camps (1990)«des incertitudes de l'art aux «erreures» d'hérodote ,.la faune des temps néolithiques et protohistoriques de l'afrique du nord » C.R.A.I,1990,vol:134,n°1,p51, fig12.
[427]Hérodote, IV, 188.
[428]Louis chaix(2004), op.cit. P337, g camps (1990) op.cit.p52.
[429]Hérodote, IV, 183.
[430]g camps (1990)op.cit.p52.
[431]Louis chaix(2004) op.cit.p340.
[432]h lhote (1984).op.cit. p293,fig 69.

وادي جرات بالطاسيلي ولكن يتعلق الأمر بالأبقار لان مشاهد الكباش نادرة في المنطقة[433] حيث يدل ذلك على تقديس هذه الحيوانات واقترانها بعبادة الشمس والقمر.

هذا بالنسبة للأبقارأما الأروية والظباء فقد كانت لها مكانة كبيرة خاصة في المرحلة القديمة حيث تمثل إضافة إلى الآلهة الكبرى والمصليات ثلاثية مقدسة نجدها في معظم المشاهد التي تعود إلى المرحلة القديمة ، وهي تعد حيوانات مقدسة في أسلوب الشياطين حيث تضع الشخصيات قرونا للظباء أو أروية في مشاهدها الطقوسية [434] وتعد الحيوانات المفضلة في القرابين في مختلف الأساليب الفنية التي يمثلها الصيادين خاصة مشاهد الآلهة الكبرى و مشاهد المريخيين .

كما توجد الاروية في المشاهد المرتبطة بالكائنات الأسطورية النصف حيوانية نصف إنسانية قليلة والمشهد الوحيد الذي وجدناه ، هو الذي نشره لاجو J DLajoux في تين تزاريفت tin tazarift والذي يمثل شخصية مقنعة برأس أروية لكن بقرن واحد في الوسط ويحتمل أن المشهد يمثل حيوان أسطوريا بقرن واحد والذي نجد لهأمثلةفي الميثولوجيا الإغريقية [435].

والظباء نجدها أيضا في المشاهد ذات الطابع الأسطوري فقد نشر هنرى لوت مشهدا في جبارين jabbaren يمثل ظبي عملاقا بجسم فيل [436]فالمنظر يدل على انه كائن أسطوري أو إله ،ونجد مشهد أخر في صفار يمثل ظباء ضخمة بأربعة قرون [437] أما الكائنات الأسطورية والتي تمكن أن تكون آلهة على غرار الآلهة المصرية ذات الرؤوس الحيوانية فإننا نجد مشهد في منطقة أساجان وان ميلان asadjan ouan mellenيمثل صيادين ذوي رؤوس ظباء [438].

كما أن الظباء من الحيوانات المفضلة في القرابين [439] في مرحلة المريخيين المتطورين martiens évaluéأما في مرحلة المريخيين البدائيين martiens primitives فقد كانت المكانة لحيوانات الأروية mouflon[440]، ووفق إحصائيات قدمها ميشال توفرو لعدد من الملاجئ فان نسبة صور الحيوانات تمثل 17%إلى16% في مشاهد الرؤوس المستديرة منها 66 % للأروية و33% للظباء وهو ما يدل هذا أهمية هذه الحيوانات بالنسبة

---

(433)h lhote (1976)les gravures...T2,p750,station LXXV,fig2586.

(434) René Gardi, Julantha Neukom Tschudi , op.cit.P16.

(435) J D Lajoux , Op.Cit . P 63 .

(436) H Lhote (1958)Op.Cit. P64, Fig20.

(437) J D Lajoux , Op.Cit. P42.

(438) A Muzzolini (1991)Op.Cit.P25 , Fig7e.

(439) Michel Tauveron (1986) «L'art Pariétal Des Tètes Ronde .Problème De Synchronisme » Lybica n°32-34,1984-1986.P 167.

(440) Ulriche W Hallier And Brigitte C Hallier (2005)Op.Cit. pp5 -6 .

لهم[441] ومن حيث البقايا الحيوانية فان 70% من البقايا الحيوانية في منطقة تين تورها الشرقية tin toraha هي للأروية [442]،كما وجدت الأروية في بقايا تين هناكتن ، وهذا يدل على أنها من حيوانات القرابين [443].

وتزين القرون لم يقتصر على الأبقار فمشاهد تان زوميتاك تمثل أربعة من الاروية ذات قرون مزينة مع شخصية من الرؤوس المستديرة المتطورين، وتقول مليكة حشيد أن هناك محاولات لتدجين هذا الحيوان في التاسيلي وفي الأكاكوس [444] .

وعلى العموم فإن حيوانات الظباء والأروية كانت ذات أهمية دينية للإنسان والتفسيرات حول هذه الحيوانات تتراوح بين التقديس وبين كونها حيوانات معدة كقرابين للآلهة وأيضا لعلاقتها بكائنات أسطورية مؤلهة ، وعندما تبدأ الأبقار بالظهور تختفي الاروية والظباء من المشاهد تقريبا ويعود ذلك إلى تحول السكان إلى الاقتصاد الرعوي .

هناك العديد من المشاهد التي يصعب التميز فيها بين كون الحيوان معد للتضحية به أو أن المشهد يعبر عن عبادة الحيوان ، منها مشهد في جبارين يمثل بقرة كبيرة محاطة بشكل دائري ذو مظهر أفعوانيserpentiforme والى اليمين توجد ثلاثة نساء في مشهد رقص طقوسي،فسر على انه مشهد للتضحية بالبقرة [445](اللوحة رقم 82)، كما أن طقوس لمس الأبقار والقفز فوق ظهورها والإحاطة بالحيوان من طرف مجموعة كبيرة من الأشخاص بعضهم يحمل عصا أو فأس قد تفسر على أنها تضحية بالحيوان، وهذا ما نشاهده في صفار حيث يمكن أن يعبر المشهد على عبادة الحيوان أيضا

نجد مشاهد أخرى من هذا النوع في صفار وفي وادي أفارا [446]حيث يحيط بالثور ما يقرب 30 شخص، وبعض الشخصيات النسائية تلمس الثور في جبهته وأخريات في ذيله و بطنه ورجل يلمس الحيوان من أقدامه الخلفية بينما يجره آخر من الخلف حاملا فأسا و أشخاص يقفزون فوق ظهره ، التفسيرات تتراوح بين طقوس التلقين initiation وبين عبادة الابقار واقترانها بالخصوبة وبين التضحية بالحيوان[447].

مشاهد التضحية نجدها أيضا في نقوش الأطلس الأعلى المغربي في منطقة اوكيميادن oukaimedenيمثل المشهد شخصية ذكريه رافعا يديه يحمل أداة تشبه العصا يهدد بها فيلا ،وهذا الفيل مرسوما بشكل أفقي يدل على الموت، وفي الجهة المقابلة يوجد كبش ذو قرنينفوقهماقرص (قرص الشمس) bélier à sphéroïde فسر كامبس camps هذا المشهد

[441] Michel Tauveron ,Op.Cit. pp159-161.

[442] M Hachid (1998) Op.Cit. P218 .

[443] سميرة عمراني،المرجع السابق.ص67.

[444] M Hachid (1998) Op.Cit. P218 .

[445] Abdelaziz Farrah ,Op.Cit. P 275 Fig 235 b .

[446] قسم من هذا الوادي يوجد في منطقة الاكاكوس وهو يتصل بوادي جرات ،ينظر الشكلرقم3.

[447] H G Hugot, Op.Cit.P167.

على أنه يمثل تضحية بالفيل وأن الأداة التي تشبه العصى هي أداة طقوسية [448]،والمشهد بشكل عام يعبر عن عبادة الكبش المرتبطة أيضا بعبادة الشمس في جبال الأطلس الصحراوي والتي نادرا ما نجد أمثلة عنها في الصحراء الوسطى .

والجدير بالذكر أن هيرودوت يذكر أن الليبيين كانوا يقطعون جزء من أذن الضحية ويرمونها فوق البيت ، كبديل لبواكير الحيوانات والثمار تم تقومون يلوي عنق الضحية إلى الوراء[449] ، وهذا يدل على وجود طقوس معينة للتضحية بالحيوانات لأغراض دينية ،وقد تكون عملية لوي قرون الأبقار أو تشويهها وتزيينها وربما حتى الزوائد على رؤوس الأبقار والكباش وتزيين ثوب الحيوان وإظهار الأبقار بمنظر راقص يدل علي أن هذه الحيوانات تعد للتضحية بها .

ومن مظاهر تقديس الحيوانات وجود الشخصيات الأسطورية التي هيكائنات هجينة نصف إنسانية ونصف حيوانية ، مثل هذه الشخصيات نجدها ضمن التقاليد في بلاد المغرب ففي الذاكرة الجماعية هناك عمالقة مزودين بقوى سحرية فيما نحفظه من قصص خيالية حيث توجد شخصية أسطورية باسم "الغول" يملك إمكانيات وقوى سحرية خارقة وهذه القصص مرتبطة دوما بالحيوانات ،ومن الممكن أن هذه القصص والأحاجي هي رواسب من الوثنية القديمة والتي تمتد جذورها إلى فترات متقدمة من التاريخ وربما حتى إلى فترة ما قبل التاريخ.

لا تزال هذه الأمور موجودة لدينا رغم تطور الفكر الديني، أما بالنسبة لإنسان ما قبل التاريخ فنعتقد انه ربط بين الكائنات التي يتخيلها وبين الحيوانات المقدسة لديه فأنتجت مخيلته صورة كائن هجين نصف إنسان ونصف حيوان، وبعض هذه الحيوانات يمكن أن تكون حيوانات مقدسة في حد ذاتها كالظباء والاروية والفيلة البيضاء [450] بالإضافة إلى الطيور التي نجدها مرتبطة بشخصيات أسطورية في جبارين [451].

إن اغرب مشاهد الشخصيات الأسطورية هي تلك الموجودة في هضبة المساك والتي تمثل إنسان برأس كلب بري lycaon قادرا على جر وحيد القرن بيد واحدة أو حمل ثور على كتفه، أما في وادي جرات فالكائنات الأسطورية تظهر في موضوعات جنسية وهي برؤوس حيوانات ابن آوى تبدوا صغيرة الحجم واغلبها ذات منظور نسبي (الوجه يكون في اتجاه معاكس للجسم) وهي بذلك تشبه الإله المصري أنوبيس[452]،فمن بين 2500 من

---

[448] Georges Souville (1992) « Aspects Religieux Des Gravures Rupestre De Haut Atlas Marocain » Histoire Et Archéologie .De L'Afrique Du Nord .Actes De 5em Colloque International ,.Spectacles Vie Portuaire Religions , Avignon ,9-13 Avril 1990, Edition Du C.T.H.S.1992:Paris,P 52.

[449] Hérodote, IV, 188.

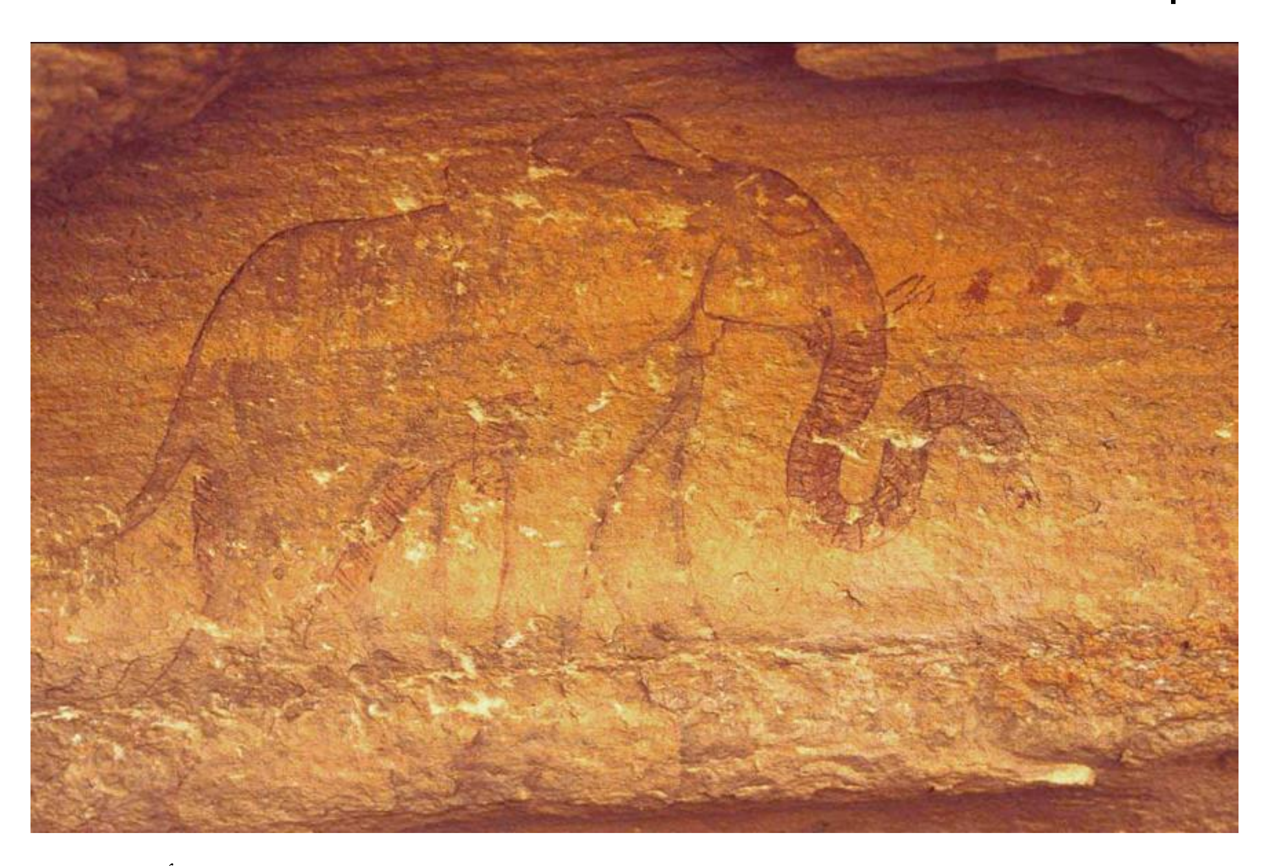
[450] M Hachid (1998) Op.Cit . P144.

[451] H lhote (1958) Op.Cit. P 12 Fig1, P80 Fig26.

[452] انوبيس سيد الجبانة ورسول "أوزوريس" وحامي المومياء يلعب دورا هاما في منح الحياة لها و له دور في محاكمة الموتى،يصور على هيئة إنسان برأس ابن آوى (ثعلب)أو كلب بري .،ينظر: والس بيدج (1988)كتاب الموتى الفرعوني"برت إمهرو" الترجمة من الهيروغليفية، الترجمة العربية فيليب عطية، القاهرة: مكتبة مدبولي،ص254.

النقوش التي اكتشفها هنري لوت يوجد بينها 20إلى25مشهد تمثل شخصيات برؤوس حيوانات [453].

ومن بين الحيوانات الممثلة نذكر الفيلة في وادي جرات حيث يوجد فيل عملاق يبلغ طوله 6 أمتار، أما في الرسوم الصخرية فمشاهدها قليلة يمكن أن نذكر منها فيلا في منطقة تيسالاتين tissalatine[454] ،كما توجد فيلة بيضاء اللون قد تكون منالحيوانات الأسطورية [455].



لوحة رقم 39: مشهد لفيل ضخم غاية في الابداع بالالوان الطبيعية في منطقة أمراسوزي Amarasouzi في وادي أوماشي .Wadi Oumashi ، هضبة تاجيلاهين (الطاسيلي)

المصدر: Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs, Part 39, StoneWatch Work Februar 2012, p47

[453]A Muzzolini (1991)Op.Cit.P25.
[454]Alain Sèbe, (1991) Tikatoutine .6000ans L'art Rupestre Saharien .Collection Tagoulmoust Imprimé En Italie: Par Antegrafica .Silva. .P182
[455] M Hachid (1998)) Op. Cit. P211.

كما يوجد حيوان وحيد القرن و هو يظهر بشكل كبير فقد تم إحصاء86 مشهد له في وادي جرات [456] ، وقيل إن عددها 119 مشهد وهي تمثل المرتبة الأولى بالنسبة للحيوانات الممثلة في هذا الوادي، أما بقاياه الجسمية فهي قليلة في المواقع الأثرية[457]وذلك يفسر ربما بعدمرغبة الإنسان في اصطيادها لوجود حيوانات أفضل منها كما أنه لا يعتبر من حيوانات التضحية، مع ذلك فانه يبدو أن لهذا الحيوان دورا في الجانب الأسطوري في الصحراء بدليل وجود كائنات إنسانية برؤوس وحيد القرن في منطقة رهينواRhino في عرق إمزيتن بفزان، المشهد يمثل مصليا جالسا رافعا يديه مقابل هذا الحيوان [458].

وقد ذكر وحيد القرن في المصادر القديمة لدى بطليموس الذي ذكر أن يوليوس ماترينوس قام برحلة الى أجيسمبا Agisymba[459]مارا بجرمة عاصمة الجرامنتس حيث وجد هناك حيوانات وحيد القرن[460].

أمافرس النهرHippopotami فقد وجدت بقاياه في أدراربوس adrar bos[461] في مالى وهي تعود إلى 5310±120 قبل الميلاد ، كما وجدت بعض المشاهد التي يظهر فيها هذا الحيوان في اونرحات وفي تين تزاريفت،لم يكن لهذا الحيوان أي دور ديني لدى الرؤوس المستديرة ، أما في مصر فيبدو أن له علاقة مع الطقوس الجنائزية بدليل وجوده ضمن المدافن في حضارة مرميدة بني سلامة 5000-4500 ق م والبداري 5500 –4000 ق م وحضارة نقادة 4000 - 3100 ق م وكذلك في حضارة العمارى في الألف الرابعة بقايا فرس النهر وجدت أيضا في عرق آدمير وعين قزام وان الزوا in-azoua , admer i-n guezzam كما نجد هذا الحيوان ممثلا في النقوش الصخرية في وادي جرات[462].

إضافة إلى الحيوانات السابقة الذكر فقد مثلت حيوانات أخرى منها:الغزلان، الأسد الفهد ،والحمار الوحشي، هذا الأخير نجد له مشهد فريدا من نوعه يمثل صيادين برؤوس حمر وحشية في منطقة تمنزوزين Timenzouzine[463] ،كما نجد رسوم صخرية تظهر فيها التماسيح في إن اتيانin itinanوفي وادي جرات توجد 4 نقوش لتماسيح ،أمابقايا التماسيح فاننا نجدها في وان راشلة wa-n Rachlaجنوب التاسيلي وقد أرخت في الألف الثالثة قبل

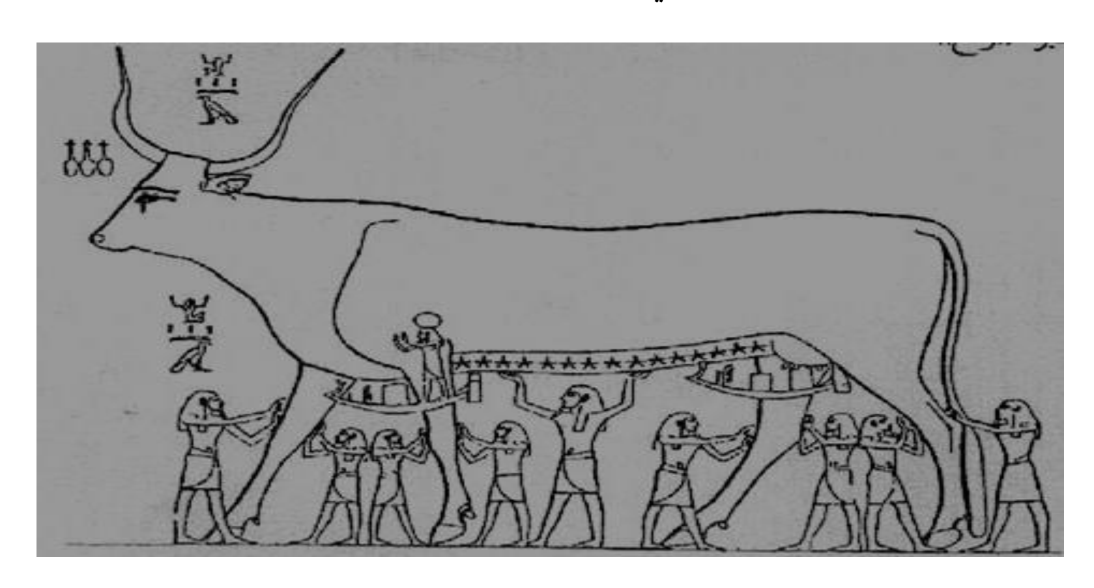
---

[456] J- L Le quellec (1998) op.cit.P130.
[457] G Camps (1988) « La Faune De l'Afrique Du Nord Et Du Sahara D'après Hérodote » Espacio Tiempo Y Forma , Serie II ,Ha Antigua T 1 , P 218 .copie electronique
[458] Ulrich W Hallier And Brigitte C Hallier (2001) New Fels Bilder Des fazzan Sud West Libyan . Stone Watch n°7 ,2001, P16
[459] هذه المنطقة من المحتمل أن تكون بين الايرair والاينيدي Ennedie والتيبستي tibestiحسب لوكلاك ، بينما يقول الباحث إبراهيم العيد بشي أنها دارفور الحالية ينظر:
بشي ،المرجع السابق ،ج1،ص73, J L Le quellec (1993) symbolisme…Op Cit. P130
[460] J L Le quellec (1993) symbolisme…Op Cit. P130.
[461] توجد هذه المنطقة في شمال منطقة الآير،ينظر: M c chamla, op.cit.p24.
[462] M c chamla. P 133.
[463]H Ihote (1958) Op.Cit. P64 Fig18.

الميلاد [464]،ونجد أيضا القردة في تين تزاريفت tin tazarift[465]،اما الأسماك فهي موجودة في مشهد "السباحين" في تين تزاريفت tin tazarift، وفي مشهد "الإله الكبير الصياد في صفار" [466] ،و النعامة رغم أنها ممثلة بشكل كبير في التاسيلي لكن المشاهد التي تظهر فيها من الصعب الجزم في كونها تعود الى هذه المرحلة، ومنهذه المشاهد نجد نعامة برأس زرافة ،وكذلك نعامة بأربعة أقدام، ونعامة بقرون كبيرة [467].

نجد أيضا في بعض المشاهد حيوان يشبه العقرب وهو مرسوم في الجهة الخلفية لعدة حيوانات ونادرا ما نجدة مع إنسان، ففي صفار و تين تزاريفت نجده مع عدة أبقار ومع فيل في صفار أيضا ونجده منفردا في تاجيلاهينtadjelahine [468]، ومهما كان نوع هذا الحيوان أو ربما قد يكون رمزا ذو معنى معين فهو يدخل ضمن المشاهد المعبرة عن السحر

نذكر في الأخير أن الحيوانات كانت في البداية هدفا للصيد لكنه بعد ذلك حاول الإنسان تجسيد صفات حيوانات معينة في أقنعته وفي زينته ولباسه،وأصبحت هذه الحيوانات مرتبطة بكائنات أسطورية خارقة اعتقد بأن نسبه يعود إليها ، ومن هنا ظهرت فكرة الطوطمية عند الإنسان والتي تحولت إلى تأليه الحيوان فيما بعد .



اللوحة رقم 40 : مشهد تقديس الآلهة "نوت" في مصر

المصدر: ياروسلاف تشرني (1996)الديانة المصرية القديمة ،ترجمة احمد قدري ،دمشق: دار الشروق،ص59

---

(464) J- L Le quellec (1998) Op.Cit .P144.
(465) H G hugot (1974),Op.Cit. P209.
(466) J D Lajoux , Op.Cit . P 52 .
(467) Yves Gauthier(2000) Algerie Et Libye Sonctuaries De L'art Rupestre Saharien , Juin 2000 Les Letters De Clio ,http:\\ www.clio.fr.
(468) M Hachid (1998)) Op. Cit. P215 Fig 322, 323 ,324,332.

الحيوان	الرسوم الصخريه	البقايا الاثريه	المصادر القديمه	الجانب الديني	نوع العبادة
الابقار	x	x	x	x	العبادة، القرابين، الشخصيات الأسطورية
الارويه	x	x	x	x	القرابين، الشخصيات الاسطوريه
الظباء	x	x	—	x	القرابين، الشخصيات الاسطوريه
ابن اوى	x	—	x	x	الشخصيات الاسطوريه والالهه
الكلب	x	/	x	/	/
الحمر الوحشيه	x	/	/	x	الشخصيات الاسطوريه
الفيل	x	x	x	x	الشخصيات الاسطوريه
الجاموس	x	x	x	x	/
القرد	x	/	x	x	الشخصيات الاسطوريه، التاليه
وحيد القرن	x	x	x	/	/
فرس النهر	x	x	x	/	/
السنوريات	x	/	x	x	/
الكبش	x	x	x	x	العبادة ، القرابين
الزرافه	x	/	—	x	/
الافعى	x	/	x	x	العبادة ، الشخصيات الاسطوريه

— غير موجود ، x موجود ، / غير معروف

جدول رقم 02 : يمثل الحيوانات في فترة ما قبل التاريخ ودورها الديني

المصدر : g camps (1990)«Des Incertitudes De L'art Au Erreurs,D'hérodote. La Faune Des Temps Néolithiques Et Protohistoriques De L'afrique Du Nord » C.R.A.I,Vol: 134. n°2.p54.

ج-الديانات الروحانيـة والسحـرية:

كان الصيد هو النشاط الأول الذي مارسه الإنسان في ما قبل التاريخ واستمر على ذلك لآلاف من السنين ثم بدا الإنسان في استئناس الحيوانات لينتهي به المطاف إلي الزراعة والاستقرار ثم بناء القرى والمدن ، وشعوب الرؤوس المستديرة لم تشذ عن هذه القاعدة فقد مثل الصيادين الأساليب الأولى ، إلا أن الفن ومواضيعه قد تغيرت مع التغير الذي طرأ على الإنسان بتحوله إلى نشاط الرعي والزراعة.

وعند دراسة الشعوب التي لازالت إلى أمد قريب تمارس الصيد ومنها البوشمن في جنوب إفريقيا و السكان الأصليون في استراليا وجزر المحيط الهادي ، نلاحظ أن هذه الشعوب تعتقد بوجود الأرواح في كل مكان،وبما أن حياة هذه الشعوب لا تختلف كثيرا عن حياة الإنسان في ما قبل التاريخ ،فنحن نتصور وجودها في تلك الفترة البعيدة ،وهذا ما أكده الباحث فراس السواح مستدلا على ذلك بوجود جثث مدهونة بالمغرة الحمراء مما يعنى الاعتقاد بعودة الروح إلى الميت[469]، وهنا يذكر الباحث مارسيا الياد أن الكائنات فوق الطبيعة هي مؤكدة في ديانة الصيادين ، ومن هذه الكائنات هناك المرافقون أو الأرواح الحارسة ،والآلهة من نوع كائن أعلى أو" سيد الحيوانات البرية " وهو الحامي في آن واحد للطريدة والصيادين،كما توجد لديهم أرواح الغابات وأرواح لأنواع الحيوانات المختلفة[470]،وقدانتشرت بين شعوبالصيادين في ما قبل التاريخ الديانات الفتيشية[471]والشامانية[472] والروحانية [473]والتي نجدها اليوم لدى الشعوب البدائية التي تعتمد على الصيد في إفريقيا ومنها الدوغون في مالي ، فإذا كانت هذه الشعوب لا تزال تمارس هذه الديانات اليوم ، فان الرؤوس المستديرة في الطاسيلي من الممكن أنهم عرفوا هذه المعتقدات وهذا ما يؤكده الباحث فرانسوا سولاهافوب[474].

وعند الشعوب الروحانية الأرواح تأخذ مكانة الآلهة، حيث يحاول الإنسان التدخل في الطبيعة والتواصل معها لأنه لا يريد أن يفقد الأرواح المحيطة به [475] ،ويذكر في هذا الإطار الباحث جيمس فريزر الذي اختص بدراسة الشعوب البدائية في مناطق مختلفة من العالم وخاصة في استراليا أن الشعوب البدائية تحترم أرواح كل الحيوانات ، لكنها تتعامل

---

[469] فراس السواح ، المرجع السابق ، ص212.

[470] مارسيا اليادا ، المرجع السابق ، ص 20 .

[471] الفتيشية هي الاعتقاد بقداسة الأشياء والتصور أن قوى الكون تجتمع فيها ولذلك اتخذت بعض صور وأشكال الآلهة ضمن هذه الأشياء المقدسةو من بين هذه الأشياء الأقنعة والتمائم والتماثيل،ينظر:خزعل الماجدي (1999) المرجع السابق ،ص ص174-175.

[472] عن الشامانية، أنظرJ-Le Quelle (2008) Chamans... Op.Cit P255:.

[473] الروحانية :هي الاعتقاد بوجود كائنات غير مفهومة وغير محسوسة وغير مادية قد تكون أرواح أو أشباحا وعفاريت تمثل السلف أو الحيوان أو النبات أوأي شيئا آخر نهرا أو بحيرة، ينظر:الميرا اسماعيل علي،المرجع السابق ص209.

[474]F Soleilhavaup (2000),L'art Rupestre Du Tète Ronde Aux Source De L'animisme Africaine, Les lettre de clio,2000: Http//:www.Clio.fr.

[475]Gerard Jacquet, Op.Cit, P12.

بشكل خاص مع أرواح الحيوانات المفيدة لديها أو تلك التي تمتلك قوة و حجم كبيرين[476] كما أن المشاهد الصخرية تؤكد أن الصيادين يؤمنون بوجودقوى فوق الطبيعيةتشكل عالما موازيا للعالم الحقيقي،و هذه القوى العليا هي التي تسيطر علىعالمهم[477].

تقول في هذا الإطار مليكة حشيد إن مناطق مختلفة من التاسيلي تعد أماكن مثالية لسيطرة الفكر الروحي مثل غابات الصخور في صفار[478] ، والسبب في سيطرة الفكر الروحاني في نظرنا هو طبيعة المنطقة وتضاريسها الجبلية التي تجعل الإنسان الذي يزورها لأول مرة يشعر بنوع من الرهبة لرؤية هذه الكتل الجبلية التي تمثل في حد ذاتها لوحة فنية تبرز قدرة الخالق الذي صخر عوامل الحث من رياح وأمطار في صنع هذه الأشكال الغريبة ، وإذا كنا اليوم نراها كذلك مع ما تعرفه المنطقة من جفاف ، فكيف يكون الأمر بوجود الماء والطبيعة الجبلية وكذلك المناخ الرطب الذي حول تلك الأماكن إلى غابات وساهم في انعزال المنطقة فأثرت الطبيعة في الإنسان وتجسد ذلك في سيطرة الروحانية على العقول وتحول أماكن بعينها إلى معابد تتجمع فيها الأقوام الجبلية لممارسات طقوسها الإحيائية وتجسد فيها الأساطير التي تمثل الأرواح والآلهة والأبطال .

وقد وصف ڤزال gsell الكهوف بأنها أماكن عبادة الجن والقوى فوق الطبيعية من طرف المغاربة القدماء [479]،ويذكر بلين الاكبر pline l'ancien[480] « إن أشخاص معروفين أخبروه أن جبال الأطلس في النهار تكون خالية من الناس ، اما في الليل فإنها تمتلئ بألف شعلة ويكثر الضجيج وأصوات الطبول والأنوار العديدة »[481] فهذا يدل على عبادة الجن والأرواح ، وكانت هذه العبادة لها علاقة بالأشجار المقدسة و منابع الماء والكهوف والجبال التي يدخل فيها الناس في اتصال مع الجن[482]، ويذكر هيرودوت أن الاوجليون (سكان أوجلة) يعبدون قوى العالم السفلى فقط[483] وقد يعنى ذلك عبادة الأرواح ،فلا شيء يمنعنا من الاعتقاد أن مثل هذا الأمر كان موجودا عند الرؤوس المستديرة وأنها كانت تتم في الملاجئ الجبلية ويتم تجسيد هذه الطقوس بالرسوم الصخرية.

---

[476]Jemes george frazer(1927) tabou et les périls de l'ame,trad:henri peyre ,librairie orientaliste paul geuthner, paris:p159

[477] Pierre Levèque (1981) « A-Propos Des Chasseurs Du Nil Et Du Sahara . La Pensée Des Chasseurs Archaïques »,Dialogue D'histoire Ancienne . 1981 , Vol :7 , N° 1 ,P44.

[478] M Hachid (1998) Op.Cit. P169.

[479]St Gsell (1927) Op.Ci, TVI, P 84

[480] بليني الأكبر ولد في سنة23م، لم يبق من كتبه إلا "التاريخ الطبيعي" مات في بركان فيزوف عام 79 .
ينظر:علي فهمي خشيم ،المرجع السابق،ص76.

[481] Pline L'ancien V, 7 .

[482] St Gsell (1927) Op.Cit.. P186.

[483]Pline L'ancien V,8.

اللوحة رقم 41 : مشاهد عبادة ذات طابع سحري في منطقة تين تاكالت tin takalt حيث شخصيات تدور حول تمثال في وفي الاسفل مشهد في صفار يمثل شخصيات يحملون أداة طقسية هم يدورون حول شخصية غريبة ،أما في الاسفل فالمشهد في منطقة صفار.



اللوحة رقم 42 : مشهد سحري في صفار المصدر;:hachid(1998) op.cit.p214,fig320,321

كما أن الرسوم الصخرية تؤكد وجود معلم بارز ألا وهو السحر الذي تمثله الشامانية و هي في الواقع تعتمد على مفهوم روحاني وهذا يدل على وجود ديانات روحانية إنتشرت في وسط الصحراء [484].

وفي معرض دراسته لأغراض ومعاني الفن الصخري يشير فابريزوموري F. moriإلى وجود السحر حيث يقول :« من الواضح انه في الصحراء كلما كان الفن مغمورا بمظاهر الشعور السحري الشعوذي والديني ، كلما نجد فيه الرقة والشعور الفني الذي يسيطر على تنفيذ العمل ،وإننا نجد أنفسنا أمام عالم روحاني تدور حوله كائنات مجسدة سواء كانت من الجنة أو ربوبيات أو من أبطال أريد تخليد ذكراهم بعد الموت [485].

يلجأ الساحر أو الشامان أثناء طقوسه المختلفة في مناطق مختلفة من العالم ومنها جنوب إفريقيا إلى استهلاك نباتات مخدرة وذلك للوصول إلى حالة النشوة، ويقول في هذا الإطار اندرو سميث إن بعض المشاهد الصخرية تعبر عن التغير في الوعي الناتج عن استهلاك النباتات المهلوسة[486] أوعن الرقص الطقوسي من أجل الوصول إلى النشوة ففي المرحلة المبكرة للهلوسة يرى الفرد عدد محدود من الأشكال الهندسية ،منحنيات شعيرات شبكية ،لوالب حلزونية متحركة ذات ألوان قوية ، دوائر ... ومع طول فترة الهلوسة الناتجة عن الرقص المكثف أو الجرعة الزائدة من الدواء (نباتات وأعشاب أو فطر) يدخل في مرحلة ثانية من التخيلات ذات طبيعة أشد تعقيدا ، حيث يتخيل أشكال معروفة ، أشخاص ، مناظر طبيعية ، حيوانات [487]، وقد أكّد ايمانويل أناتي أن ذوي الرؤوس المستديرة استعملوا مواد تغير الوعي في طقوسهم [488] .

فعند قراءتنا لهذه الآراء نتذكر بعض الصور التي لا تزال عالقة في الأذهان عن ممارسات الصوفية التي تتميز بالدجل ، حيث عند قبر الولي الصالح وفي يوم أو عدة أيام من السنة يجتمع المريدون من كل مكان ، ويقيمون احتفالات يقوم بعضهم بالرقص حتى السقوط ويزعم انه قد دخل في حضرة الولي الميت حيث يقوم أثناءها بسلوكيات غريبة ، لا تزال هذه الأعمال تمارس في مناطق من الجزائر والمغرب الأقصى ولها علاقة بنوع من السحر .

---

[484] J-Le Quellec (2008) Chamans… Op.Cit P255.

[485] بشي ،المرجع السابق ، ج4 ، ص 14 .

[486] اعتمد الباحثون علي قولهم بوجود نوع من المخدرات عند الإنسان في ما قبل التاريخ علي ما هو موجود عند بعض الشعوب الأصلية في أمريكا أو لدى البوشمن في جنوب إفريقيا حيث يستهلكون نباتات وأعشاب أثناء أداء الطقوس، وحتى الرقص المكثف مع أصوات الطبول قد يؤدي بالإنسان إلي حالة مشابهة لاستهلاك هذه الأعشاب المخدرة.

[487] اندرو سميث (2006) مدخل جديد للفن الصخري الصحراوي في مرحلة البقريات ، ترجمة اسامة ع الرحمان نور مجلة أركماني للآثار والأنتروبولوجيا السودانية ديسمبر2006 .

www.Arkamani.Org/Libyan -Préhishory/New-Opproch.Ch.Html.

[488]J-L Le Quellec(2008)Chamanes …Op.Cit.P236.



اللوحة رقم 43 : مشهد ذو طابع سحري في تان زوميتاك Tan Zoumaitak

المصدر: alain sèbe (1991) op.cit .p26

بالنسبة للشامانيين الكون يتكون من عالمين، فإذا كان الصيد غير وفير و إذا مرض بعض الناس أو أصيبوا فإن ذلك يعني عدم وجود انسجام بين العالم الحقيقي الذي نعيش فيه والعالم الأخر(عالم الأرواح) فيجب استعادة التوافق بين العالمين ، فينتقل الشامان بروحه (افتراضيا)إلى العالم الأخر للحصول على مساعدة الأرواح وحمايتها، لذلك فعليه القيام بأعمال سحرية على حد تعبير الباحث جون كلوت jean clottes[489] ،أما بالنسبة لإيمانويل اناتي الساحر أو الكاهن هو بمثابة العالم في القبيلة في مرحلة ما قبل التاريخ [490]

بينما يعتبر لويس ويليامز D. lewis – williamsوهو مختص في الفن الصخري لجنوب إفريقيا وأحد مبدعي نظرية الشامانية أن الكاهن أو الشامان أو الساحر هو نفسه الفنان وأن هذه الأعمال الهامة التي ينجزها يكون في حالة نشوة ،خاصة منها مشاهد الشخصيات النصف إنسانية نصف حيوانية [491]، هذا الفنان الساحر يمثل الرؤى التي تحدث له وهو في حالة النشوة وهي تمر بثلاث مراحل : المرحلة الأولى يرى أشكال هندسية وفي المرحلة الثانية هي نوع من الأشكال الهندسية التي تتحول الى أشياء مليئة بالحس ، المرحلة الثالثة يجد نفسه في عالم ملئ بالحيوانات وأشخاص والوحوش أو كائنات غريبة monstre حيث يتحول الشامان الى حيوان ، ويعتقد الباحثان جون كلوت j .clottes و لويس وليامس Lewis – Williams انه يمكنهم التعرف في الفن الصخري على الأقل على مرحلتين الأولى والثالثة ، حيث أن الأشكال الهندسية ومنها الدوائر والرموز اللولبية إلى نجدها في الرسوم الصخرية تمثل المرحلة الأولى أما المشاهد النصف إنسانية فتمثل المرحلة الثالثة [492].

وما يلاحظ هو العلاقة الوثيقة بين الشامانية والروحانية و السحر فهناك اتصال مع الأرواح بواسطة أشخاص يسمون سحرة أو شامانات، وبواسطة وسائل مختلفة مثل النشوةtranse ،فحالات تغير الوعي هذه يمكن أن تمكن من الاتصال بعالم غير مرئي لاستعادة التوازن والانسجام داخل المجموعات والإفراد [493].

فسر الباحثون بعض المشاهد التي تعود إلى الرؤوس المستديرة على أنها مشاهد سحرية يمثلها الساحر الذي يطلق عليه الشامان ، وتدل على السحر أيضا بعض الرموز والصور الغريبة ، بالإضافة إلى مشاهد الطقوس المختلفة ، ومن بين هذه المشاهد:

- مشهد في اونرحات : يمثل الساحر ذو قناع شبيه برأس بقرة وهو يمارس طقوسه السحرية و في مقابله توجد امرأة تنظرإليه (اللوحة رقم 18).

---

[489] اندرو سميث،المرجع السابق.www.Arkamani.Org/Libyan -Préhishory/New-Opproch.Ch.Html

[490] E Anati ,Op.Cit. P 12.

[491] Sophie A. De Beaun , Op.Cit.P214.

[492]Ibid.P215.

[493]F soleilhavaup(2000)art rupestre dans les tassilis:aux sources de l'animisme africaine, les : www.clio.fr.lettres de clio,septembre2000.

- مشهدفي منطقة ماتالان امازار matalen amazar[494] يمثل المشهد شخصية قضيبيةpersonage ithyphalique له ساقين منفرجين يبدوا في وضع طقوسي وهو مقنع بقناع مماثل لقناع شخصية اونرحات مع أذان كبيرة و قرون وريش والزوائد فوق الرأس كما أن جسمه كله مغطى بما يشبه رؤوس السهام أو الفطر تبعا لمختلف التفسيرات إضافة و يحمل في يديه رؤوس سهام او فطر .

3 -مشهد في منطقة وان بندي ouan bender يمثل ساحر القبيلة [495].

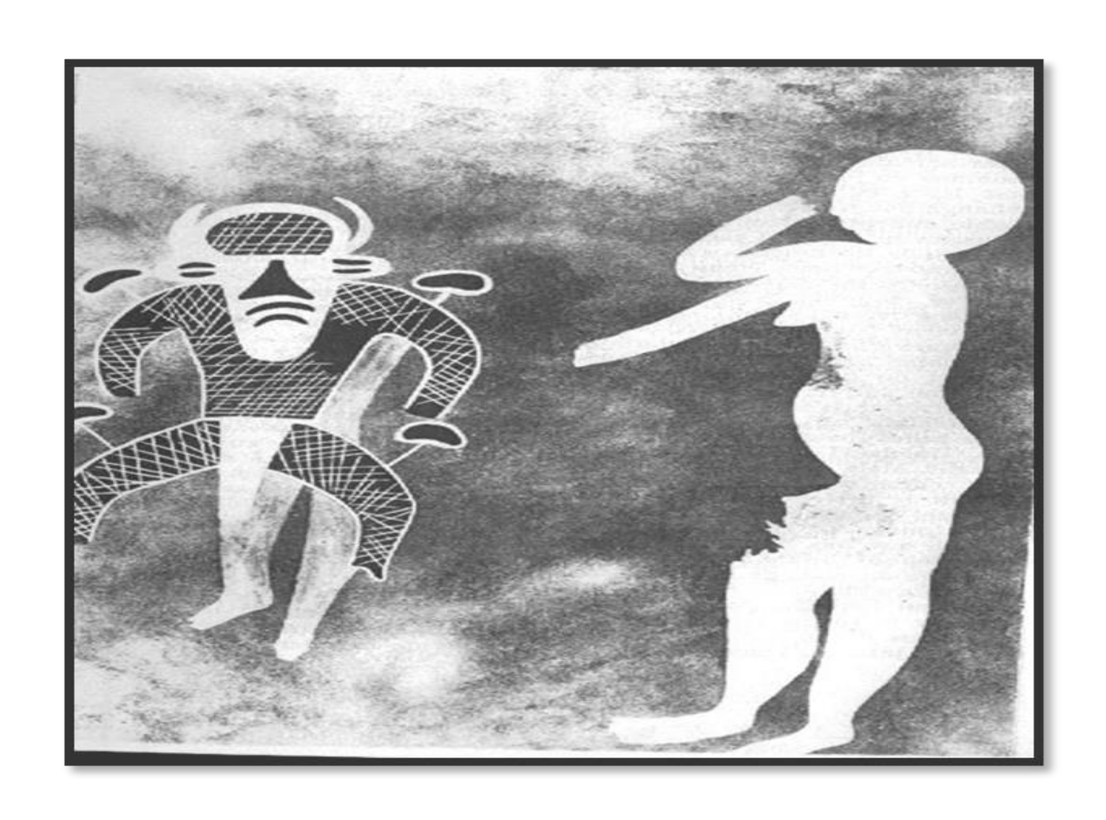
4- مشهد في صفار يمثل شخصية باسط يديه تشبه وضعية المصلى برأس صغير مقنع ولكن دوائر كثيرة ونقاط فوق الرأس [496] (اللوحة رقم 45).

5- مشاهد الشخصيات السابحة يفسرها بعض الباحثين على أنها تعبيرا عن رحلة الشامان بحثا عن الارواح[497]مثل المشهد المسمى "المرأة النائمة" في منطقة تين تزاريفت

tin-tazarift[498] ومشهد"السابحة ذات الصدر على الظهر" في أونرحات auanrhat[499](أنظر اللوحة رقم46).

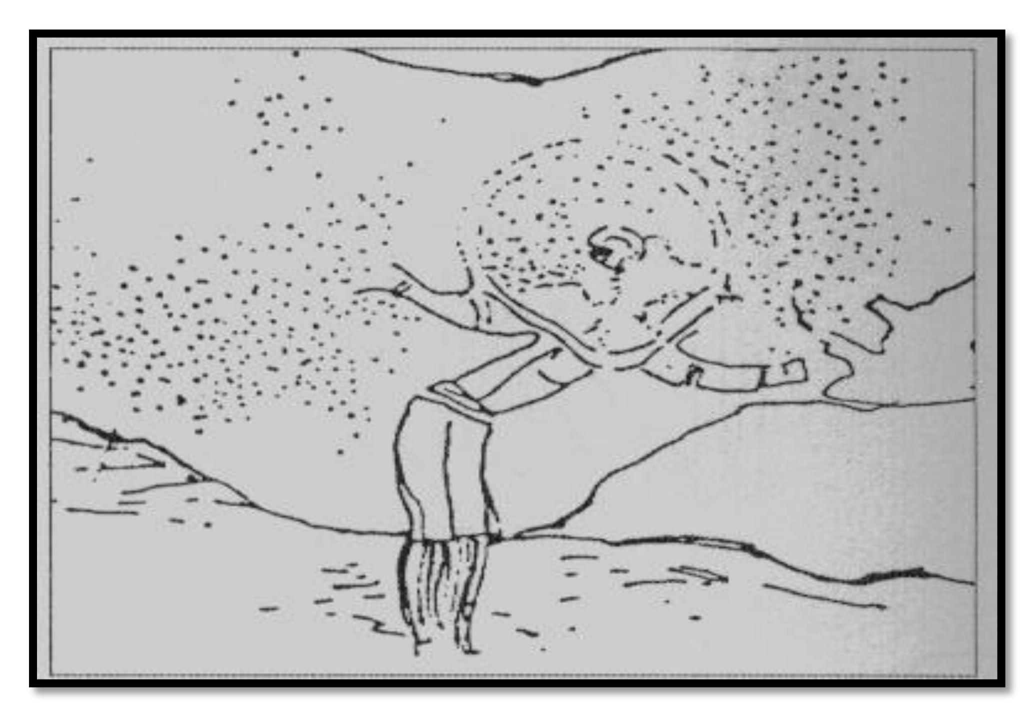
---

[494] J D Lajoux , Op.Cit. P58 .
[495]H Lhote (1976)Vers d'autre…Op.Cit.P92, Fig46.
[496] J- L Le Quellec (2006) Chamanes... Op.Cit.P239.
[497] F Soleilhavaup (1998) «Image Chamanique Dans L'art Rupestre De Sahara » l'Anthropologie ,Vol :34 ,N°3, pp 204-210.
[498] H Lhote (1958) Op.Cit. P120 Fig 45.
[499]Ibid. P88 Fig 36 .



اللوحة رقم 44 : مشهد الساحر في منطقة اونراحات

المصدر : H lhote(1958)op.cit. p 134 fig 55,p88 fig37

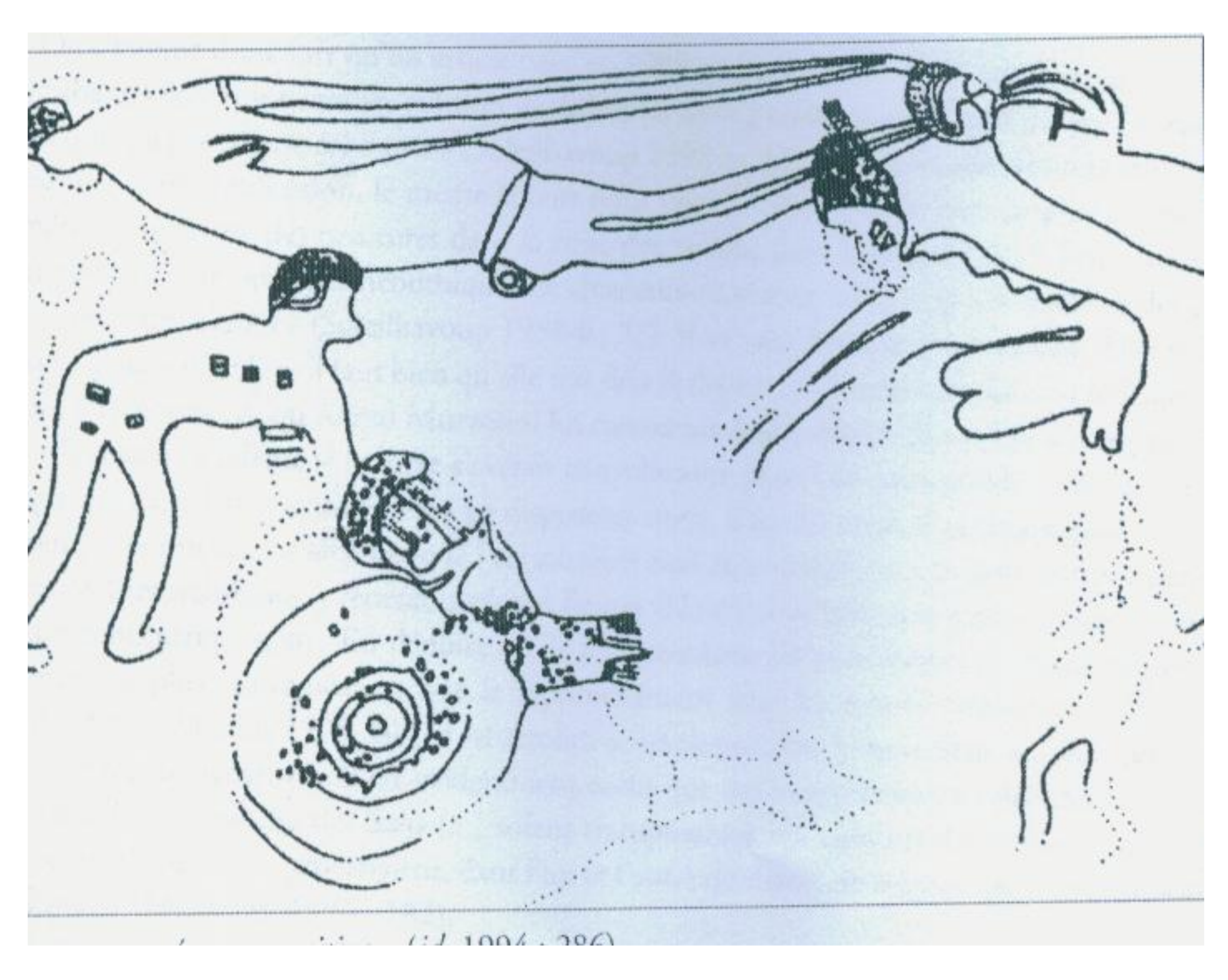


اللوحة رقم 45: مشهد الساحر في منطقة صفار

المصدر: J l le Quellec (2006)chamanes…op.cit. p239

فسر هذا المشهد على أنه يمثل الاضطراب البصري phosphène وهي وضعية تنتج عن استهلاك نباتات مخدرة حيث تضطرب الرؤية البصرية فيرى الإنسان دوائر،وقد فسر فرنسوا سولاهافوب الدائرة حول الرأس على أنها طبل الشامان.

وبالنسبة لي فإن المشهد يمثل طقوس إستدرار المطر ونستدل على ذلك بوجود نقاط كثيرة حول الرأس وحول الشخصية بصفة عامة، كذلك تواجد الجبال بالإضافة إلى وضعية الشخصية الذي يبسط ذراعيه وكأنه يستقبل قطرات الماء .(أنظر اللوحة رقم 45)



لوحة رقم 46 : آلهة أونراحات السابحة

إمرأة ذات حجم هائل وصدر على الظهر قد تكون آلهة الخصوبة فوجود نساء يصلين لها يدل على ذلك ، المشهد في منطقة أونراحات في الطاسيلي.

المصدر : Le Quellec.J L (1993), Symbolisme Et Art Rupestre Du Sahara, France: Edition Harmattan,p241



اللوحة رقم 47:الشخصيات النصف إنسانية في التاسيلي والأكاكوس

المصدر : J leclant .p huard .l .allard .haurd, op.cit.T1,p128

د-الأسطورة عند ذوي الرؤوس المستديرة :

تعرف الأسطورة بأنها من أهم مكونات الدين وهي تعبير عن مخيلته المجموعة البشرية وخلاصتها الثقافية ، يلعب الأبطال والآلهة أو أنصاف الآلهة دورا كبيرا فيها، والمشاهد الصخرية هي الشكل الوحيد الذي وصلتنا عن طريقة الأسطورة نظرا لانقطاع التواصل الحضاري مع شعوب ما قبل التاريخ[500]، فإن مؤثرات كثيرة منها المناخ والتأثيرات الحضارية والدينية أحدثت تغير جذريا وقضت على الرصيد الأسطوري للشعوب الصحراء كما أن انعدام الكتابة في ذلك الوقت ساهم هو الأخر في انقطاعنا عن ما قبل التاريخ ، مع كل هذا فإننا نجد لدى الطوارق اليوم القليل من العناصر التي يمكن أن نجد فيها رابطة وان كانت ضعيفة مع الفترات القديمة للإنسان الصحراوي.

واستقراء الرسوم الصخرية أمرا صعبا في ظل غياب الرصيد الأسطوري لتلك المجموعات البشرية ،واليوم لا تزال الأسطورة ملازمة للفن الصخري في كثير من مناطق العالم ففي إفريقيا نذكر أن السكان الأصليون في منطقة بحيرة فيكتوريا في كينيا وهم قبيلة الوسامو les wasamo يعتقدون أن الرسوم الصخرية هي من انجاز الأجداد ويعتقون أنها تحمل قوى خاصة، وفي أمريكا الشمالية في حوض كلاماتش جنوب أوريغن هناك أسطورة منتشرة بين السكان الأصليون مفادها أن بطل أسطوريا يسمى جيموكاماك gimokamac هو الذي أنجز الرسوم الصخرية [501].

والطوارق اليوم يعتقدون أن أجدادهم كانوا عمالقةوقد عاشوا في الوقت الذي كانت فيه الحجارة لينة ، ويسمونهم بأسماء مختلفة تبعا للاماكن التي يتواجد فيها الطوارق سواء في الصحراء الوسطي أوالجنوبية من هذه الأسماء: إجابارنijabbaren[502] ،وكلمة جبارين تعني العمالقة في لغة التمهاق[503] ،وهي تضم مشاهد المريخيين الجبابرة فهم اقرب إلى الآلهة منهم إلى الإنسان نظرا للحجم الهائل الذي يتميزون به .

ومن بين المشاهد التى تعبر عن الأساطير، نذكر :

- مشهد الإله المريخى في جبارين حيث نجد في إحدى الملاجئ الكثيرة الموجودة في هذه المنطقة الإله الكبير المريخي وهو شخصية هائلة علوه 6 أمتار[504] ، وتعتبر هذه الصورة من اكبر المشاهد المعبرة عن الأسطورة في العالم ، ويدل الحجم الكبير على أن هذا المشهد

---

[500] الحالات الخاصة التي توجد فيها تواصل حضاري بين ما قبل التاريخ والعصر الحالي هو ما نجده لدي الشعوب الأصلية في استراليا وأمريكا وجنوب إفريقيا وينبغي التعامل معها بحذر شديد لوجود مؤثرات حديثة بينهم.

[501] Alec Compbell . Jean Clottes .David Coulson (2007) Utilisation Moderne D'abrés Ornés Au Kenya Et en Ouganda : Inora ,n°49 , 2007 , P24.

[502] J L Le Quellec (1998) Op.Cit. pp 245 -246.

[503] H Ihote (1958) Op.Cit. P79.

[504] M Hachid (1998) Op.Cit.P142 .

يمثل خالقا أسطوريا يبدوا منفردا في المشهد فهو الخالق الأول الذي خلق الناس وقد ذكر هنرى لوت أن مشاهد المريخيين كثيرة في جبارين [505] لكن لا نجد احدهم يصل إلى ضخامة هذا المشهد (اللوحة رقم 77).

- مشهد الإله الصياد في صفار[506] : يمثل شخصية قضيبية ithyphalique هائلة الحجم له نفس شكل "الإله الكبير" في صفار ، والى يمين المشهد توجد ثلاثة ظباء صغيرة وبقرة ،مع شخصية إنسانية مقنعة وذات أذان طويلة وظبي كبير [507].

العناصر الأساسية لهذا المشهد هي: الإله ، المصلية والظباء وهي بلون ابيض وشخصية إنسانية مقنعة و صورة لبقرة، ومجموعة من الرموز منها الهلال العصا والسمكة ، يمكن أن يدل وجود الظباء البيضاء على التضحية ،وعلى العموم فان هذا المشهد يجسد الحيوانات المقدسة كالظباء والأبقار ويجسد المظاهر الأسطورية الممثلة هنا بالشخصية المقنعة وبالإله الكبير ،كما يجسد مظاهر متصلة بعبادة القمر المرتبطة مع هذا الإله.

من المشاهد المعبرة عن أسطورة أيضا نذكر مشهد يمثل هيولي كبرى شبه انسانية anthropomorphes في أوان بندي ouan bander وآخر في جبارين يصل حجمه إلى 6 أمتار حيث الصورة مرسومة في ممر ضيق ومظلم ، يمثل كائنا يلعب دورا كبيرا في أسطورة الخلق لدى الرؤوس المستديرة القدماء تسميه مليكة حشيد باسم "الروح العملاقة"[508] ، من المشاهد الأخرى أيضا حيوان غريب نصفهظبي ونصفه الآخر فيلالذي قد تمثل كائنا أسطوريا [509].

هذه المشاهدالغامضة ترمز إلى آلهة أوكائنات أسطورية بمظاهر هجينة إنسانية وحيوانية ، ونحن هنا نحاول بناء أساطير الخلق لديهم من خلال مجموعة من المشاهد الصخرية التي تركوها عالقة بين الصخور ومنها.

1- مشهد الإله الكبير في صفار : (لوحة رقم 76)

من خلال قراءة هذا المشهد يمكن أن نفترض أنه يعبر عن أسطورة متعلقة بالإله الذي خلق الكون ففي البداية خلقظبي واحد وامرأة واحدة ومنهم جاء الناس و الحيوانات.

ولعل المكان الذي يوجد فيه المشهد كان هو المكان الذي تقام فيه الطقوس حيث يقومون بإعادة تجسيد أسطورة الخلق كل يوم، ونعلم أنه من الصعب تحديد حياة هؤلاء الناس الذين عاشوا في صفار زمن هذه الأسطورة ، فوجود الظباء وهي حيوانات برية تدل على أنهم صيادين ولكن لا توجد مظاهر الصيد ، فيمكن أن يعبر عن الخصوبة ، وهي التي نجدها

[505] H lhote (1958) Op.Cit. P 80.
[506] J d Lajoux ,op.cit. P52 .
[507] A Muzzolini (1991) op.cit. P26 .
[508] M Hachid (1998). P191 Fig271.
[509] René Gardi , Julentha Neukum Tschudi , op. cit ,p12.

بارزة أكثر لدى الرعاة و المزارعون ، ومن الممكن جدا أن هؤلاء يمارسون اقتصاد مختلط بين الصيد والرعي وربما نوع من الزراعة الموسمية البدائية .

2- مشهد تين تزاريفت tin – tazarift[510] : المشهد يضم مجموعة كبيرة من الأبقار وحيوانات أخرى صغيرة قد تكون ظباء أو أروية ،بالإضافة إلى رمز كبير متعدد الألوان ورمز أخر شبيه بأقنعة صفار،والشيء المميز في الأبقار أن أرجلها غير مرسومة [511] ،فقد فسر الباحث أمادو حامباتى با Amadou hampaté bà هذا المشهد على انه طقوس ليتورى rite lotori التي تمثل قصة أسطورية عن بداية استئناس الأبقارعند الرعاة الفولانيpeuls مفادهــا : «أن الحيوانات تطورت في الماء وأعضاءها السفلى لم تظهر بعد ، أول بقرة مستأنسة ولدت حسب الأسطورة من بركة ، والطقوس التي تمثلها تحدث في الماء »[512] (اللوحة رقم 48).

وبفضل هذا الباحث ذو الأصل الإفريقي حلت بعض طلاسم الرسوم الصخرية في الطاسيلي فهذا المشهد يمثل أسطورة من أساطير الخلق في الطاسيلي ، وعلى العموم فان دراسة الكثير من المجتمعات الإفريقية التي تتميز برصيد أسطوري يمكننا من تفسير بعض المشاهد التي لا تزال غامضة .

---

(510) H Ihote (1958) op. cit. P 120 Fig46

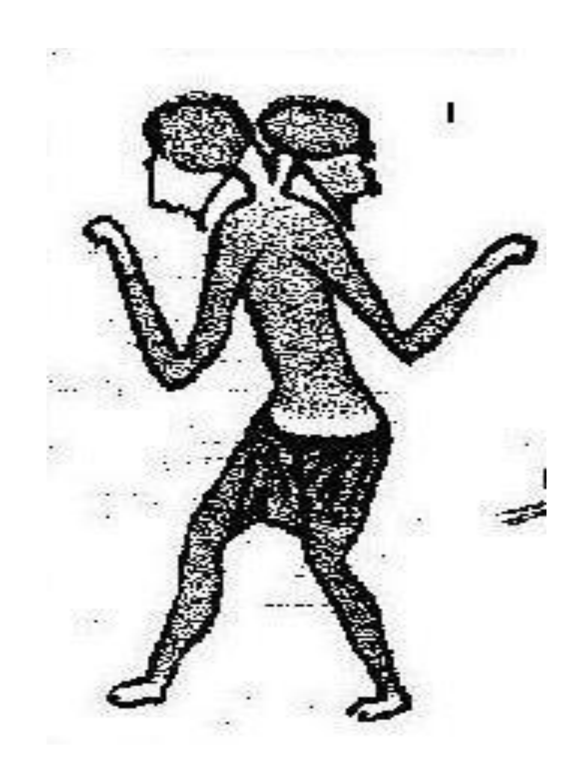
(511) Pietro Laureano (1991) Sahara Jardin Méconnu,paris: Edition Larousse, P80.

(512) Dieterlen G & Amadou Hampaté Bâ (1966) «Les Fresques D'époque Bovidienn Du Tassili-N-Ajjer Et Les Traditions Des Peuls Hypothèse, D'interprétation.» J.S.A, Vol:36p155.

اللوحة رقم 48: طقوس متعلقة بالأبقار في تين تزاريفت

فسرت على انها تشبه طقوس لوتوري lotori ضمن أسطورة الكومن kumen الموجود لدى الرعاة الفولاني المصدر: M hachid (1998) op.cit. p231





لوحة رقم 49 : رجل برأسين في الطاسيلي

إن الصور التي تمثل شخصيات إنسانية برؤوس حيوانات قد تحمل تفسيرات مختلفة ، فهي من جهة إذا كانت مرتبطة مع حيوانات فيمكن أن تعبر عن الصيد ، حيث يتنكر الصيادون بقناع حيواني ليتمكنوا من صيد الطريدة ، ولكن مثل هذه المشاهد قليلة في الطاسيلي ، و حتى إن وجدت هذه الصور فإن عدم وجود أسلحة ينفي عنها موضوع الصيد ، فيمكن أن تحمل تفسيرا أخر وهو كونها كائنات أسطورية ووجودها في المشاهد يكمل الأسطورة ، فنحن نعلم أن معظم شخصيات الأساطير لدى جميع الشعوب القديمة تحتوي على هذه الشخصيات التي تملك صفات حيوانية، فكل الآلهة المصرية هي بجسم إنسان ورأس حيوان .

نجد هذه الشخصيات برؤوس لحيواناتابن آوى chacal في الطاسيلي خاصة في وادي جرات[513] وهي مرتبطة بمشاهد جنسية ،ونشير إلى أن النساء ذوات حجم كبير وهن مقنعات بقناع يمثل رؤوس للكلبيات ، إلى جانب الكلبيات هناك أيضا رؤوس ظباء وطيور وحتى قطط و بشكل قليل وحيد القرن، الفيل، حمار الوحشي وأكثر هذه المشاهد هي في نقوش وادي جرات[514].

وهذه الكائنات الأسطورية ليست خاصة بالطاسيلي حيث نجد أمثلة عنها في الهوقار وفي هضبة المساك ، وهذه الأخيرة تمثل نوع من التناقض مع منطقة وادي جرات من حيث نوع الحيوانات وطبيعة المشهد وموضوعة ، ففي هضبة المساك نجد حيوان الكلب البري lycaon[515] والمشاهد هنا مرتبطة خاصة بموضوع جنسي ، أمافي وادي جرات الحيوان الممثل هو ابن آوى chacal .

وتوجد في الطاسيلي مشاهد أخرى تمثل حيوانات متعددة الرؤوس[516] ،خاصة الأبقار ثنائية الرؤوسbicephales وحيوانات أخرى في جبارين وتين تزاريفت tin tazarfit، أما في أوان بندي ouan banderفنجد نعامة متعددة الرؤوس pluricephales[517] وهناك مشاهد أخرى لزرافات برأسين في تين تزاريفتtin tazarfit[518]وفي تيمنزوزتن توجد

---

[513] الجزء الأكبر من هذه المشاهد موجودة في نقوش وادي جرات التي اختلف الباحثون في إسنادهاإلى مرحلة الرؤوس المستديرة ، بينما توجد مشاهد مماثلة ولكن بصفة اقل في الرسوم الصخرية مثل الشخصية برأس كلب في منطقة تيمولاسي في الطاسيلي ، ينظرAlain Sèbe ,Op.Cit.P182 :

[514] Henry Pernet (1988) Mirages Du Masque,Suisse :Paper Back,paris : Editions Labor Et Fides , P3

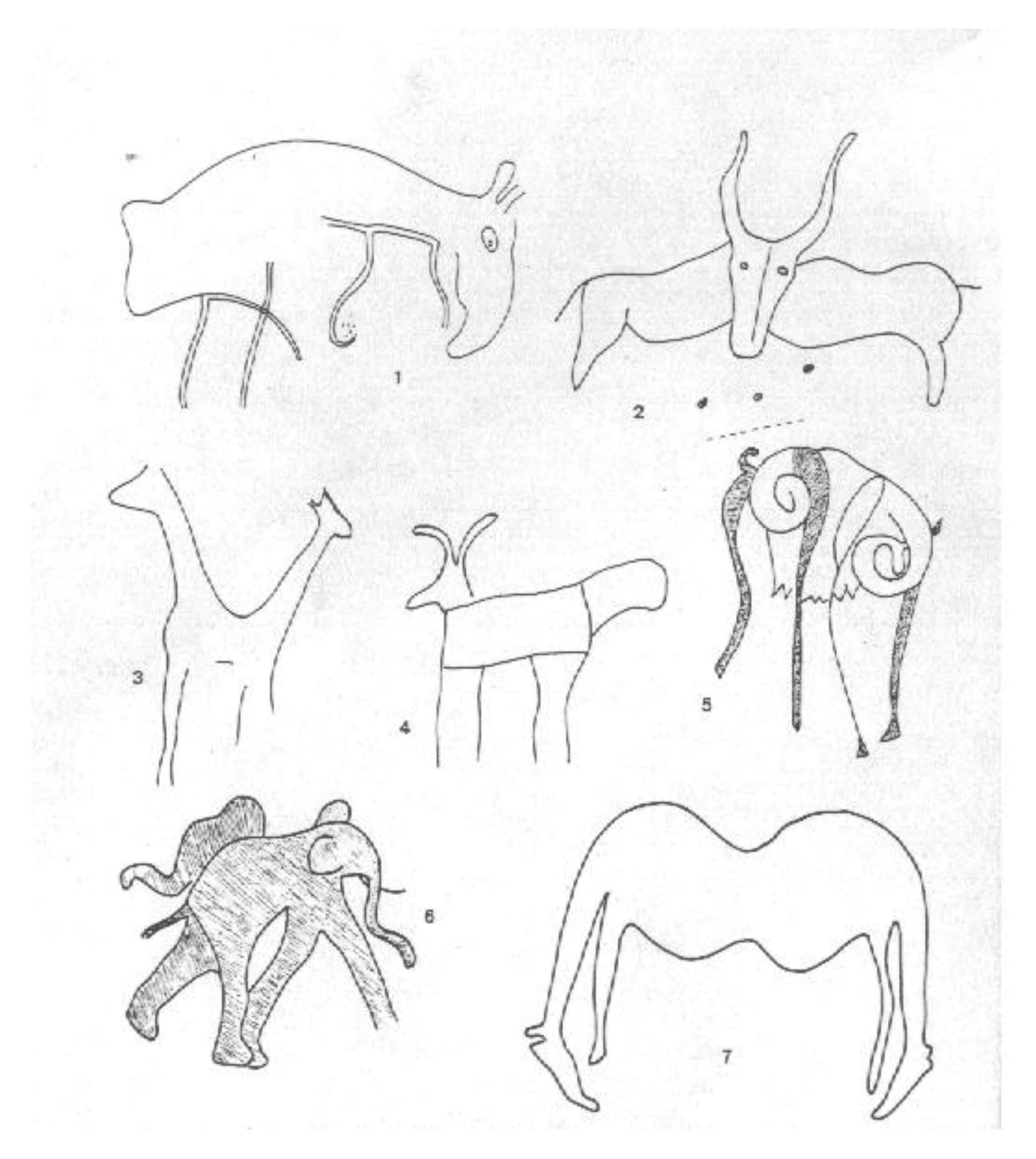
[515]J-L Le Quellec (2007) «Ni hommes…»op.cit.p62

[516] يربط الباحث حامباتي با Hampaté Ba، بين مشاهد الأبقار متعددة الرؤوس مع أساطير الفولاني ينظر :
Dieterlen G & Amadou Hampaté Bâ , op.cit , P152.

[517]H lhote (1966) «Les Peintures Pariétal D'époque Bovidienne Du Tassili Eléments Sur La Magie Et La Religion»,J.S.A. 1966 ,Vol:36 , n°1 , P 17 , Fig1.

[518] loc.cit.

زرافات بثلاثة رؤوس ولها قدمين فقط ، وفي مشهد آخر نجد أبقار وماعز بأذان وبدون قرون في إن اتينان in – itinen[519].



لوحة رقم 50: مشاهد لحيوانات متعددة الرؤوس في مناطق مختلفة من الطاسيلي

[519] H lhote (1966) ,Les Peintures Pariétal...p18.

لكن الصور المتواجدة بكثرة هي الأفاعي الأسطورية المتعددة الرؤوسوهي هائلة الحجم نجدها محاطة بالأبقار ، وعموما فان هذه الكائنات لها معاني روحية في العديد من الأساطير لدى الشعوب القديمة ، ونحن لا نتفاجأ في رؤيتها في الرسوم الصخرية بالطاسيلي،لأنها الأخيرة تحضى بدور كبير في القصص الأسطورية ضمن مخيلة شعوب شمال إفريقيا على حد تعبير الباحث قابريل كامسG. camps الذي قال أيضا إن نوع من عبادة الأفاعي"مورست في العهد الروماني في بلاد المغرب [520].

من تلك المشاهد نذكر في جبارين مشهد يمثل بقرة محاطة بشكل أفعواني ذو رأسين ، وفي الجهة اليمنى لهذا المشهد نجد مشاهد رقص طقوسي [521]الراقصات تحيط بهن أفعى في شكل دائرة ، فهل يتم التضحية بالبقرة وفق طقوس خاصة مرتبطة بإله أسطوري له شكل أفعى متعددة الرؤوس ؟(اللوحة رقم 84).

وفي نفس المنطقة توجد بقرة محاطة بأفعى ذات ستة رؤوس ، وفي تين تزاريفت tin tazariftتوجد بقرة ثنائية الرأس bicephales الى جانب أفعى ويظم المشهد ايضا نساء [522] ،فوجود الأبقاروالأفاعي متعددة الرؤوس والراقصات تدل على طقوس دينية معينة قد تدل على عبادة نوع من الأفاعي وهذا يذكرنا بما نقله هيرودوت عن قبيلة البسيل psyiles وعاداتها الغريبة مع الأفاعي[523]،وقد ذكرهيرودوت أفاعي أسطورية عملاقة في المنطقة الواقعة غرب بحيرة تريتون [524]،وهذه المنطقة هي السرت الصغير و خليج قابس [525].

من جهة ثانية فإن مليكه حشيد قد ذكرت مشاهد مماثلة في تين تزار يفت tin tazarift ووان درباون ouan derbaounعلى أنها تمثل احتفالية طقوسية تسمى ليتوري lotori وهي متواجدة لدى الفولاني الرعاة الهدف منها هو حماية القطعان من الأمراض والعقم والطقوس تقتضي بعبور القطعان عبر بوابة سحرية في شكل حرف 'U' (اللوحة رقم 32)

وبالنسبةللباحث أمادوا حامباتى با A. Hampaté- Bâ هذه الأسطورة الممثلة في الرسوم الصخرية هيالنسخة الأصلية لأسطورة موجودة لدى الفولاني ،و البوابة في الحقيقة هي

---

[520] G Gamps (1988)op.cit. P209 .
[521] H lhote (1966) op.cit.P 9, Fig 1.
[522] Ibid. pp 9, 12,Fig1.
[523] أنظر ما سيأتي في موضوع الطقوس.
[524]Hérodote ,IV,191
[525]gsell(1915)hérodote texts relative à l'histoire de l'afrique du nord,Alger typographie adolfe jourdan:p79 ,gsell(1927)op.cit.p141.

الأفعى تيانابا tyanaba[526] وهي كائن أسطوري لها مكانة هامة في معتقدات الفولاني مكلفة بحماية القطعان وهي ذات 6 رؤوس[527].

تعبر هذه المشاهد عن طقوس سحرية كما نجد في منطقة أوان دربان Ouan derbaoun مشهد آخر تظهر فيه بقرتين إحداهما باللون الأصفر مع دارة بيضاء والثانية بيضاء ووجد مع البقرة البيضاء ثلاثة حيوانات أفعوانية الشكل animaux serpentiformesتحيط بها من جهة الظهر والخلف فهذه الأشكال إنما تمثل حماية سحرية للأبقار [528]، وقد لاحظنا سابقا أن اللونين الأصفر والأبيض لهما علاقة بالسحر كما أن العديد من صور الأبقار منقطة وهى رموز سحرية أيضا[529].

وما يلاحظ هنا أن مناطق تين تزاريفت tin tazarift جبارين jabbaren واوان درباون ouenderbaoun ،توجد فيها مشاهد الحيوانات الافعوانية مع الأبقار ثنائية الرؤوس، وهذه المواقع الثلاثة ليست بعيدة عن بعضها البعض فقد سادت فيها جميعا معتقدات سحرية تتعلق بحيوان أسطوري وهو نوع من الأفاعي بقرون أو أذان وفي بعض الأحيان ثنائية أو سداسية الرؤوس ، و تقول في هذا الاطار الباحثة ج . داترلانGDieterlenأن حيوان أسطوري متعدد الرؤوس يسمى تاناهاوتtanenhouet موجود لدى الفولانى [530] وهوما جعل مليكة حشيد تعتقد أن بعض من مشاهد الطاسيلي يمكن أن تعود لأوائل الفولاني protopeulsوأن طقوس لوتوري lotori[531]مجسدة في مشاهد وان درباون ouen derbaoun وتين تزاريفت tin tazarift[532].

ويشرح الباحث حامباتى با هذه الأسطورة بأن أفضل بقرة لبونة تقود القطيع وهي ذات ستة رؤوس ، هذه الرؤوس الستة لها علاقة مع ستة أولاد لكل من كيكالا kikala ونيقاراnegara وهو زوجان من البشر خلقهم القينوا Guéno[533](اله الفولاني)،وتوجد أساطير مماثلة لدى الدوغون dogon[534] ،فالإله التقليدي للدوغون يدعى العاما

---

[526] "تيانابا" كائن أسطوري له شكل أفعى ، تقول الأسطورة أن هذه الأفعى خرجت من المحيط مع 22بقرة أعطاها "الإله القينوا" guéno للناس في الأرض وفي الرحلة الطويلة لها تضاعفت أعداد الحيوانات، ينظر:
Hampaté Bâ, G Dieterlen & A , op.cit.p146.

[527] M Hachid (1998). P233 Fig349.

[528] Ibid . P 11 .

[529] أنظر ما سيأتي، في موضوع الطقوس .

[530] Ibid .P14 .

[531] لوتوري هي طقوس إحتفالية ُتجسد كل سنة من طرف الرعاة الفولاني في موعد يحدد بواسطة الأشهر القمرية يشرف علي هذه الطقوس زعيما دينيا كبير وتستمر الطقوسمدة 15 يوما وتتم حول بحيرة أو وادي حيث يتم فيها استحمام جماعي للناس والحيوانات، ينظر:G Dieterlen & A Hampaté Bâ,op.cit. pp 147-148

[532] M Hachid (1998).op.cit. P237 .

[533] القينوGuéno هو الإله الخالق الأوحد لدى الفولاني خلق العالم ،ويقال أنه قد خرج من قطرة حليب،ينظر :
G Dieterlen & A Hampaté Bâ, op.cit.p146.

[534] H. Ihote (1966) op.cit..P14.

Ammaخلق أول إنسان وأول حيوان وله ثمانية أولاد ، السابع منهم يتحول إلى أفعى ، ويعتقد الدوغون أن هذه الأفعى لا تموت أبدا ويسمونها النومو Nommo[535].



المصدر: M hachid (1998) op.cit . p 349

اللوحة رقم 51 : مشاهد طقوسية لرعاة الأبقار في منطقة وان درباون Ouan Derbaounيحاول الرعاة جعل الأبقار تمر عبر بوابة في شكل حرف U فسرت على أنها الأفعى تيانابا tayanaba حامية القطعان عند الفولاني.

[535] Daniel Elanord (1989) « Les Dogon Culte Des Ancêtre Et Danes Masque»Les Cette De Clio 1989 ,.http://www.clio.fr.

هـ- الطـــــقوس

إن الاحتفالات الطقوسية لها مكانة هامة في الحياة الاجتماعية للشعوب البدائية[536]، وهذا ما نجده عند الرؤوس المستديرة حيث تكثر المشاهد المعبرة عن الطقوس الاحتفالية، وهي في شكل مشاهد رقص طقوسية ، فلا شك أنها ذات هدف ديني أو سحري رغم أن معالمها الأساسية غائبة عنا اليوم .

يختلف الرقص ومظاهر الراقصين باختلاف الطقوس وموضوع الاحتفال ،وهؤلاء الراقصين يتخذون زينة وديكور مختلف من أقنعة أو تزينات جسدية وحتى الأدوات التي يحملونها تعبر عن التنوع الثقافي في حضارة التاسيلي .

ومن بين مشاهد الرقص الطقوسية نجد في صفار مشهد يمثل مجموعة من الرجال والنساء ببهرجة عالية ينفذون رقصة طقوسية [537]، تطلق الباحثة مليكة حشيد على هؤلاء الراقصين اسم ألمسارين"initié[538]، ونجد الرقص الجماعي المختلط في أسلوب الشياطين أيضا وقد تكون طقوس رقص من أجل الصيد .

ومن بين مشاهد الرقص الطقوسي نذكر :

1- مشهد في تين تزاريفت [539]يمثل راقصين في وضعية رقص طقوسي مقنعين بقناع شبيه بقناع صفار مع حلاقة في شكل القبعة الكبيرة ويحملون في أيديهم شيئا يشبه رؤوس السهام حسب ميشال توفرو tauveronM[540] او الفطر الذي يؤدي استهلاكه إلى الدخول في النشوة حسب جورجيو ساموريني[541]والمشهد غني بالرموز فهم محاطين بسلسلة خطوط ودوائر صغيرة مرتبطة مع بعضها في شكل عقد كبير فوق رؤوسهم ، ورمزا آخر فوقهم يمثل أنصاف دوائر متصلة تعطى لمشهدهم طابع سحريا .

2- مشهد في تين تاكلت tin tekelt[542] يمثل مجموعة من الراقصين يحملون أداة تشبه القرن الطويل وهم يدورون حول شخصية شديد الغرابة ،فهو ذو بطن كبير ورأس صغيرة وقرون ويديه مرفوعتين في وضعية المصلي من الممكن أن يكون شخصية أسطورية أو إله له رقبة طويلة وسيقان رقيقة (اللوحة رقم 41)،وهناك مشهد مطابق له في صفار حيث نفس الشخصية الأولى تقريبا (اللوحة رقم 42).

---

[536] Lucien Lévy –Brühl (2007)le surnaturel et la nature dans la montalité primitive,paris: EditionFlammarion.p83.
[537] M Hachid (1998) op.cit .P203 Fig295 .
[538] ibid. P201 , Fig 288. 298 .
[539] J D Lajoux , Op.Cit. pp56-57.
[540]Michel Tauveron ,op.cit.p163
[541] J- L Le Quellec (2006) Chamanes...Op.Cit. P237.
[542]M hachid (1998)op.cit .p214. fig 220-221

وطقوس المسارة rite d'initiation تبدوا مجسدة في المشاهد، والمسارون هم العارفون بالإسرار السرية الباطنية [543]،وطقوسهم متنوعة منها المسارة الدينية initiation religieuse، حيث يتم اختيار الأفراد الذين يتلقون الأسرار الدينية وفق طقوس صارمة قد تمتد لعدة سنوات، ونجد أمثلة عنها في المجتمعات ذات الديانات الروحانية، حيث يقوم الكاهن أو الساحر بتلقين أتباعه الأسرار الدينية،كما توجد المسارة الاجتماعية ومنها طقوس البلوغ أو الدخول في عالم الرجال بالنسبة للشباب وعالم النساء بالنسبة للفتيات ويدخل في ذلك تعليم طرق الصيد وأساليبه ومن بين أشكال المسارة نذكر أيضا معرفة أسرار الحياة والموت والأسرار الاجتماعية[544].

ومن بين المشاهد المعبرة عن المسارة المشهد الذي سماه هنري بروي l'abbé brueil باسم "جوزفين تباع من طرف إخوتها" حيث يمثل مجموعة من النسوة يدفعن فتاة إلى رجل، وهويجذبها إليه من يديها رغم مقاومتها له ،وهؤلاء النسوة يديرون رأسهم إلى الوراء وكأنهم يشعرون بالأسى على فعلتهن [545].

وفي منطقة أوان تاماوت uan tamouat في الأكاكوس، يمثل المشهد رجلين يبدوا عليهم أنهم سحرة يدفعان فتاة إلى عجوز كبيرة، والفتاة لها نفس لباس وحلاقة وملامح العجوز فالهدف هو تعلم الأسرار الدينية من هذه العجوز[546]، وهناك مشهد آخر في جبارين ُيظهر مجموعة من الرجال متحلقين حول شخص يتعلمون منه الأسرار الدينية [547].

ومشاهد المسارين initiés قليلة في المرحلة الأولى التي تمثل الآلهة الكبرى، على عكس المرحلة المتطورة التالية[548]، مما يدل هذا على تحول في العبادة من الآلهة الكبرى إلى الاعتقاد بوجود الأرواح وسيطرة السحرة على المجتمع، وهذا يطرح فرضيتين،الأولى وهي التنوع البشري نتيجة الهجرات المتوالية بحيث ذهبت أقوام وحلت محلها أخرى لعوامل المناخ[549] بدرجة أولى، الفرضية الثانية هي أن يكون التصنيف الكرونولوجي لأسلوب الآلهة الكبرى في مرحلة متطورة وليس في المرحلة الأولية.

---

[543] إن الأسرار الدينية لا تتواجد فقط لدي أتباع الديانات الوثنية، ولكننا نجدها في بعض المذاهب الإسلامية، فلدى الشيعة هناك مراتب كثيرة للدعاة الذين يتلقون الأسرار الدينية.

[544] Pietro laureano,op.cit. p 80.

[545] René grandi .julanthe neukom tschud, op.cit.p30.

[546] Hg hugot, (1974)op.cit.p159

[547] Abdelaziz farrah ,op.cit.p 323.fig 415.

[548] M hachid (1998)op.cit .p217.

[549] تظهر الرسوم الصخرية مجموعات ذات حلاقة غريبة يبدوا أنهم أجانب في منطقة تيسالاتينtissalatine، فهم يختلفون عن المجموعات ذات الحلاقة المعروفة مثل قضاة السلام ، مما يدل علي الهجرات والتنوع البشري الذي شهدته الصحراء في العصر الحجري الحديث.،ينظر.alein sèbe ,op.cit.p182

تدور هذه المشاهد حول بعض الشخصيات والتي يسميها فرنسوا سولاهوفوجون لوكلاك وغيرهم من الباحثين باسم الشامان بينما يسميهم هـ. ج هوجو h ghugot باسم الساحر[550]،ومن الممكن أن يكونوا نساء يبدون في شكل مصليات أو راقصات أوكاهنة لدى الدوغون في مالي يمتلك الساحر قوى فوق طبيعية ، فيمكنه التحول في نظرهم إلى أي شيء يريده، مثل شجرة أو حيوان ويمكنه أيضا أن يحدث الرياح أو يقلب الليل نهار[551]

من جهة ثانية المشاهد التي تمثل شخصيات تلمس حيوانات برية قد تكون معبرة على طقوس التلقين initiation وهي تدخل ضمن مسار الأولاد نحو سن البلوغ لإعطاء الشباب الشجاعة أمام الحيوانات[552]، كما قد تدل على عبادة هذا الحيوان ففي مصر تصور الآلهة "نوت"على شكل بقرة كبيرة يلمسها عدد كبير من الأشخاص في كل أنحاء جسمها خاصة الجهة السفلية من الجسم[553] (اللوحة رقم 40).

طقوس التلقين نجدها لدى الكورومبا korumba في بوركينافاسو يؤديها المقنعون بروؤس الطيور[554]،أما السينوفو senoufo في ساحل العاج فهم يرتدون قناعا برؤوس كلبيات[555] ،ويقومون برقصاتهم وهم شبه عراة ،فنجد خصائص مشتركة بين هؤلاء الأقوام وبين الرؤوس المستديرة ،يدل ذلك على احتمال وجود أصول مشتركة حيث أن مرحلة الجفاف أجبرت شعوب الرؤوس المستديرة والبقريات على التحرك شرقا وجنوبا وشمالا فنشروا حضارتهم بين المناطق التي وصلوا إليها ونجد التشابه خاصة لدى الدوغون والفولاني [556] (الشكل رقم 32).

يبقى التساؤل حول دوافع الطقوس؟ و نوعها؟ لا يمكننا الإجابة على هذا السؤال إلا بمعرفة ديانات وطقوس بعض الشعوب الإفريقية التي تعتمد على الصيد أو التي لها نمط حياة مشابه للرؤوس المستديرة .

فالنشاطات الطقوسية منتشرة بشكل كبير في الثقافات الإفريقية ،والرقص في إفريقيا له علاقة بالدين حيث تصاحب الطقوس حياة الفرد من ولادته حتىوفاته ،وهي تعرف بطقوس العبور rites de passageتبدأ من الولادة واسم الطفل الذي تكشفه الأم أثناء الطقوس، ثم من الطفولة إلى المراهقة إلى الرجولة تمر عبر طقوس المسارة initiationوطقوس الزواج

---

[550]Hg hugot(1974) op.cit.p159

[551] Memel foté harris,op.cit.p40.

[552]J- l le quellec (1993) «Scènes de taurokathapsia au Sahara central.». In Calegari (Giulio). (Ed.), *L'arte e l'ambiante del Sahara preistorico: dati e interpretazioni*. Milano: Mem. Soc. It. Sc. Nat, 26, 2,. p 323.

[553] ياروسلاف تشرني ،المرجع السابق ، ص59.

[554]danse d'Afrique .textes de claude savary,paris: Edition de chêne(1994) Michel huet hachettelivre, p47.

[555] Ibid. p 58.

[556] Pietro laureano ,op.cit. p111.

،وعند الموت توجد الطقوس المدفنية التي تسمح بعبور الميت إلى الأجداد[557]، ومعظم تلك الطقوس هي عبارة عن رقص يرتدى فيها الراقصون لباس به الكثير من الرموز كما يضعون أقنعة ويحملون أدوات موسيقية وأدوات للسحر،وتوجد دائما حيوانات للتضحية[558](اللوحة رقم 33).

لدى الفولاني peuls وهم الرعاة في غرب إفريقيا تعد فترة بداية الأمطار مناسبة للاحتفال ،حيث يجتمع البدو في ساحة للرقص والغناء يصطف الرجال من جهة والنساء من جهة أخرى وهم يحملون حبال في أيديهم[559] وينفذون رقصة في صف مشابهة لما هو موجود في الرسوم الصخرية في منطقة صفار(اللوحة رقم 32) .

وقد أحصى ميشال توفرو 10 لوحات تمثل رقص في صف لمجموعة من الشخصيات مثل مشهد وادي إيكي في الأكاكوس و مشهد صفار ، من بين 104 لوحة تمثل الرقص[560] ، فالعديد من مجموعات الرؤوس المستديرة طقوسها مشابهةلما نجده عند بعض المجتمعات الإفريقية ذات الديانات الروحانية مثل الدوغون والبامبارا في مالي و السنوفو في ساحل العاج ، فمثل هذه المشاهد تعبر عن البعد الإفريقي لفن الرؤوس المستديرة[561].

طقوس أخرى مختلفة عن هذه نجدها في تين أبوتيكا tin-aboteka حيث يحمل الأشخاص أدوات تشبه الفطر[562] ،و يؤدون حركات ذات نسق rythme ، مع وجود الأقنعة و التزينات الجسدية و وجود أبقار بيضاء في الأسفل و عدد من الظباء ،فمشاهد الرقص هذه ذات طابع السحري .

و نجد مشاهد الرقص السحري أيضا في "مشهد الساحر" في إن أونراحات in awanrhatوما تالان أما زاز matalen amazar (اللوحة رقم 18)، مع وجود تزينات جسدية و نوع من الأشكال التي تشبه الفطر تغطي الجسم ، و أقنعة خاصة تدل أيضا على طقوس سحرية يقوم بها هؤلاء السحرة [563].

وأشخاص ذوو حلاقة ومظهر غريب في تان زومتياك و في تاشيكلاوت هؤلاء كلهم لهم علاقة بمظاهر و طقوس سحرية ، تدل على أن مناطق مختلفة من التاسلي قد شهدت وجود ديانات ذات طابع سحري بحيث تؤمن بوجود الأرواح و يسيطر على المجتمعات السحرة.

---

(557) Michal huet,op.cit .p18.
(558) Ibid. p21.
(559) Ibid pp 26-29.
(560)Michel Tauveron,op.cit. p165.
(561)Ibid.p 165.
(562) J d lajoux ,op.cit.p 55.
(563)Ibid.pp 58-59.

بالإضافة إلى طقوس الرقص توجد طقوس غريبة مرتبطة بأبقار مقدسة ،حيث تظهر مجموعة من الأشخاص تحيط بالحيوان سواء في النقوش أو الرسوم الصخرية ، ففي تين هناكتن يوجد مشهد لثور محاط بـ 6اشخاص أحدهم يحمل عصا ونجد في المشهد شخص يقفز على ظهر الثور وآخر يتحضر لتنفيذ نفس القفزة واثنين آخرين قرب رأس الحيوان[564] ويبدوا ان تلك الشخصيات في وضعية رقص طقوسي ،فهل هي طقوس سحرية كمقدمة للتضحية بالحيوان ؟(اللوحة رقم 36)، ونجد مشاهد مشابهة في وادي ماثندوشwadi mathenduche ،وفي وادي زردةwadizerda ،وفي نقوش وادي إساغان wadi isaghan وكل هذه المناطق في فزان [565].

مشاهد لمس الأبقار والقفز فوقها موجودة أيضا في منطقة صفار حيث يوجد مشهد يمثل عدد كبير من الشخصيات الصغيرة تقفز فوق الأبقار، تدل هذه المشاهد على ملامح أسطورية غير معروفة ويمكن أن تكون معبرة عن أسطورة ما متصلة بالأبقار لا تزال معالمها غائبة عنا ، ولا نستبعد كون المشهد له علاقة بعبادة الأبقار، وفي منطقة تراشورى trachoriنجد ما يقرب من 30شخصا يحيطون بثور ،من بينهم مجموعة من النساء تلمس الثور من أنحاء جسمه المختلفة ،فهذا المشهد والمشهد السابق في تين هنكاتن تدل على عبادة الابقار المقترنة بخصوبة النساء[566]، وهو ما نجد مثالا عنه في صورة الآلهة المصرية "نوت" [567](اللوحة رقم 40).

وفي الواقع فان عبادة الابقار كانت منتشرة في أنحاء مختلفة من العالم خاصة من العصر القديم ،ففي مصر الآلهة "حتحور" hathor (اللوحة رقم 28)كان يرمز إليها بالبقرة وقد سبق لنا الحديث عن الإله قوزريل في ليبيا ،وفي جنوب وادي النيل تزخر ثقافة كرمة [568] culture de karma بالكثير من الأثار عن عبادة الأبقار[569]، من جهة ثانية يذكر هيرودوت:«أن الليبيون من مصر إلي بحيرة تريتون لا يلمسون لحم الأبقار ولا يربون

---

[564]jL Le Quellec(1993)«Scènes de taurokathapsia…» op.cit.p319.

[565]Ibid.P320.

[566]Ibid.P319.

[567] ياروسلاف تشرني،المرجع السابق،ص59.

[568] ثقافة كرمة في السودان بدأت مع نهاية الألف الرابعة ق م وعرفت ازدهار بين 1750- 1500 ق م وهي متواجدة في محور التأثير الحضاري المصري - الافريقى - الصحراوي ،كشفت بها 20 ألف قبر وعرفت ظاهرة تشويه قرون الأبقار، ينظر:

Louis Chaix (2004) op.cit.P336.,

[569] j l le quellec (1993) symbolisme…op.cit. P 133 Fig 34-1, P146,Fig 34-14 .

الخنازير، ويعتبر النساء انه من الإثم أكل لحم الأبقار ، وذلك من اجل "ايزيس"[570] الآلهة المصرية ، بل كانوا يكرمونها أيضا بالصيام والاحتفالات»[571].

[570] ايزيس أم الإله "حورس" وأخت وزوجة الإله" أوزوريس"تمثل بامرأة تحمل قرص الشمس بين قرنيها،ينظر: ياروسلاف تشرني،المرجع السابق،ص225.

[8] Hérodote IV,186. [571]

و- عبادة الشمس والقمر:

عبادة الشمس كانت منتشرة بشكل كبير في بلاد المغرب في بلاد المغرب فقد ذكر هيرودوت بأن الليبيين يقربنون للشمس و القمر [572] ،أما عن الصحراء فقد ذكرهيرودوتأن الأتارنتسatarantes[573] يلعنون الشمس بأقذع السباب لأنها تأذيهم،وهؤلاء يعيشونفي منطقة تبعد مسيرة عشرة أيام من أرض الجرامنت [574]، ولعل موطنهم الطاسيلي أو الهوڤار.



اللوحة رقم 52 : السيدة السوداء في صفار تعد بمثابة ربة قمرية

المصدر : Alainèbe (1991) op.cit. p60

[572]Hérodote IV,188.

[573] هنرى بارث h berth قال إنهم أجداد الهاوسا haoussa(في نيجيريا)،ينظرgsell(1915): op.cit.t1,p318.

[574]Hérodote IV,184

والدلائل التي تقدمها الرسوم الصخرية على عبادة الشمس والقمر هي:

1-مشهد الشمس في تيسوكاي tissoukai[575] ويمثل المشهد دائرة كبيرة تحيط بدائرة أصغر ذات إشعاعات ، وفي الجانب الأيسر للدائرة الكبيرة نجد ثلاثة رؤوس للأبقار ، مع رمز يمثل الهلال ،مع وجود أنصاف دوائر بيضاوية تشبه التلال أو الجبال عددها ستة ، أربعة منها متسلسلة واثنين آخرين متقابلين ،وفي الجهة الخلفية شخص يلمس طرف الدائرة ،وتوجد شخصية أخرى مقنعة وفي الخلفأيضا مجموعة من الأبقار، والى يسار المشهد نجد شخصية أخرى في وضعية الرقص قد تكون امرأة (اللوحة رقم 53)

إن وجود هذه العناصر مجتمعة في هذا المشهد يدل أولا :على أن هذا المشهد هو تجسيدا لأسطورة لها علاقة بعبادة الشمس والقمر،وثانيا أنها تعبيرا عن أسطورة الخلق لوجود كل عناصر الطبيعة الشمس والأرض والقمر والإنسان والحيوان ،وأنصاف الدوائر تمثل الجبال التي يعيش فيها هؤلاء الأقوام ،وكما هو واضح وجود ارتباط بين الشمس والأبقار المقدسة، فالكائن الذي يعلو رأسه قرص الشمس يبدوا أنه مشرف على المشهد،أما الدائرة الكبرى فتمثل الأرض و الدائرة الصغيرة ذات الأشعة هي الشمس تسلط أشعتها على الأرض المستندة على قرون الأبقار[576] ، فالمشهد يجسد اعتقاد هؤلاء السكان بقدسية الأبقار أيضا.

يقول الباحثين حامباتى با و ج داترلين إن هذا المشهد يمثل احد الأعمال الواضحة لطقوس المسارة التي تمثلها أسطورة "الكومن"kumen وهي موجودة لدى الفولاني[577].

2- وهو الرمز المنتشر بكثرة لدى الرؤوس المستديرة الذي يشبه قنديل البحر meduse حيث يمثل دائرة مع إشعاعات في شكل أهداب ، وقد أعطيت له تفسيرات مختلفة [578]ولكن يمكن أن يكون تمثيلا للشمس لأننا نجده في العديد من المشاهد ومنها مشهد "الإله الكبير" في صفار.

من جهة أخرى يمكن أن تكون هناك علاقة محتملة بين القرون و الهلال ، وهي ناتجة عن الارتباط بين الأبقار و القمر في المشاهد فكثيرا ما نجد هلال مرسوما على الأبقار، وارتباط قرون الأبقار مع القمرفي المشهد السابق الذكر في تيسوكاى.

و لدى الرؤوس المستديرة نجد أحيانا قرون عظمية الحجم ترسم لوحدها أو متراكبة مع شخصيات كبيرة مقنعة فمن الممكن أن هذه القرون إنما تمثل الهلال، وقد لاحظنا سابقا وجود عبادة للقمر لدى الليبيين، ولاشك لدينا أن الإنسان قد عبد القمر منذ أقدم العصور

---

[575] H Lhote(1976) Vers d'autre…P92,Fig49.

[576] توجد مقولة شعبية متداولة بين الناس في شمال إفريقيا مفادها أن الأرض موضوعة على قرون الثور .

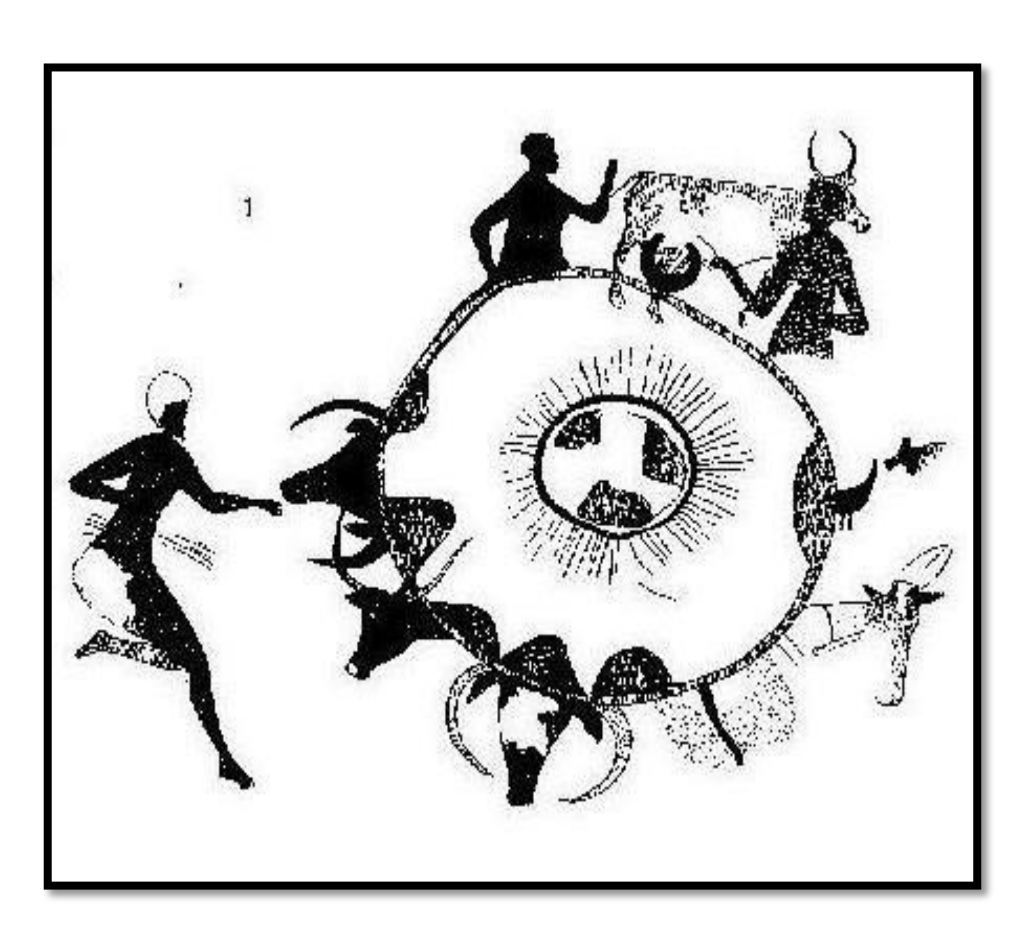
[577] الكومنkumen هو شخصية أسطورية كلف من طرف القينوguéno بالأرض وتوفير المراعي والحيوانات البرية والمستأنسة وهو مساعد للأفعى تيانابا tyanaba يمكن له أن يتخذ أي شكل يريده ينظر:

Dieterlen G & A Hampaté Bâ: (1966)op.cit. P 146.

[578] منها أنه يمثل طبل الشامان، ينظر موضوع الشامانية .

ففي العهدين القرطاجي والروماني في بلاد المغرب كانت "تانيت" Tanit معبودة رئيسية في المنطقة وهي ربة قمرية déesses lunaires حسب الباحث جون لوكلاك[579].

واعتماداعلى المشاهد الصخرية فإن هناك عبادة للقمر لدى الرؤوس المستديرة لوجود عدد كبير من الشخصيات ذات قرون وكذلك لوجود زوائد بين القرون[580] تمثل قرص الشمس أو القمر في شكله الكامل (البدر) وكذلك لتواجد رموز للهلال إلى جانب صور الأبقار، ويمكن أن يكون وجود الهلال تجسيدا للطقوس التي تقام على ضوء القمر،تمجيدا له ويتم التضحية بالأبقار في المكان .



اللوحة رقم 53:مشهد يدل على عبادةالشمس في تيسوكاي

المصدر: H Lhote(1976) Vers d'autre…P92,Fig49

[579] j l le Quellec (1993) symbolisme…op.cit.pp 191-192.

[580] ينظر حول موضوع الزوائد الرأسية،ص52.

وعند العديد من الشعوب الأفريقية هناك ارتباط بين القمر و الخصوبة [581]، وهو ما نجده في الفن الصخري أيضا ومن الأمثلة اللافتة للانتباه مشهد في صفار ، يمثل "الإله الكبير الصياد"في صفار، حيث يحمل سمكة من ذيلها في يد اليسرى ،بينما يوجد هلال كبير قرب بطن هذه الشخصية علما بان هذه الشخصية الكبيرة الحجم هي ذات قرون أيضا [582]، وفي مشهد" السيدة الزنجية "في صفار نجدها تحمل هلالبكلتا يديها يرمز إلى القمر مما يشكل دليلا علي ارتبط الآلهة الأنثوية وبشكل عام المرأة مع القمر والخصوبة.

---

[581] من بين هذه الشعوب:الدوغون في مالي و السينوفو في ساحل العاج و الفولاني في السنغال حيث يدل شكل القناع على قداسة هذا الرمز الذي يمثله الهلال و علاقته بالقرون ، ويذكرفي هذا الإطار ليو فروبيوس L.Frobineuse العديد من التقاليد التي تجعل من الثور رمز للقمر ينظر:

J- L- Le Quellec(1993) symbolisme... op.cit.p189-191.

[582] ينظر ما سيأتي ذكره عن الربة القمرية ضمن الفصل الثالث.

الفصل الثالث :الرمزية وآلهة الخصوبة

أولا: الرمزية في الرسوم الصخرية .

أ- الألوان والزينات الجسدية:

ب- تراكب الصور والأيادي والشخصيات السابحة في المشاهد

ج- الأقنـــــعة: وظائفها وعلاقتها بالحيوانات المقدسة

د- علاقة الأقنعة في الطاسيلي بعالم إفريقيا

ثانيا : الآلهة العظمى

أ- الآلهة الأنثوية

1- المرأة في مشاهد الخصوبة:

2– دور المرأة في فن الرؤوس المستديرة :

ب- الآلهة الذكرية

ج- مظاهر الخصوبة

أولا: الرمزية في الرسوم الصخرية :

لقد تميزت مرحلة الرؤوس المستديرة بالطابع الرمزي للمشاهد التي تمثل الصيادين أو الرعاة وربما حتى المزارعين،ويغلب عليها المظهر الديني والسحري،حيث يذكر في هذا الإطار الباحث ألفرد موز يليني:A Muzzolini«أن الرمزية ظهرت في المرحلة القديمة بين 5000و3000 ق. م بما في ذلك نقوش مرحلة الجاموس العتيق ورسوم مرحلة الرؤوس المستديرة فكثيرا ما أستخدم فيهما اللغة الرمزية »[583] .

يختار الفنان الشيء الأكثر أهمية و تميًزا ومن ثم يتم التعبير عنه برموز معينة [584] فالرمز هو علامة عن شيء ما أو مفهوما محددا ، جوهره غير واضح بالنسبة لغير المتخصصين فهو قد يحمل معاني و تفسيرات مختلفة تبعا لنظرة الباحثين وقراءاتهم للمشهد ، وهنا تدخل الذاتية والأفكار المسبقة إذ لا يمكن لأحد معرفة ذهنية و أفكار الإنسان في ما قبل التاريخ على وجه الدقة كما لا يمكننا معرفة معتقداته ، إلا ما نستطيع استنباطه من أفكار من خلال قراءتنا للمشاهد الصخرية.

حيث يتم مقارنة تلك المشاهد بما يوجد لدى الشعوب البدائية في عصرنا فقد نجد تكرارا للظواهر الاجتماعية والدينية ،و يقول في هذا الإطار الباحث أندري لوروا كورهان أنه يجب مقارنة مشاهد الرسوم الصخرية بذهنية الشعوب البدائية في عصرنا للحصول علي نتائج في هذا الشأن [585] ، و الباحث ايمانول أناتي يقر بأن معرفة عادات الشعوب البدائية تساعد في دراسة شعوب ما قبل التاريخ [586] .

ولكن علينا الاعتماد بصفة رئيسية على مشاهد الرسوم الصخرية وينبغي أن نعرف انه لدى الإنسان في ما قبل التاريخ لا يمكن الفصل بين ما هو ديني[587] وما هو سحري[588] لوجود تداخل بينهما فالمجتمعات في ما قبل التاريخ على غرار المجتمعات البدائية في عصرنا تعتقد بوجود قوى فوق طبيعية كما أن معظم الذين يمارسون السحر عندهم هم رجال الدين [589]، وفي الرسوم الصخرية للطاسيلي نلاحظ وجود مشاهد تعبر عن مظاهر دينية يمكن أن نسميها تقليدية وتتمثل مظاهر وطقوس عبادة موجهة لآلهة غير أننا نجد أيضا مشاهد معبرة عن السحر سواء كان فيها السحرة أو لوجود رموز وصور تدل

---

[583] A muzzolini(1995) «les deux époques dans la trame symbolique des figurations rupestres saharien, l'anthropologie, 1995, vol:33, n°3, pp221-230.

[584] يان إيلنيك (1994) الفن عند الإنسان البدائي، ترجمة جمال الدين الخضور ، دمشق : دار الحصاد ، ص 57.

[585] A L Gourhan (1964) Les Religions De La Préhistoire (Paléolithique),paris: Presses Universitaires De France, p148.

[586] E Anati (1999)op.cit.pp16-17.

[587] يعرف الدين على أنه عدد من الأفكار الواضحة التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات والصلة بينها وبين الإنسان،ويتكون من مجموعة من الطقوس والأساطير ،ينظر : فراس السواح ،المرجع السابق ، ص87.

[588] السحر هو الاعتقاد بوجود نوع أو أنواع من القوى فوق الطبيعية ،نجد ارتباط للسحر في كثير من الأحيان بالدين فالمعتقدات الإحيائية مليئة بالقوى الروحية ،ينظر:الميرا إسماعيل علي، المرجع السابق،ص215.

[589] الميرا إسماعيل علي، المرجع السابق،ص215.

على السحر ، كما توجد مشاهد أخرى تعبر عن أساطير سجلها الإنسان على جدران الملاجئ.

وبشكل عام فإن غالبية المشاهد تعبر عن الجانب الروحي للإنسان وإن كانت بعض المشاهد يمكن تفسيرها بسهولة وذلك نظرا لوضوح الرموز والصور فيها ،بينما مشاهد أخرى تبقى غامضة، وذلك نظرا لعدم معرفتنا بمعتقدات ونمط تفكير الإنسان في تلك الفترة ،غير أنه يجب أن نشير إلى أن الإنسان الذي اختار أماكن الرسم بعناية وبذل جهدا كبيرا في الحصول على المواد الملونة كان له غرضا دينيا من وراء رسم هذا المشهد الذي استغرق منه وقتا وجهدا كبيرين ،علما بأن مواد الرسم لا تتوفر له دائما فهي توجد في أماكن خاصة ويجب عليه الحصول على كميات كبيرة وعليه أيضا أن يختار الألوان المناسبة ويحضرها جيدا ، فكل هذه العوامل تجعلنا نؤكد أن إنجاز مشهد يتطلب عملا جماعيا وبإشراف من المسارينinitiés وهم المطلعون على الأسرار الدينية، أو السحرة أو الكهنة ،تبعا للمعتقدات التي كانت سائدة وإن كنا نرجح وجود مجتمعات روحانية على الأقل في صفار وفي أونرحات Aouanrhet.

ولم يكن انجاز المشهد عملا تلقائيا فهو يتم وفق طقوس معينة ، بل قد يكون في حد ذاته تجسيدا للطقوس التي يمارسها الإنسان ، ومن جهة ثانية كانت له التزامات معينة ومحظورات نابعة من معتقدات الروحية ،فقد حرص على عدم تمثيل ملامح الوجه والتزم إلى حد ما بعدم تمثيل المشاهد الجنسية [590] .

من خلال دراسة مشاهد الرسوم الصخرية في الطاسيلي تبين لنا وجود مظاهر سحرية فيها حيث أن الكثير من الرموز والصور ذات دلالات سحرية منها:

أ- الألوان والزينات الجسدية:

الألوان لها علاقة وثيقة بالجانب الروحي للانسان لذلك كان يدهن بها جسمه فاللون الأحمر له علاقة بالحياة والموت ، وفي بلاد المغرب وجدت أمثلة عن ذلك ففي مغارة تافوغالت tafouralt بالمغرب الأقصى وجدت جثث مطلية بالمغرة الحمراء [591] ، و في فوزيجارن fozzigiaren في الاكاكوس وجدت جثة ملونة بصباغة صفراء و حمراء تعود إلى 8050 سنة[592] وتعد المغرة الحمراء البديل الشعائري للدم الذي يرمز إلى تجدد

---

[590] هناك عدد قليل من المشاهد الجنسية في نقوش وادي جرات ومشاهد نادرة في الرسوم الصخرية تمثل استثناء، أنظر ما سيأتي في موضوع الخصوبة.

[591] g camps (1961) monuments et rites funéraires protohistoriques, paris : A M G presse de la s r i p ,pp436,522.

[592] M Hachid (1998) Op.Cit. P184.

الحياة [593] ،فاللون الأحمر يرمز إلى الحياة و إستمراريتها في العالم الآخر [594] ،وفي هذا الصدد يقول الباحث أندري لووروا كورهان:« أن المغرة أستخدمت في القبور وفي تلوين أجسام الأحياء فهي رمز للحياة أيضا »[595].

واللون الأحمر منتشر بكثرة لدى الرؤوس المستديرة ،ففي صفار احد الظباء العملاقة بلون احمر و في نفس المنطقة اللون الأحمر هو المسيطر في مشهد يظم زرافة و أروية و فيلا أبيض و كائنات أسطورية و شخصيات من الرؤوس المستديرة[596] وكلا اللونين الأحمر والأبيض كانا موجودين مع الموتى فقد استخدما في المركب الطقوسي حيث لونت به الجثث في موقع تين هنكاتن [597] .

وكنا قد لاحظنا وجود شخصيات سابحة ذات لون ابيض في اونرحات قد تمثل أرواح الموتى ، من الممكن أن تكون لها علاقة بالسحر، ومشاهد تان زوميتاك تمثل حيوانات بلون الأبيض محاطة بدائرة حمراء[598]، وفي صفار يوجد فيلا أبيض إلى جانب كائنات أسطورية وزرافات بلون ابيض و أحمر [599]، الارتباط بين اللونين في صور الحيوانات لم يكن صدفة بل هناك غرض ما ، حيث يقول الباحث كامس campsg »: أن الرؤوس المستديرة يرسمون آلهتهم و كائناتهم الأسطورية بلون ابيض خاصة في المرحلة المتطورة من هذا الفن»[600].

واللون الأبيض بالإضافة إلى ارتباطه بالشخصيات الأسطورية و الآلهة و المواضيع السحرية والأرواح فهو يشكل في غالبيته لنساء ، ومن المتعارف عليه أن المرأة تمثل الحياة والخصوبة ، أما اللون الأحمر فهو في غالبيته للحيوانات وهو ذو مغزى خاص فهذه الحيوانات كانت هدف للتضحية بها أثناء الطقوس.

إلى جانب الأبيض و الأحمر نجد اللون الأصفر الذي له علاقة بطقوس الدفن من خلال وجوده إلى جانب الأموات في موقع تين هناكتن [601].

وبالنسبةللتزيين الجسدي فهو طابع مميز للرؤوس المستديرة ، نجده في كل الأساليب ورغم أن معظمها تمثل شخصيات نسائية، إلا أن بعض الشخصيات الذكرية تحمل تزين جسدي أيضا كما يوجد تزين على الحيوانات أيضا، فالزينات الجسدية تدل بشكل عام على

---

[593] مارسيا إلياد ،المرجع السابق،ج1، ص 22.

[594]Pascal pinant(1991)la préhistoire de la mort, les premiers sepultures en Europe paris:édition errance, pp127-129.

. [595]A l corhan(1964) op.cit.p64

[596]René Gardi, Julantha Neukom Tschudi , op.cit.P10.

[597]M Hachid (1998) Op.Cit. P196.

[598]Ibid.p218.

[599]René Gardi, Jolantha Neukom Tschudi (1969) op.cit.P12.

[600]g camps (1974) op.cit.p258.

[601] سميرة عمراني، المرجع السابق ، ص68.

فن الزنوج ، وهي عبارة عن تنقيط ponctuage أو خطوطlignesأو وشمtatuage أوتشريطاتcarificationsأو رسوم جسدية dessein corporel[602].

وقد عرف التزين الجسدي في العصور القديمة حيث ذكر هيرودوت أن الجيزنت gezantesوالزواكيس zaoueces[603] يقومون بدهن الأجسام بلون قرمزي[604] والماكسيس maxyesيفعلون ذلك أيضا [605]،كما ذكرت مصادر أخرى «أن سكان الصحراء كانوا لا يغيرون لون أجسامهم ولأن الغسل كان يجعلها تختفي لذلك فإن سكان الصحراء كانوا لا يغتسلون أبدا»وفي نص آخر يعود إلى القرن الخامس ذكر وجود علامات في أجسام النساء المور،و الشاعر كوربيوس corippus يذكر الوشم عند السكان في بلاد المغرب القديم [606].

فقد كان الإنسان يدهن جسمه بالمغرة الحمراء و الصفراء كما كان يدهن الموتى ثم تحول إلى تزين الأجساد بالألوان ولاشك لدينا أن دهن الأجسام بالألوان كان له هدف سحريا أو دينيا ، ويقدم لنا الفن الصخري دلائل أخرى عن علاقة تزيين الأجساد بالجانب السحري والديني للإنسان ، فالمشاهد الأولى تعود إلى أسلوب المريخيين القديم ،وتتمثل في شكل نقاط باللون الأبيض و الأحمر وهو ما نجد مثال عنه في ملجأ أنالاك المتواجد في جبال إفدانوينifedaniouène،حيث نجد الزينات الجسدية في الذراعين و الجهة اليمني من البطن [607] ، نفس أسلوب التزيين نجده في مشهد "الزنجية ذات الصدر المزين بالوشم " في منطقة اونراحات ouanrhat[608] .

ونحن نتساءل إذا ما كانت الزينات الجسدية في المشاهد معبرة عن السحر لدى النساء و الرجال ؟ حيث نسجل وجودها في معظم الأساليب بما فيها أسلوب الآلهة الكبرى، وهي مرتبطة دوما مع الأقنعة التي لها علاقة وثيقة بالسحر ، أما الأمر الآخر الذي يجعلنا نربط بين الزينات الجسدية والسحر ، هي وجودها بكثرة في بعض المناطق التي شهدت وجود معتقدات سحرية بارزة لأقوام جبلية، بحيث شكلت تلك المناطق الجبلية بمثابة معابد ومراكز للديانات السحرية ومنها على الخصوص منطقة صفار، و أونرحات وتان زميتاك وتين تزار يفت.

كما أن الزينات الجسدية لم تقتصر على النساء أو الرجال فنحن نجدها لدى الحيوانات أيضا ففي جدارية في جبل أوان أساكامار ouan-asakmar نجد مجموعة من الأبقار

---

[602]h lhote (1970)op.cit.p102,blanche L fig1.

[603] حدد قزال gsell موطن الجيزنت و الزواكيس في الساحل التونسي ينظر gsell (1927)op.cit. p8:

[604]Herodote IV,194.

[605]Herodote IV,191.

[606]gsell (1927)op.cit.pp10-11.

[607]Ulrich w hallier and brigitte c hallier (2009)nouvelles découverte des têtes rondes dans les montagnes d'ifedaniouene et dans tin batoulte ,stone watch,p2.

[608]H lhote (1958) Op.Cit. P 96, fig39

منقطة في مشهد طقسيا إلى جانب شخصية إنسانية فالنقاط البيضاء مصفوفة بشكل يدل على اهتمام خاص، مما يدل على مظهره السحري [609].

من المشاهد التي تربط بين السحر وبين الزينات الجسدية مشهد في صفار يمثل ذراع منقطة بنقاط بيضاء وهي موجودة ضمن مشهد يظم أيضا حيوانات غير مكتملة ورؤوس غزلان، مع شكل أفعواني ذو أربعة رؤوس وإلى اليسار توجد شخصية قد تكون أنثوية [610] ومشهد "السيدة البيضاء" في أونرحات ouanrhatيوضح الغرض الديني أو السحري للزينات الجسدية حيث تبدوا الزينات في شكل نقاط حمراء وبيضاء.

إن الزينات الجسدية متواجدة لدى النساء أكثر من الرجال وهذا يدل على الدور الكبير الذي لعبته المرأة في ذلك الوقت ، وقد لاحظنا أن لأسلوب التزين الجسدي علاقة وثيقة بالفخار حيث يكاد يتطابق مع التزين على الفخار ، ،كما أن تلك الزينات الجسدية قد تكون من إنجاز السحرة أو الكهنة أو المسارين initié مثل الأقنعة والحلاقة وهو ما زال موجود اليوم لدى الفولاني.

---

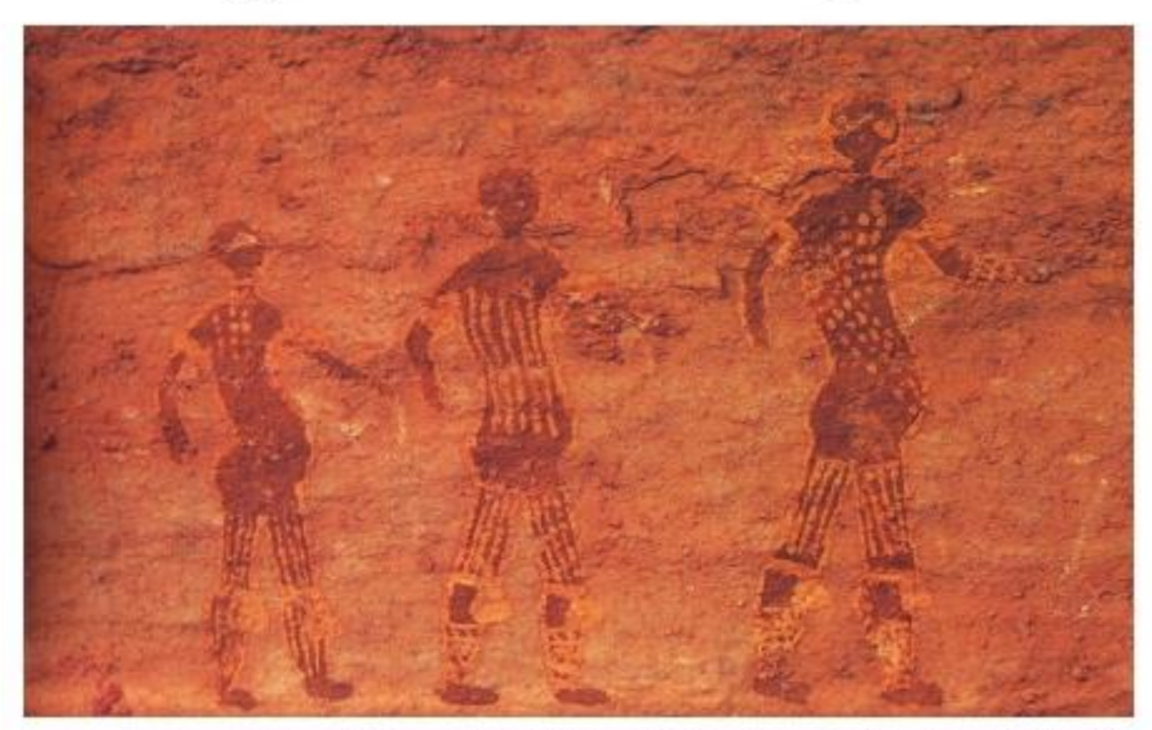
[609]H lhote (1966) Op.Cit. p16

[610]H lhote (1958) Op.Cit. P 134 fig55.



لوحة رقم 54: رجال يرقصون أو يتحاربون في موقع إهرن في الطاسيلي ، الملاحظ هنا هو الزينات الجسدية أو الوشم المختلفة عن زينات المجموعات السوداء.

المصدر: Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs, Part 39, StoneWatch Work Februar 2012, p45



اللوحة رقم 55 : نساء حوامل بزينات جسدية كثيرة في منطقة صفار

Alain sèbe (1991) op.cit.p74

ب- تراكب الصور والأيادي والشخصيات السابحة في المشاهد:

نجد في فن الرؤوس المستديرة مشاهد متراكبة مع مشاهد أخرى أقدم منها، وتعد عملية تراكب المشاهد superposition من العناصر الهامة في ثقافة الصيادين ونعني بها رسم الصور فوق بعضها البعض(611)،فمثلا نجد في منطقة صفار مشهد لحيوانات متركبة في المشاهد (612)، وفي تان زوميتاك تبين وجود تراكب في الصور ،وهو نفس الأمر الذي نجده في مشهد "الساحر" في اونرحات حيث توجد شخصية متراكبة مع المرأة ذات اللون الأبيض(613)،فهل يتم إعادة التلوين وفق طقوس معينة ؟ وما الهدف منها ؟

طقوس إعادة تلوين الرسوم الصخرية نجدها لدى بعض الشعوب الإفريقية فقد ذكر ليوفروبينوس leo Frobenius أن الشباب السنغاليون يمارسون إعادة التلوين(614)،كما أن الأستراليون الأصليون لا يزالون يمارسون إعادة التلوين ،حيث ينجزون رسوم جديدة كما يقومون بإعادة تلوين الرسوم السابقة لكي تزداد وضوحا ، وأثناء إعداد عجينة الألوان يقومون بمزج دماءهم مع الألوان لاعتقادهم بقداسة تلك المشاهد وذلك وفق طقوس معينة فيحافظون على المشاهد القديمة وينجزون مشاهد جديدة (615) ،وهم يقرنون هذه المشاهد بأساطير عن جلب الأمطار(616) .

وقد ذُكر أن هناك رسوم صخرية قد نفذت حديثا في منطقة سونغو songo قرب هضبة باندياقارا وهي موطن الدوغون dogon في مالي وذلك بعد حفلات ختان، وفي منطقة مامانت mammanet بالنيجر توجد نقوش صخرية لشخصية أسطورية عند الطوارق يسمى الياس Elias يقوم المسافرون بتلوينه باستمرار على أمل الحصول على الملابس الجديدة (617) ،كما لا يفوتنا ذكر تقديس أماكن الرسوم الصخرية عند الساكنين حول بحيرة فيكتوريا في كينيا حيث ترتبط عندهم بطقوس المطر (618) ، ونحن لا نستبعد أن ذوي الرؤوس المستديرة كانوا يقومون بنفس الممارسات لأننا نجد الكثير من الصور فوق بعضها البعض ، فقد طبق الباحث لاجو lajouxj d طرق تقنية على اللوحة في موقع أونرحات ، أكد فيها أن الأشخاص الذين نراهم بلون أحمر وكأنهم مرسومين فوق المرأة المقنعة ليسوا كذلك تماما ، فالزينة البيضاء للمرأة قد أضيفت في مرحلة لاحقة فوق

---

(611)J leclant .p huard .l .allard .haurd,op.cit. T1,p31.

(612)René Gardi, Jolantha Neukom Tschudi (1969) op.cit.P11.

(613)Hg hugot(1974)op.cit.p243

(614) جون كي زربو(1983) الفن الإفريقي ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الأول جون أفريك واليونسكو ، مطابع كانالي ايطاليا: ص 667.

(615)Michel lorblanchet (1980) «art rupestre australien »archeologia sa n°147, octobre1980 France:Imprimé par darantiere dijon. pp38-39

(616) جون كي زربو ، المرجع السابق،ص 667.

(617)J clottes(2007) «l'art rupestre du Sahara et du nord de l'afrique: conclution»ICOMOS p142.

. (618)Alec campbell ,j collttes ,david coulson(2007)op.cit.p24

الأشخاص الحمر[619]، وذلك يدل على وجود طقوس إعادة التلوين تتم في الطاسيلي أيضا في فترات مختلفة ووفق طقوس معينة وهي تفسر الكثير من المشاهد ذات الرسوم المتراكبة فوق بعضها البعض وارتباطها بالأغراض السحرية.

وما نستشفه من ذلك أن أماكن الرسوم الصخرية هي أماكن مقدسة بالنسبة للرؤوس المستديرة تمارس فيها طقوس دينية معينة تنتهي بإعادة تلوين بعض المشاهد وإنجاز مشاهد أخرى فوقها لتأكيد التمسك بدين الأجداد[620] ،لذلك فقد تفصل مئات السنين بين صورة وأخرى في نفس المشهد ، وهو ما جعل الباحث فابريزيو موري f mori يصنف زرافات في منطقة "تين أسيغ " في الاكاكوس إلى عدة مراحل فنية[621]، كما أن لوت شاهد في لوحة واحدة 12 أسلوبا[622].

ومن ناحية أخرى توجد الكثير من الصور التي تمثل شخصيات سابحة في المشاهد في منطقة اونرحات ouanrhat من ضمنها مشهد سماه هنري لوت " المرأة ذات الصدر في الظهر" [623](اللوحة رقم 46) وفي مشهد "الزنجية ذات الصدر المزين بالوشم"[624] حيث يوجد في هذا الأخير امرأة سابحة بلون ابيض متراكبة مع صورة الزنجية ، كما توجد مشاهد مماثلة في منطقة تين تزاريفت tin tazarift عرفت باسم " السباحين" [625]،فبعض تلك المشاهد فسرت على أنها تمثل الشامان[626] في رحلة بحث عن الأرواح،أما الشخصيات باللون الأبيض فيمكن أن تعبر عن الأرواح أو الموتى.

أما رسوم الأيادي فهي كثيرة ويمكن تميز نوعين منها بصمة إيجابية يتم رسمها على الجدار مباشرة ، والثانية تسمى بصمة سلبية يتم تنفيذها بقذف الألوان بالفم على اليد الموضوعة فوق الجدار[627] ،وقد عرفت رسوم الأيادي و الأقدام تفسيرات عديدة منها كونها تعبر عن السحر[628] كرمز سحري يحفظ من القوى الشريرة [629] أو معبرة عن

---

[619] جون كي زربو ،نفس المكان.

[620] أنظر البعد الافريقي للرؤوس المستديرة ،ص 39.

[621]h lhote (1984).op.cit.p258.

[622] تلك المنطقة هي جبارين التى تعد من أغنى مناطق التاسلي بالمشاهد التي تعود إلى مختلف أساليب الرؤوس المستديرة و البقريات ، قال عنها هنري لوت انها تمثل عالم بأكثر من 5000 موضوع مرسوم في منطقة مربعة لا يزيد طول جوانبها عن 600 متر ويمكن أن تقدم لنا 12 حضارة متتابعة من خلا ل الرسوم الصخرية ،ينظر:
H Lhote (1958) Op.Cit.P81.

[623]H lhote (1958) Op.Cit. p 88 fig36.

[624]Ibid.p96,fig39.

[625]Ibid.p120,fig43.

[626] حول الشامان أنظر الفصل الثاني.

[627]René Gardi, Julantha Neukom Tschudi , op.cit.P14.

[628] j leclant p,huard .l a huard ,op.cit,T2,p441.

[629] يان إيلنيك ،المرجع السابق، ص206.

التضحية بالحيوانات [630] ، وهناك من يعتبرها مجرد بصمة أو إمضاء للفنان الذي أنجز اللوحة آو أنها أنجزت بطريقة تلقائية نتيجة لاستناد اليد عن الجدار أثناء الرسم [631] .



اللوحة رقم 56 :

مشهد سحري في منطقة صفار (حيوانات وأفاعي وذراع وشخصية غريبة)

المصدر : H lhote (1958)op.cit. p 134 fig 55

[630] René Gardi, Julantha Neukom Tschudi , loc.cit.

[631] يان إيلنيك ، المرجع السابق، ص204.

من بين مشاهد الأيادي نذكر: مشهد لذراع مرسومة في تين تافريست tin-teferist وهي منقطة باللون الأبيض و الأسود ، تدل بلا شك على موضوع سحري[632] ، كما يوجد مشهد في صفار يمثل بصمة سليبة ليد علما بأن المشهد يحتوى على الكثير من الصور المتراكبة وهي تدل على موضوع سحري واضح (اللوحة رقم 34) ،و في نفس الجدار نجد يد أخرى بلون أحمر مع الكثير من التراكب للصور ،ودائما في نفس المنطقة نجد بصمة سلبية في صفار تمثل يدين إحداها أكبر من الأخرى[633] .

وعلى العموم نلاحظ ارتباط بين ثلاثة أشياء في المشاهد تدل كلها على السحر هي : تواجد **بصمات الأيادي** في المشاهد التي تتواجد بها **صور متراكبة** أنجزت في فترات مختلفة على نفس الجدار وكذلك **الزينات الجسدية** للشخصيات، مما يدل أيضا على أن مواقع الرسوم كانت أماكن للعبادة ولممارسة طقوس دينية أو سحرية.



لوحة رقم 57:

بصمات الايادي في الفن الاوربي

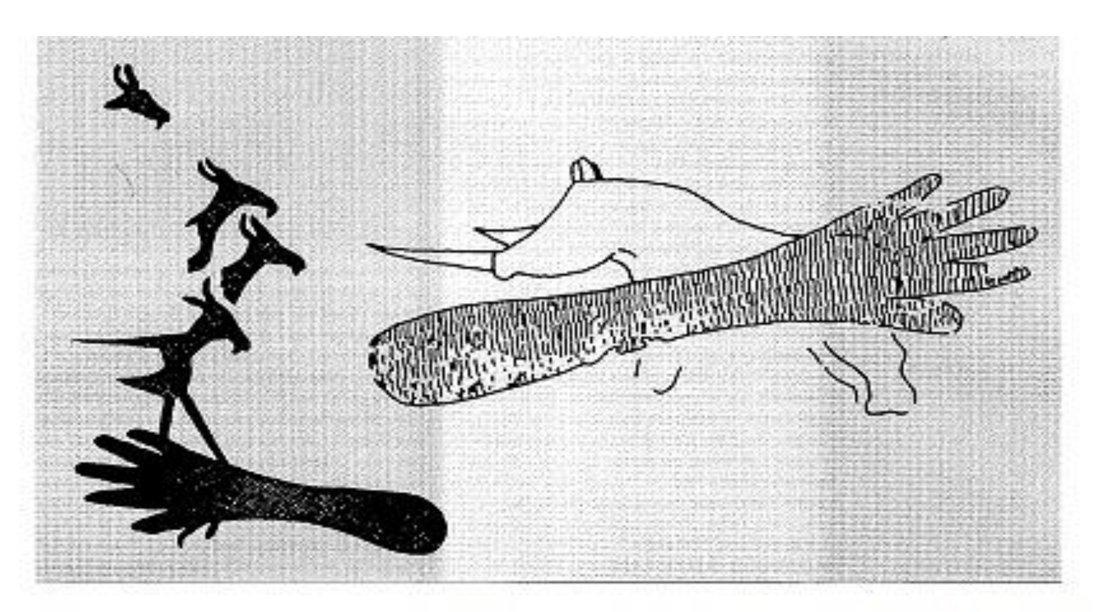


لوحة رقم 58 :

بصمات يد في صفار

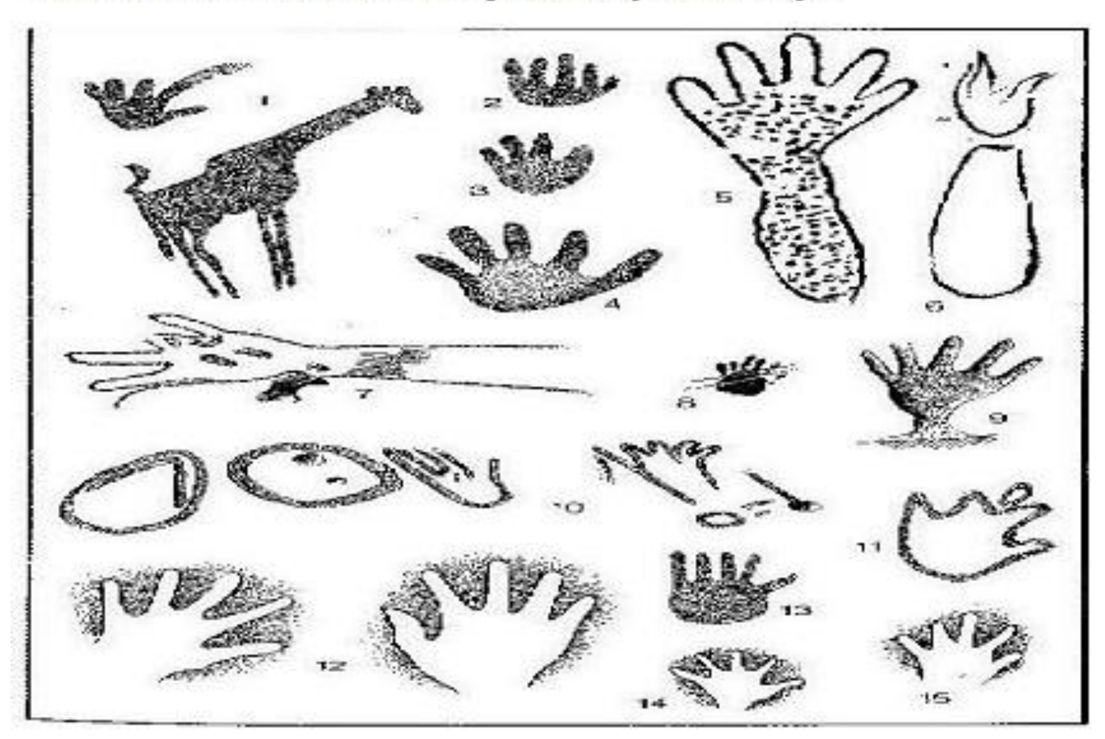
[632] j d lajoux,op.cit.p67.

[633] H lhote (1958) Op.Cit. p 134, fig54



لوحة رقم 59 : مشهد لبصمات ذراع في منطقة صفار بالطاسيلي بجوار حيوانات برية ما يدل على أن المشهد يعبر عن السحر لحماية الحيوانات البرية أوالاستحواذ السحري عليها .

jean loic lequellec , « les figurations rupestre de mains au sahara cenral» ,La main dans la Préhistoire.dossier d'archeologie, n°178 , janvier 1993,p67



لوحة رقم 60: بصمات الايدي في مناطق مختلفة من الطاسيلي

ج- الأقنـعة :وظائفها وعلاقتها بالحيوانات المقدسة:

استعمل الإنسان القناع منذ العصر الحجري القديم حيث وجدت عدد من الرسوم الصخرية والنقوش التي تعتبر تمثيلا للرأس المقنع كالإله المقنع أو الساحر في كهف "الإخوة الثلاثة" trois frèresفي منطقة أرياج بفرنسا (اللوحة رقم 65).

أما في الطاسيلي فهناك أدلة على وجودها منذ فترة قديمة تعود إلى مرحلة الجاموس العتيق bubaline ضمن نقوش وادي جرات، والأقنعة متنوعة في فن الرؤوس المستديرة فهناك أقنعة لشخصيات برؤوس حيوانات سماها الباحثين باسم théranthropes[534]،كما توجد أقنعة طقوسية مثل أقنعة صفار [635] (اللوحة رقم 68) كما أن الرأس الدائري في حد ذاته قد يمثل أقنعة دائرية مثلما نشاهده لدى الشعوب الإفريقية.

والأقنعة هي أدوات مادية تحمل معاني رمزية ، بحيث يعطي الشخص لنفسه مظهر يشبه الحيوان أو الكائن الأسطوري[636]، ويمكن أن يعطي القناع للشخص الذي يرتديه مظهرا مغالطا faux visage ،بحيث يضع الراقصين والراقصات القناع ليغيروا صور وجوههم بقصد الحماية من القوى أو الأرواح الشريرة أثناء الطقوس، فالشخص يشعر بأن هيئته الإنسانية ضعيفة فيتنكر في هيئة جديدة وغالبا ما تكون كائنا أسطوريا أو حيوانا طوطميا[637] ، فلدى شعب الإركواس iroquois في غينيا الجديدة (من جزر المحيط الهادى) استعمال القناع انتشر من بين عادات تقضي باستخدام وجه مغاير لوجههم visage fausse[638] وعندما يضع الشخص قناع حيوان ما فإنه يحرص على أن يبدوا بمظهره فيلصق بجسمه ذيل مستعار كما في مشاهد تين تزاريفت في التاسيلي [639].

وقد يكون الهدف من ارتداء القناع هو الحصول بشكل مؤقت على صفات الكائن الذي يمثله القناع فقد كانت الأقنعة في حد ذاتها عبارة عن فتيشات[640]، وبهذه الصفة كانت

تقدم لها القرابين من حين لآخر حتى تستطيع الاحتفاظ بقدرتها على المساعدة[641] فهي تعد

---

[534] théranthropes من الكلمة الاغريقية thér وتعنى حيوان متوحش وanthropesوتعنى رجل ، تصبح الكلمة تعني الرجل الحيوان أي نصف انسان ونصف حيوان ،ينظر :

J-L Le Quellec(2008)Chamanes …Op.Cit.P58.

[635] M Hachid (1998) Op. Cit.p200.

[636] A Mussolini (1991)Op.Cit.P18.

[637] J L Le Quellec (1993)symbolisme...op.cit.p293.

[638] henry pernet,op.cit.p25.

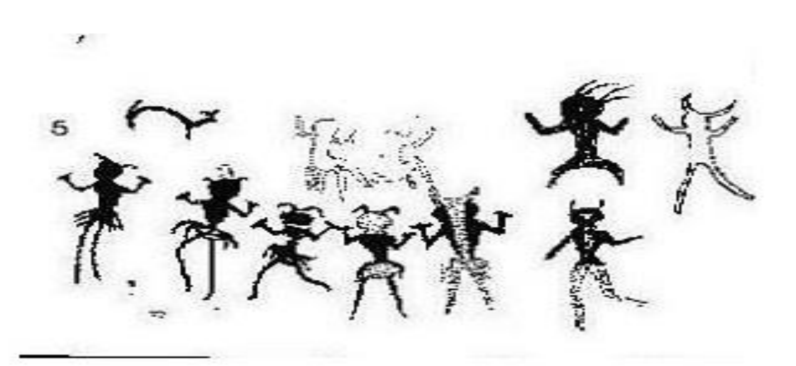
[639] J L Le Quellec (1993) symbolisme...Op.Cit.p269,fig77-3.

[640] الفتيشية :هي تقديس الأشياء المسحورة والتمائم والخرز، والتصور أن قوى الكون تجتمع فيها لذلك اتخذت الآلهة صفة هذه الأشياء المقدسة ومن الأمثلة عن الفتيشات نذكر الأقنعة والتيجان والرموز المختلفة والزينات لدى الشخصيات ينظر:خزعل الماجدى (1999)المرجع السابق،ص ص174-175.

[641] رالف لنتون (1990) شجرة الحضارة ،ترجمة محمد سويدي،الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،ج1، ص99

بمثابة أشياء مقدسة [642]، ولدى بعض الشعوب ذات الديانات الروحانية القناع يجسد الأرواح التي يعتقدون بوجودها [643].

الأقنعة لها وظائف عديدة فهي تستخدم في الممارسات الدينية، وقد تكون هذه المناسبة لها علاقة بأساطير مثل أسطورة نشأة الكون، فالرقص بالقناع يهدف إلى تجسيد الظواهر الأسطورية وتخليدها ،وهنا يذكر جون لوكلاك أن هناك أقنعة تمثل أرواح الموتى كما توجد أقنعة مدفنيه masque funéraire [644] ، وانه يهدف إلى تجسيد الكائنات فوق الطبيعية والتحول إلى صورتها وهذه الكائنات إنما هي مخيلة الإنسان[645] .



لوحة رقم 61 : رجال مقنعين في صفار بالطاسيلي سماهم هنري لوت بالشياطين الصغار

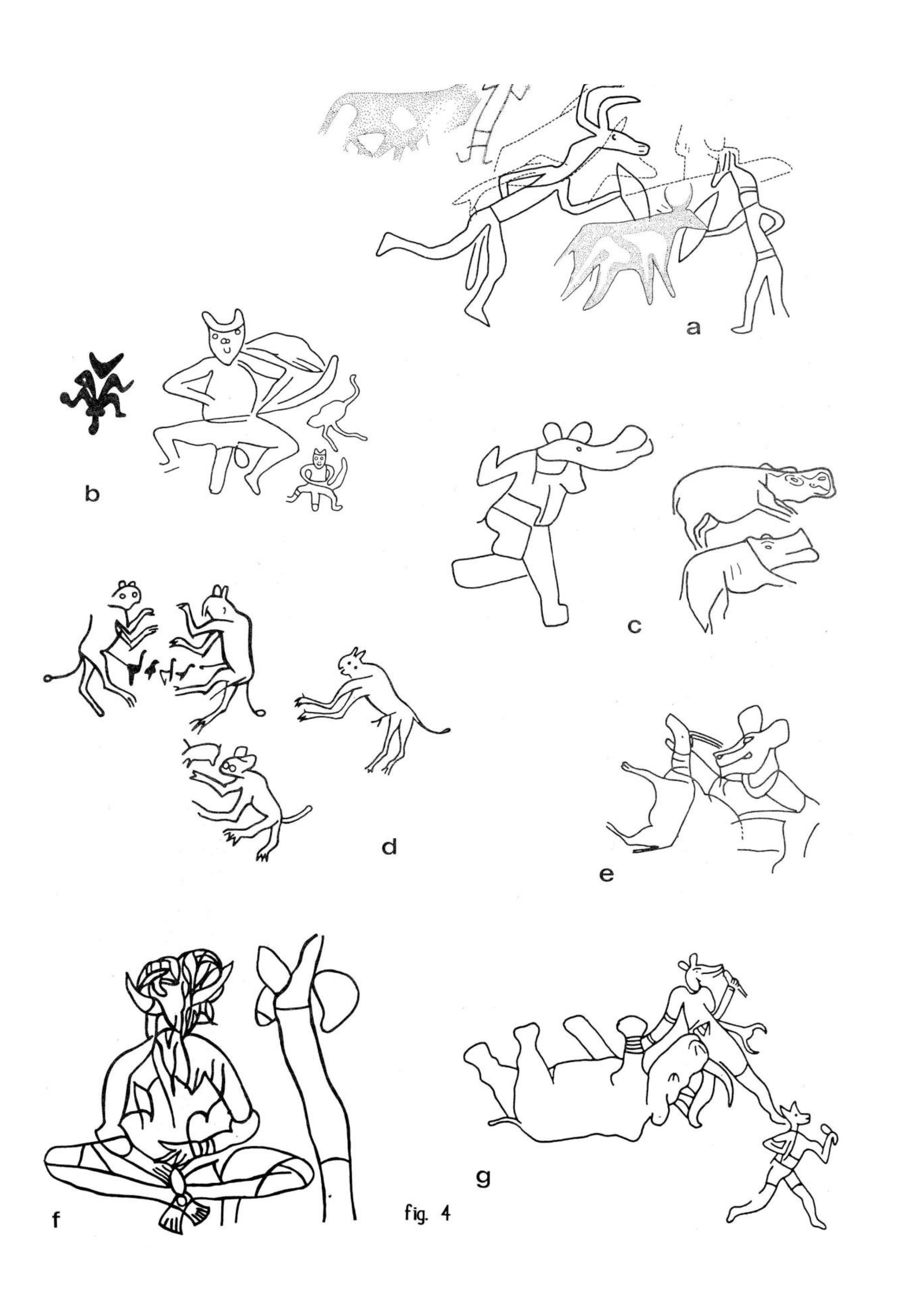
المصدر : H Lhote (1958), *A La Découverte Des Fresques De Tassili.*, Paris:Arthaud,p268



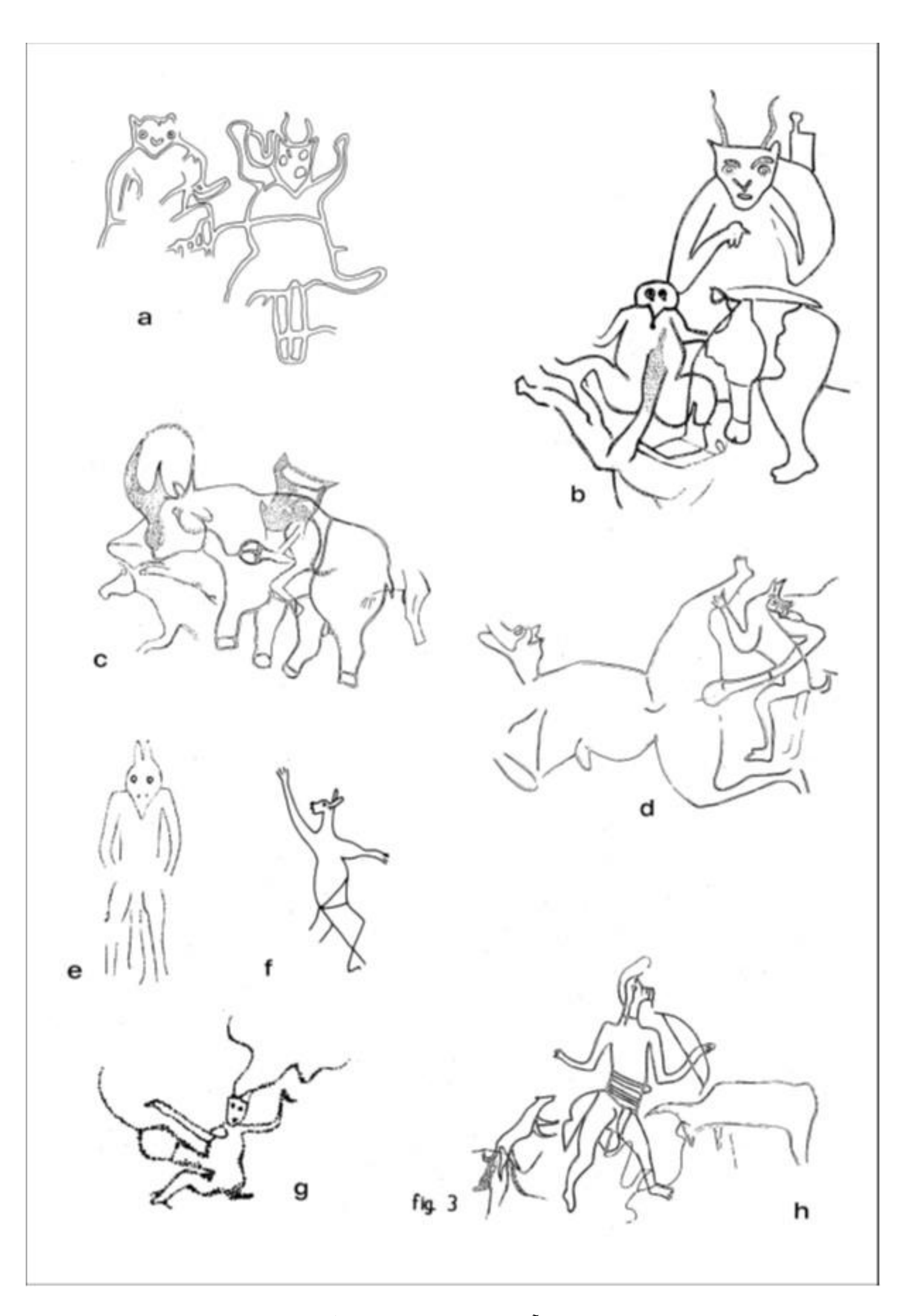
اللوحة رقم 62 : الشياطين في جبارين مشهد طقوسي

المصدر : M hachid (1998) op.cit. p210 fig 310

(642)René Gardi, Julantha Neukom Tschudi ,op.cit.P15.
(643)M Hachid (1998)) Op. Cit.p207.
(644)J L Le Quellec (1993) symbolisme...Op.Cit. p296.
(645)Ibid.p293.



لوحة رقم 63 : شخصيات نصف حيوانية نصف إنسانية في الطاسيلي قد تمثل آلهة



لوحة رقم 64 : شخصيات قضيبة وآلهة الخصوبة في الطاسيلي

الباحث كامس g camps يقول إن المشاهد التي تمثل رؤوس حيوانات إنما تمثل قناع لأجل الصيد ، ولكن عندما سأل الباحث باجيpager قبائل البوشمن في جنوب إفريقيا عن صور الإنسان برأس ضبي في الرسوم الصخرية ، فأخبروه أن لا علاقة لها بالصيد وأن هذه المشاهد تمثل "خالقا أسطوريا" وبعضهم قال بأنها تمثل السحرة وأرواح الموتى، فالعديد من المقنعين لا علاقة لهم بالصيد فهم عادة معزولين عن الحيوانات أو مرتبطين بمشاهد الرقص الجماعي والفردي أو ضمن مشاهد جنسية كما في وادي جرات [646]، كما أن الباحث هنري برني henry pernet يقول: «بأن الأقنعة ليست من أجل الصيد وذلك لأنها رؤوسا لحيوانات لا تصطاد كالكلبيات والطيور، وبالتالي فقد تكون لها غرضا دينيا أو سحريا وليست لغرض الصيد»[647]، و يمكن أن يكون قناع الطقوس قد نتج عن قناع كان يستعمل من أجل الصيد[648] .



اللوحة رقم 65 : الساحر المقنع في كهف الاخوة الثلاثة في منطقة ارياج (الفن الاوربي)

المصدر : يان الينيك (1994) الفن عند الإنسان البدائي. ترجمة جمال الدين الخضور .دار الحصاد: دمشق،ص111 ، صورة 146.

---

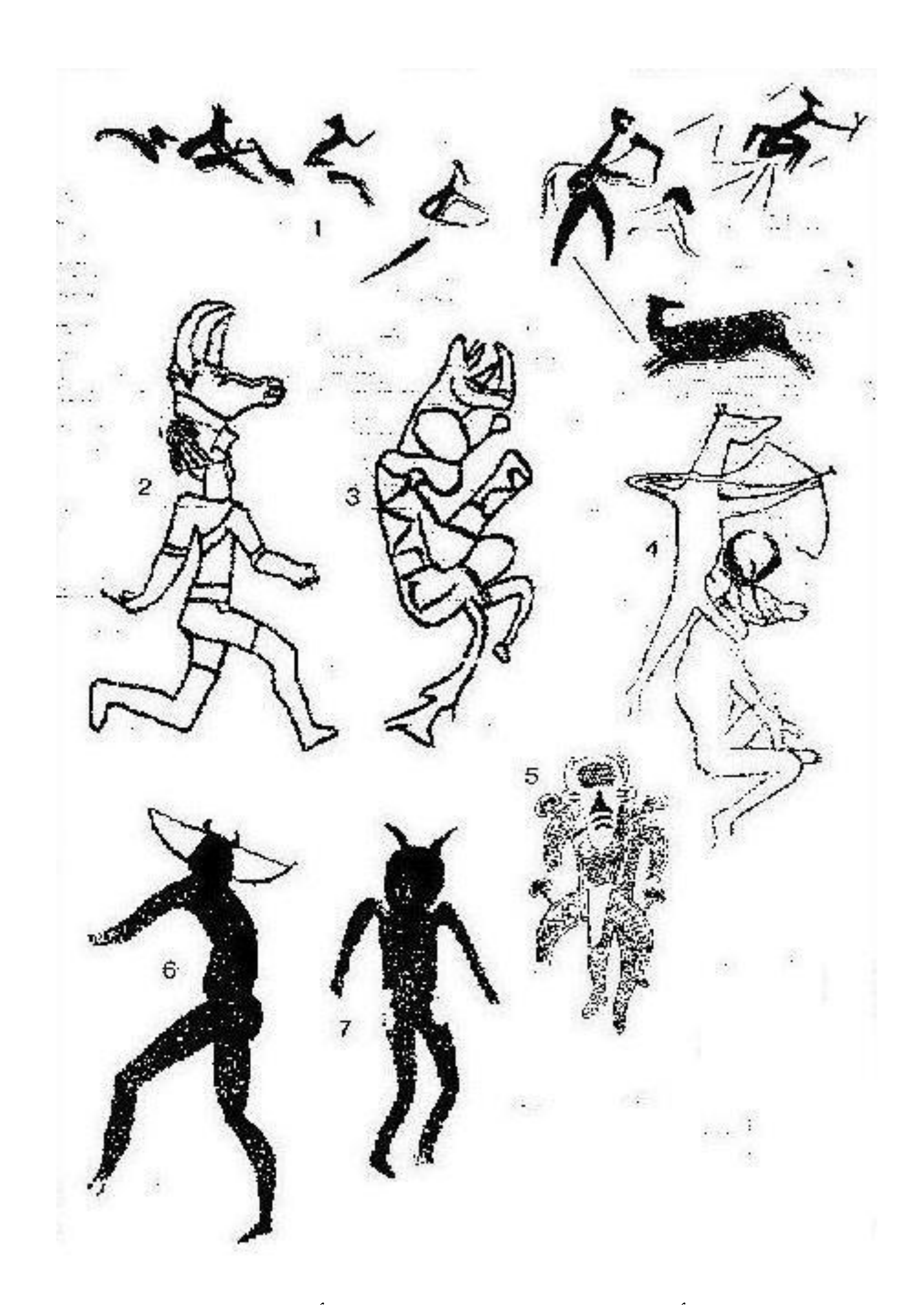
[6] Ibid.pp265,286. [646]
[7]henry pernet , op.cit.p37. [647]
[8] ibid.p24. [648]

ونلاحظ أن غالبية الأقنعة لها علاقة بالموضوع السحري الديني أو بالمظاهر الأسطورية[649]، كما نجد نسبة كبيرة منهم في رقص جماعي أو فردي ، أما في النقوش في وادي جرات فهي موجودة في مشهد جنسي ،و هناك القناع السحري الذي يضعه السحرة والشامانات وهذا ما نجده في أونرحات ، وأقنعة أخرى يرتديها الراقصون في صفار (اللوحة رقم 32).

الشكل البدائي للأقنعة يستمد من صورة الحيوان [650]والأقنعة مرتبطة بالحيوانات وصفاتها تشبه صفات الحيوانات الطوطمية ،وعندما يضع الإنسان القناع فإنه يجسد هو نفسه ذلك الكائن معتقدا أنه قد تجسد فيه ، ولدى الباحث جون لوكلو j.leclant هناك علاقة وثيقة بين القناع و الحيوان المقدس عند الصيادين في النيل والصحراء أي الارتباط الروحي مع الحيوان الطوطم[651]، ويوجد لدى بعض الشعوب الروحانية ارتباط بين الحيوان والأرواح و الأقنعة ،حيث يملك هؤلاء المقنعين قوى سحرية قد تدل الهيئة على الحيوان الطوطمي[652] المرتبط بهم كروح أو شيطان[653]، كما نجد عند المصريين القدامى أقنعة ذات أصل حيواني مثل "أنوبيس" Anubis برأس ابن آوى ، "حتحور" برأس بقرة Hathor "حورس" horse برأس صقر[654] .

---

[649]J L Le Quellec (1993) symbolisme...Op.Cit. p279,fig71-4.
[650] Abdelaziz farrah ,op.cit.p156 .
[651]J L Le Quellec (1993) symbolisme...Op.Cit. p288.
[652] عن الطوطمية ينظر الفصل الثاني .
[653]René Gardi, Julantha Neukom Tschudi , op.cit.P14.
[654]Abdelaziz farrah ,op.cit.p160.)



لوحة رقم 66: أقنعة حيوانات بغرض الصيد أوالسحر في مناطق مختلفة من الطاسيلي

المصدر : Le Quellec.J L (1993), Symbolisme Et Art Rupestre Du Sahara, France: Edition Harmattan,p266

من جهة ثانية فإن الامتناع الإرادي عن إظهار ملامح الوجه هو إما لدواعي فنية أو لمحظورات دينية[655] وهناك وجه للمقارنة بين عدم وجود ملامح الوجه لدى الرؤوس المستديرة وبين وجود اللثام لدى الطوارق[656] فهل الأسباب التي أدت إلى اعتماد اللثام هي نفسها الأسباب التي أدت إلى عدم إظهار ملامح الوجه لدى الرؤوس المستديرة؟وهل يشكل كشف الوجه بالفعل تحريما لدى الطوارق ؟ .

والغريب في الأمر أن ذوي الرؤوس المستديرة يظهرون ملامح الوجه عند المرأة في بعض الأساليب الفنية في حين يخفون ملامح الرجل، وهو الأمر نفسه الذي نجده لدى الطوارق، حيث المرأة تظهر وجهها ولا تضع اللثام الذي يضعه الرجل، فهل يمكننا أن نطرح فرضية أن الرؤوس المستديرة هم الأجداد البعيدون للطوارق؟

هذا ما ذهب إليه الباحث عبد العزيز فرح[657]،وفي الواقع الطوارق لهم عادات أخرى فهم لا يأكلون أو يشربون أبدا بوجود أشخاص آخرين معهم[658] ، فقد أعطى هنرى لوت لابنة جبريين djebrine [659] حفنة من التمر فإذا بها لم تقم بالأكل أمام جدها وتوارت بعيدا [660] وهو ما أثار استغراب هنري لوت [661] .

في موضوع متصل يقول الباحث راؤول raol et levi markarus أن الفم هو من المحظورات لدى الكثير من الشعوب ،استدل على ذلك بعدة أمثلة منها المنحوتة العاجية المسماة "سيدة براسمبوي" التي تعود إلى العصر الحجري القديم[662] (اللوحة رقم 14) ولدى الرؤوس المستديرة لا يجب أن يظهر الفم وذلك لأسباب لا نملك تفسيرها ، ربما من غير اللائق أو خطير تمثيله وقد يكون للأمر علاقة بالخوف من القوى الشريرة[663] ،وفي مالى يقوم الدوغون بتخبئة الأقنعة في أماكن سرية في الكهف ويمنع على غير المسارين الاطلاع عليها أو رؤيتها وخاصة يمنع على النساء[664].

---

[655]henry pernet ,op.cit.p39

[656]Raoul et laura levi markarius (1974)l'origine de l'exogamie et de totamisme, paris:éditions gallimard,p163.

[657]Abdelaziz farrah ,op.cit.p50.

[658]Raoul et laura levi markarius ,op.cit.163.

[659] جبرين هو من الطوارق ارتبط اسمه باكتشاف الفن الصخري حيث صاحب معظم المكتشفين ومنهم شارل بارينان وهنري لوت.

[660] عدم الأكل أمام الكبار و عدم إظهار الابن أمام الجد و الجدة هي عادات منتشرة في شمال إفريقيا كلها وهي تدل عن الاحترام و التقدير أكثر ما تدل على معتقدات أو محظورات دينية .

[661]H lhote (1976) vers d'autre ...op.cit.p66.

[662]Andréa dué (1994)les premiers terres habitués dés primates àl'homo sapiens ,paris :edition hatier,p10.

[663]Raoul et laura levi markarius ,op.cit.pp163-164.

[664].michel huet, Op.cit.p44

د- علاقة الأقنعة في الطاسيلي بعالم إفريقيا:

تنتشر اليوم في عالم إفريقيا أنواع مختلفة من الأقنعة، وهي تحتل مكانة كبيرة في الثقافات الإفريقية، فالوجه المقنع و تلك الإشارات الهندسية المختلفة الموجودة في المشاهد تعبر عن لغة رمزية يمكن مقارنتها بالأقنعة الإفريقية، بعض هذه الأقنعة تشبه أقنعة الرؤوس المستديرة، وهو تأكيد أخر على البعد الإفريقي لفن الرؤوس المستديرة،وقد تكون هناك "مجتمعات مقنعة بحيث جميع الناس يضعون الأقنعة ،فالباحث مارسال قريول M. Griaule يقول: «أن مجتمعات الأقنعة هي صورة عن العالم ففي الرقص يجسدون نظام الكون »[665] ،ويوصف الفنان الأسود أنه يقدم مفهوما للعالم ويترجم القوى التي تحرك الكون[666].

وقد نقل جون لوكلاك عن هنري لوت :« أن السود قد سكنوا الصحراء في ما قبل التاريخ، وأن الأقنعة لعبت دورا هاما لديهم وهو نفس الدور الذي تلعبه اليوم في الثقافات الإفريقية الروحانية [667] التي نجد أمثلة عنها في إفريقيا الغربية»[668]، فقناع الساحر في اونرحات يشبه أقنعة السنوفو senofo (في ساحل العاج) [669].

---

[665]mecel griaule (1975) dieu d'eau : entretien avec ogotemmeli, paris:librairie arthrne fayard ,pp192-211.

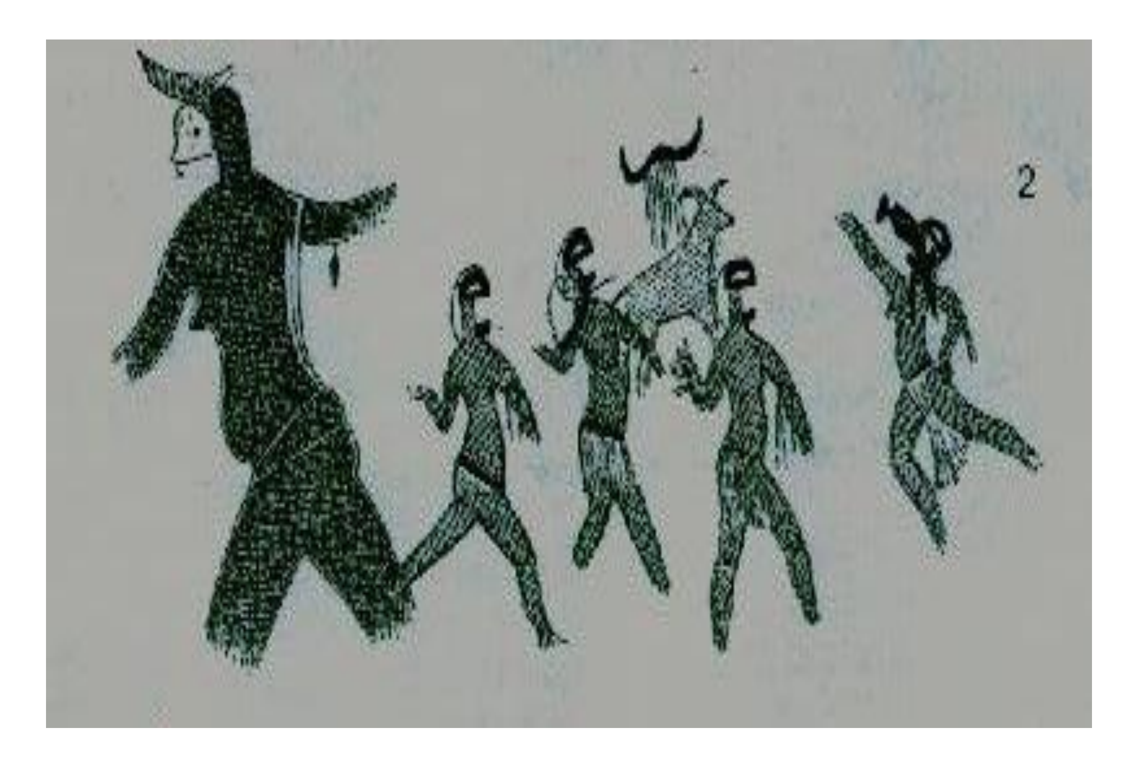
[666]Memal foté harris, op.cit.p52.

[667] الروحانية أو الإحيائية هي ديانة ذات طابع سحري تلعب الأرواح دور كبير في حياة الناس حيث تقدم لها الهدايا ، فكل عناصر الطبيعة لها أرواح ،يتم التقرب لها ، وهناك أرواح شريرة وأخرى خيرة ، للسحرة (الشمانات) دور كبير في المجتمع ينظر:

Lucien lévy bruhl ,op.cit,p78.

[668]J LLe Quellec (1993) symbolisme...Op.Cit. p286.

[669]josephe kezerbo(1972)histoire de l'Afrique noire d'hier à demain ,paris: libraire A,hattier, ,p57.



لوحة رقم 67: الراقصات المقنعات في تين تزاريفت

المصدر : Le Quellec.J L (1993), Symbolisme …p284





اللوحة رقم 68 : أقنعة من صفاروأونرحات

على اليمين قناع طقوسي في صفار وعلى اليسار قناع الساحر في أونرحات **المصدر**: H -5: lhote (1970)op.cit. p 102, fig 6

أولا: الآلهة العظمى:

أ- الآلهة الأنثوية:

تتفوق مشاهد الرجال في فن الرؤوس المستديرة عن المشاهد التي تظهر فيها النساء لكن النساء يظهرن في مشاهد ذات أهمية كبرى وهن مرتبطات خصوصا بالخصوبة ومن بين الصور التي يظهرن فيها :

- "السيدة البيضاء" في اونرحات [670](اللوحة رقم 17)

يمثل المشهد امرأة عملاقة مقنعة وذات زينة وبهرجة عالية ، يبدو التزيين الجسدي في شكل نقاط مشكلة خطوط من الظهر إلى البطن بشكل مائل، وحتى الأثداء المخروطية الشكل مزينة بخطوط متقطعة ، كما توجد زوائد متدلية من التنورة القصيرة التي ترتديها هذه السيدة و زوائد أخرى في الذراعين ، وهي تضع في يديها ما يشبه القفاز تتدلى منه خيوط طويلة، ولها قرنان عظيمان تبلغ المسافة بينهما 50 سم[671] ، كما توجد حول رأسها و قرناها نقاط بيضاء .

تبدوا هذه السيدة تشرف على المشهد مثل الشخصيات المركزية في أسلوب الآلهة الكبرى، وهي تهيمن على مساحة كبيرة في المشهد ، والشخصيات الأخرى الصغيرة الحجم هي :امرأة لها نفس التزيين الجسدي ونفس هيئة السيدة البيضاء[672] لكن ليس لها قرون وهي محاطة بخط دائري[673] ،ويوجد بعض الأشخاص يعملون في الأرض وآخرون يشجعونهم ، كما توجد مجموعة من النساء يؤدون رقصات طقوسية في شكل صف.

هذا المشهد يمثل ربة عملاقة للخصوبة، وتبدوا هذه المرأة حاملا مثلها مثل الكثير من مشاهد النساء التي تظهر فيها دائما المرأة ببطن منتفخة وهي من السمات الأساسية المستديرة ،وقد تمثل الخطوط على ساقيها والنقاط الكثيرة حول قرونها و رأسها الأمطار وفي المشهد النساء يقومون بالرقص ضمن طقوس معينة من أجل الربة العليا واهبة الخصوبة، أما الدائرة حول جسم المرأة الأخرى فهي دائرة سحرية من أجل حماية النساء.

فيبدو أن هذا المجتمع في اونرحات[674] هو مجتمع زراعي ، تحضى المرأة فيه بالمكانة العليا و يتمثل دوراها في أداء الطقوس ،كما أن الحجم الكبير للمشهد ووجود

---

(670) H Lhote (1958) Op.Cit,P88,Fig35.

(671) Abdelaziz Farrah,Op.Cit. P212, Fig 245.

(672) هذه التسمية أطلقها هنري لوت اقتداء بمعلمه القس بروي الذي سمى مشهد بنفس الاسم في منطقة براندنبرغ brandebergفي جنوب افريقيا ، ينظر : H Lhote (1958) Op.Cit ,p93

(673) نجد مشهد مماثل في تان زوميتاك حيث توجد شخصية صغيرة محاطة بدائرة قد يكون طفل وعلى مقربة منه حيوان مفترسا قادما نحوه، فقد تكون دائرة سحرية لحماية الأطفال والنساء ،من ا لحيوانات والأرواح الشريرة ينظر:
Alain Sèbe ,Op.Cit .P26.

(674) أونرحات تقع إلي الجنوب من جبارين وتعد من الأماكن الرئيسية لفن الرؤوس المستديرة ، وقد شهدت وجود مشاهد ذات طابع سحري .

القرون يدل على أن المرأة في المشهد هي من الآلهة الكبرى، وذلك لأن القرون تدل على السلطة والقوة، فالمشهد يعبر عن الآلهة الأنثوية وهو ما نجد أمثلة عنه في الحضارات القديمة.

نتساءل عن الهدف الذي من أجله رُسم هذا المشهد فهل هو تمجيدا للربة العظيمة؟ فالإنسان كان دائما يجسد معبوداته برسمها أو بنحت التماثيل لها وذلك حتى تكون الآلهة قريبة منه فيشعر بها ويتضرع إليها ،وتعتبر التماثيل الإنسانية [675] المكتشفة في التاسيلي دليلا على ذلك ، فهو يجسد الآلهة في هيئة إنسانية لاعتقاده أن الآلهة في الأصل كانوا أشخاصا وهذا كان منتشرا في العصور القديمة حيث يذكر :«أن الآلهة كانوا في الماضي البعيد رجالا بارزين بين الناس وكانت لهم مكانة ممتازة في حياتهم قام الناس بتقديسهم بعد مماتهم »[676] .

فمشهد "السيدة البيضاء "يعبر عن آلهة الخصوبة الأنثوية، وترتبط المرأة عند العديد من الشعوب بالأرض الخصبة حيث الأرض تسند لها آلهة أنثوية [677] في صورة إمرأة بدينة فالولادة التي هي أهم خصائصها لها علاقة بالأرض الخصبة[678].

- الربات ذات رؤوس الطيور:

تفاجأ هنري لوت بوجود مشاهد لنساء برؤوس طيور في التاسيلي ، فسمي مشهد جبارين باسم "الربات ذات رؤوس الطيور"[679]، ووجود هؤلاء النسوة بهذا المظهر وبرؤوس الطيور يدل على أنهن يمثلن آلهة وغالب الظن أنهن يمثلن الخصوبة.

والمشهد الثاني في نفس المنطقة عنونه هنري لوت باسم "مشهد إهدائي" [680] يمثل الكثير من الشخصيات الأنثوية والذكرية المقنعة برؤوس الطيور في مشهد طقوسي وحولهم نباتات أو سنابل، كما يوجد رمز أفعواني ذو رأسين وفي الجهة اليمنى من المشهد يوجد رمز الهلال ، يدل مظهر هذه الشخصيات على أنهم آلهة أو كائنات أسطورية شبيهة

بالآلهة المصرية[681] ذات رؤوس الطيور مثل **رع،حورس ،جب**:أما" **رع**" فهو أهم الآلهة المصرية فقد أصبح منذ الأسرة الرابعة إله رسميا لمصر، أما "**حورس**"فمعناه البعيد وهو إله السماء يمثل على هيئة رجل برأس صقر ، و**جب** هو إله الأرض[682].

---

(675) وجدت في كهف أشكار achakarفي المغرب تماثيل من الطين لنساء ينظر:
slimane hachi (2003) aux origines des arts premiers en Afrique du nord ,les figurines et objets modeles d'afalou CNRPAH,2003,p137.

(676) فراس السواح ، المرجع السابق ، ص 204.

(677)E Anati, Op.Cit.P28.

(678) خزعل الماجدي (1997)المرجع السابق ، ص ص82-83.

(679) H Lhote (1958) Op.Cit.P12, Fig 1.

(680)Ibid. P 80, Fig 26.

(681) اعتقد هنري لوت أن هذه المشاهد تدل على تأثيرات مصرية ،مع أن هذه المشاهد سابقة زمنيا للحضارة المصرية .



لوحة رقم 69 : الآلهة ذات رؤوس الطيور تماما مثل الالهة المصرية

---

(682) ياروسلاف تشرني ،المرجع السابق ،ص227-230.

- الآلهة أنتــينيا:

هذه التسمية أطلقها هنري لوت على مشهد في منطقة جبارين[683]وقد قال عنها أنها ربة ليبية اتخذها الإغريق آلهة لهم باسم "أثينا[684] وأنها تشبه الهيئة التي تكون عليها نساء الطوارق أثناء الاحتفالات[685]،ونحن نعتقد أنها من الممكن أن تكون من الآلهة التي ظهرت في ما قبل التاريخ لان الآلهة في العصور القديمة قد تكون نسخة عن آلهة ما قبل التاريخ وقد يكون هناك ارتباط بين هذه المرأة وبين "تانيت "الآلهة الليبية البربرية[686] فالأسماء قد تتغير مع مرور الزمن ، ويمكن أن تكون آلهة الإخصاب هي نفسها امرأة منفرجة الساقين ذات مظهر جمالي فائق، مثل المشهد التي تمثله "أنتينيا" والصور التي تمثل نساء منفرجات في وادي جرات فهذا المشهد يعد من المشاهد الكبرى الدالة على الألوهية فهي بعلو2 متر[687] ،وحيث أن الأجسام الضخمة للشخصيات تمثل آلهة فشكل الجسم أو الأعضاء والحجم الكبير والهيئة البطولية وحتى وضع اليدين تدل على أن المرأة تمثل ربة [688] مثلما لاحظنا هذا في مشهد "السيدة البيضاء" وفي مشاهد" الآلهة الكبرى" بصفار و "الآلهة المريخية" بجبارين.

وتعد مشاهد النساء ذات الزينة عالية والمظهر الجمالي دليلا على الذوق الفتي الرفيع لهؤلاء الأقوام و التطور الحضاري الكبير الذي وصلوا إليه، فلا يمكن للصيادين الذين يقضون يومهم بأكمله في مطاردة والبحث عن الحيوانات أن تكون لهم مثل هذه الاهتمامات فهؤلاء أناس أطمئنوا على معيشتهم منذ زمن، وراحوا يجسدون شغفهم بالفن في هذه اللوحات التي تمثل آلهتهم.

ومن خلال ملاحظة الكثير من مشاهد الرسوم يمكن القول أن هؤلاء أقوام مزارعون

وهم يذكروننا بالأعمال الفنية الرائعة التي ظهرت في الحضارة الهلينية[689]والتي تجسدت

---

[683]H Lhote (1958) Op.Cit.P80,Fig33.

[684] أثينا:هي بنت زيوس من غير أم، توصف بأنها عذراء محاربة ينظر : صمويل نوح كريمر وآخرون(1973) أساطير العالم القديم ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر :ص241، بينما يعتبرها هيرودوت من أصل ليبي حيث يقول الليبيون أنها ابنة بوسيدون ينظر Hérodote IV,180:.

[685]H Lhote (1958) Op.Cit. p84.

[686] توجد عبادتها في الشرق باسم" تانيت لبنون" وهي غير "تانيت الإفريقية"، ينظر: غانم (2005)،المرجع السابق، ص91 ، ويقول ڤزال gsell أنها أصبحت المعبود الأول للقرطاجيين باسم" تانيت بني بعل"ينظر:
Gsell (1927) T 6, P144.Op.Cit.

[687]H Lhote(1958) .Loc.cit.

[688]Henri delport (1993)l'image de la femme dans l'art préhistorique,paris: édition picard, p268.

[689] الهلينية هي الحضارة الإغريقية التي امتزجت بمؤثرات شرقية بعد غزو الاسكندر المقدوني للشرق، ينظر:
Serge lancel,op.cit. p255.

على الخصوص في أعمال النحت التي تظهر فيها" افروديت"[690] في شكل امرأة عارية تمثل آلهة أنثوية للخصوبة .

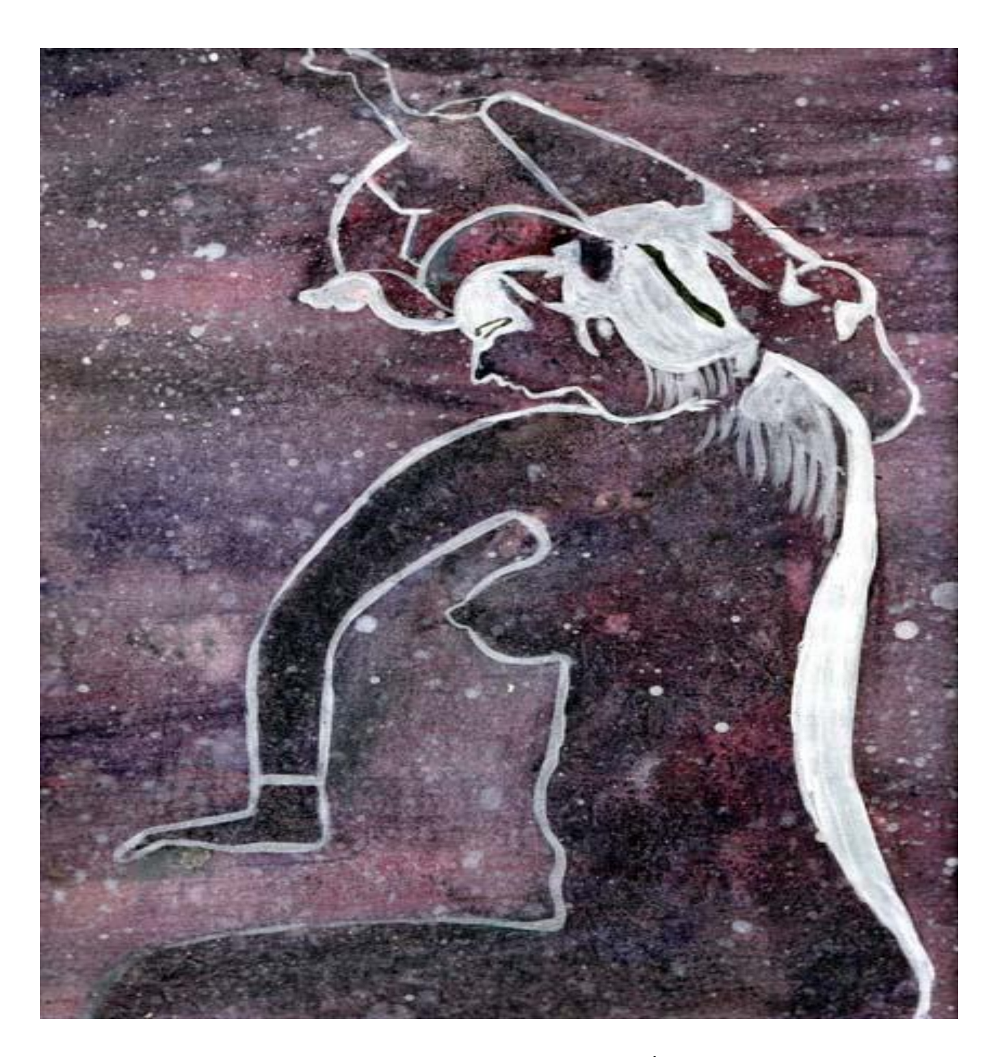
بشكل عام هذا المشهد يمثل تحول فنيا للرؤوس المستديرة، فهذه المرأة ذات الحلاقة الفريدة من نوعها لا تشبه حلاقة المشاهد الأخرى، كما أنها غير مقنعة بالكامل فهي ترتدي قناع يغطي العينين فقط بينما ملامح الوجه الأخرى واضحة فيه، مثل هذا القناع نجده أيضا في أسلوب "قضاة السلام" ، حيث يتطور الفن تدريجيا للتخلي عن القناع نهائيا في مشاهد تشبه المشهد الذي سماه هنري لوت باسم "الفتاتان من الفولاني" [691] في منطقة جبارين نفسها[692] ،ويبدو أن هذه المنطقة قد شهدت عبادة آلهة الخصوبة، حيث طغت عليها مشاهد الربات والفينوسيات vénusوكثرت فيها مشاهد النساء مما يدل على الدور الهام الذي لعبته المرأة في الحياة عندهم، كما يدل أيضا على تغير الأسلوب في المنطقة فقد كانت المنطقة مركزا رئيسيا للمريخيين القدامى، وقد مر على هؤلاء زمنا طويلا فذهبوا وذهبت معهم آلهتهم ومظاهرهم الأسطورية، ليحل محلهم شعبا من الرعاة والمزارعين أكثر تطورا وذو فن رفيع، تجسدت ديانته الرئيسية في عبادة آلهة أنثوية.

---

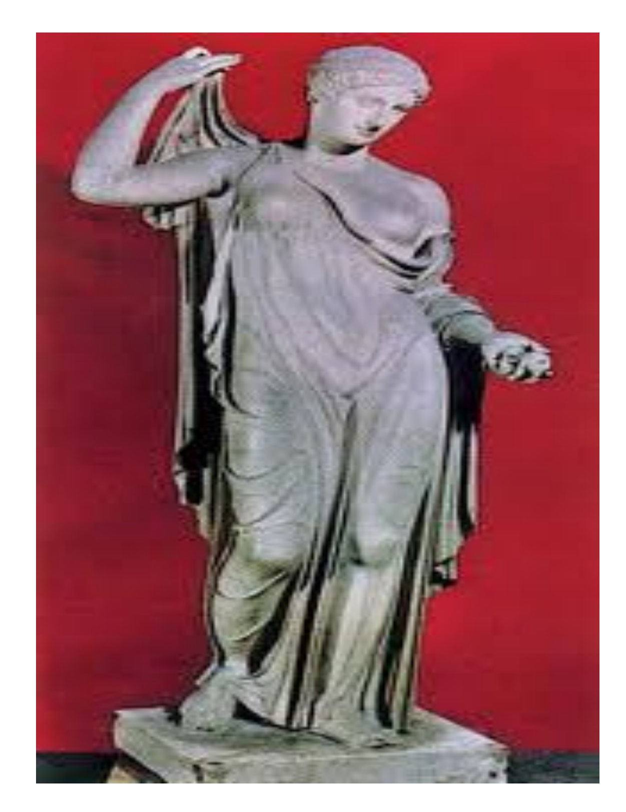
[690] افروديت :آلهة الجمال والحب والخصب مولودة في زبد البحر المختلط بمني من قضيب "أورانوس"إله السماء ،كما يعتقد أنها ابنة زيوس، ينظر: ط ب مفرج وآخرون (2005)موسوعة علم الأديان،بيروت: دار النشر نوبيليس ،ج6 ،ص21.

[691] h lhote(1958) op.cit.p 80.fig 34.

[692] تختلف منطقة جبارين عن صفار فهي أقل وعورة وهذا ما أدى إلى تواجد كبير للمشاهد التي تعود إلى مرحلة البقريات ،على عكس منطقة صفار التي تتواجد فيها نسبة اقل من مشاهد الأبقار كما أنها تعد من أكثر المناطق غنى بالرسوم ،مما جعل هنري لوت يصف الطاسيلي بأنها أغني منطقة في العالم من حيث الرسوم الصخرية ينظر:
h lhote(1958) op.cit.pp 82,135.



لوحة رقم 70 : الآلهة أنتينيا ربة الحب و الجمال في منطقة جبارين



لوحة رقم 71 : أفروديت ربة الحب والجمال الاغريقية

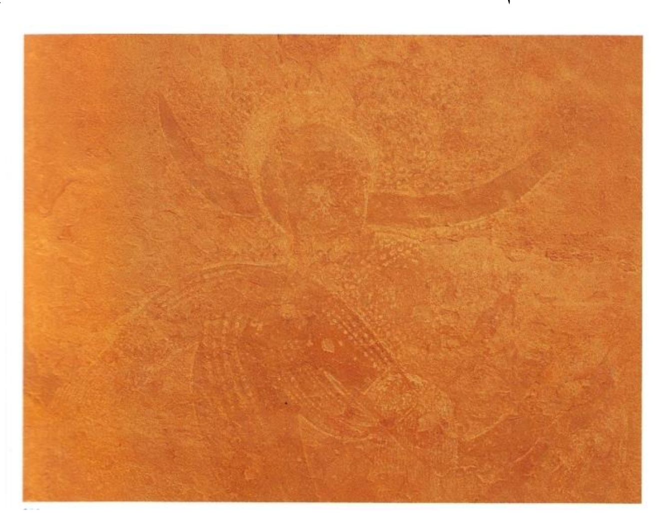
- الربة القمرية: (اللوحة رقم 72)

نجد رموز تمثل القمر في شكل الهلال وفي شكل البدر في عدد كبير من المشاهد منها على سبيل المثال مشهد "الإله الصياد في صفار" كما نجد ارتباط بين امرأة عملاقة والهلال في صفار أيضا في المشهد الذي سماه هنري لوت باسم "السيدة السوداء" [693] حيث تظهر في المشهد امرأة حامل بحجم كبير،وتبدوا مقنعة وذات زينات جسدية تشبه زينة" السيدة البيضاء " وهي هنا تمسك بالقمر بكلتا يديها ،فهذه المرأة تعد من الآلهة الكبرى ،و المشهد يدل أيضا على عبادة القمر المقترنة بآلهة الخصوبة الأنثوية .

وعبادة القمر منتشرة بشكل كبير في بلاد المغرب القديم حيث يذكر هيرودوت أن الليبيون يقربنون للشمس والقمر، ولم يستثن منهم إلا الساكنين حول بحيرة تريتون [694].



لوحة رقم 72 : الربة القمرية السيدة السوداء في جبارين



اللوحة رقم 73 : ربة الخصوبة السيدة البيضاء في اونرحات

المصدر : M hachid (1998) op.cit . p 396 fig 291

[693]Alain sèbe,op.cit.p60.
[694]Hérodote IV,188.

5-الفينوسيات: (اللوحة رقم 09)

نجد في منطقة تامريت[695] مشهد يمثل اثنين من الفينوسيات vénus وهما امرأتان عاريتان[696] كما توجد الكثير من المشاهد التي تشبهها، ففي جبارين نجد أربعة من النساء يرقصن وتوجد بجوارهن امرأة جالسة وضم المشهد أيضا أبقار محاطة بشكل أفعواني[697] وهؤلاء يقومون برقص إيقاعي وفق نسق معين (اللوحة رقم 83)، وفي نفس المنطقة يوجد مشهد سماه القس هنري بروي باسم" جوزيفين تباع من طرف إخوتها" حيث تظهر في المشهد أربعة نساء عاريات[698]، هذه المشاهد التي تمثل نساء عاريات هي مشاهد ذات خصوبة عالية، فهي تشبه صور وتماثيل النساء التي أكشفت في مناطق مختلفة من أوربا والتي تعود إلى العصر الحجري القديم (paliolithique) وتمثل نساء بدينات يعرفن باسم "الفينوسيات" vénus[699] .

ولا يتعلق الأمر فقط بالمشاهد الصخرية، فقد وجدت الكثير من التماثيل التي تمثل نساء وهو دليل آخر عن تقديس الخصوبة والمرأة، منها تمثال حجري يمثل امرأة في قبر "تين هينان"، وهو لا يشبه أي من تماثيل العصور القديمة أو على الأقل لا يشبه تمثال "تانيت"، وقد اكتشف في الأبالاسا (الهوقار) سنة 1934وهو محفوظ في متحف باردو[700] وفي سنة 1908 اكتشفت تسعة تماثيل أسطوانية الشكل الجهة العلوية منها تمثل صور شبه إنسانية في منطقة تابلبالة tabelbalet شمال التاسيلي[701].

1- المرأة في مشاهد الخصوبة:

توجد الكثير من المشاهد التي تظهر فيها نساء منفرجة الساقين سواء في النقوش الصخرية أو الرسوم، وهي إما تدل على وضعية الولادة أو تمثل مشهد جنسيا رمزيا دالا على الخصوبة،فهذه المشاهد الجنسية لا تعتبر مشاهد انحلالية[702] بقدر ما هي تعبيرا عن الروابط بين الرجل والمرأة، ويستدل جون لوكلاك بقوله هذا :« على أن المرأة أثناء الفعل

---

[695] منطقة تامريت:هي منطقة شديدة التعرية تبدوا كخرائب ، تقع إلي الشرق من جانت تقسم إلى تامرت العليا وتامريت السفلى(اللوحة رقم 09)،ينظر :

H lhote (1958) op.cit.p38, j d lajoux ,op.cit p38.

[696] h lhote(1958) op.cit.p56,fig14.

[697]j d lajoux , op.cit. pp 116-117.

[698] H lhote (1962) «L'abbé Breuil et le Sahara» *J S A* ,vol:32,n°1, p72 , j d lajoux, op.cit pp118-119

[699] يان إلينيك ،المرجع السابق ص ص 118-149 ، لوحات رقم 155-218.

[700]J Bouyssonie (1956) Collections Préhistoriques ,Album N°1, Paris: AMG, PLanche,CVI.

[701] H Lhote (1976) Vers d'autre …op.cit. P71.

[702] هيرودوت يذكر بعض الأخبار حول هذا الموضوع، منها أن النسامونnasamonsيجعلون نساءهم مشاعة بينهم ينظر:Hérodote IV,172، وذكر معلومات مماثلة عن الأوزيسauses ،ينظر: Hérodote IV, 180, وعن الجرامنتس يقول بليني الاكبرpline l'ancienأنهم لا يمارسون الزواج أبدا وأنهم يعاشرون نساءهم مختلطين، ينظر : Pline l'ancien,V,8

الجنسي يبدوا عليها عدم الاكتراث، وهذا يدل على أنه مشهدا رمزيا ولا يعبر عن الانحلالية»، أما القس بروي فيعتبر «أن مثل هذه المشاهد تعبيرا عن جنون جنسي لدى هؤلاء الناس»(703) والباحثة مليكة حشيد تقول: « أن روحا شيطانية سيطرت عليهم وشوشت أفكارهم فأنتجوا هذه المناظر الجنسية »(704) ، أما لاجو j d lajoux فيقول إن هذه المشاهد تعبيرا عن الحياة وتزايد الجنس البشري (705).

ولكن يجب أن لا نحكم على هذه الصور وهى منفردة بل يجب أن ننظر إليها في إطارها العام الذي توجد فيه، حيث توجد إلى جانبها حيوانات ورموز فما السبب في وجود هذه الرموز والحيوانات إذا كان المشهد جنسيا ؟

أولا هذه الحيوانات معظمها أبقارا وهي الحيوانات المفضلة للتضحية أما الرموز فقد أعطيت لها تفسيرات عديدة منها أنها مرتبطة بالولادة وببداية الخصوبة (706) ،فهذه المشاهد تعبر بشكل عام عن طقوس تضحية مرتبطة بسلامة المرأة أثناء الحمل وبسلامة المولود والغرض من وجود الرموز هو الحماية السحرية للمرأة، فهي ذات علاقة بنوع من سحر الخصوبة.

وما نعرفه عن المحرمات الموجودة لدى الرؤوس المستديرة مثل عدم رسم ملامح الوجه والفم والمناظر الجنسية يتناقض مع الآراء السابقة ، وحتى ولو فسرت هذه المشاهد على أنها تمثل الفعل الجنسي فإنما هي تعبير رمزي للخصوبة الإنسانية فالحصول على الأولاد كان يملأ تفكير الإنسان في ذلك الوقت ، لأن كثرة الأولاد تعني الحماية والثروة وزيادة أعداد القبيلة.

أما النظر إلى هذه المشاهد من زاوية ضيقة والقول بوجود تهتك و مشاعة عند الإنسان في ما قبل التاريخ يتنافى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وذلك لم يوجد حتى في العصور القديمة إلا في حالات نادرة منها قوم لوط المذكورين في القرآن الكريم (707)

وهناك مشاهد أخرى مختلفة تظهر فيها المرأة كرمز للأمومة فالمشاهد التي لا تظهر فيها نساء منتفخات البطن هي إما مشاهد طقوسية ، أو مشاهد جنسية أو مشاهد الحياة العائلية ،و بالنسبة للمشاهد العائلية فهي كثيرة خاصة في المراحل المتأخرة من الرؤوس المستديرة المتزامنة أيضا مع مرحلة البقريات bovidiene،ومن هذه الأمثلة نذكر مشهد في منطقة أوزينياري ozaneare(708)يمثل امرأة في أسفل اللوحة و أخرى في أعلاها مع

(703)J- L Le Quellec (1993) symbolisme…Op.Cit.P373.
(704)M Hachid (1998) Op.Cit , P 261 .
(705)J D Lajoux , Op.Cit.P103.

(706)J- L Le Quellec (1993) symbolisme… Op.Cit.pp199-200.
(707) قال اله تعالى:{ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ }، سورة العنكبوت، الآية 28.

(708) J d lajoux, op.cit. p 112.

أطفالهما،وفي صفار يوجد مشهد يضم امرأة حاملا و حولها رجل و أولاد [709] ،و كلاهما يشير بيده إلى الأولاد لكي يأتوه، وهو مشهد يمثل حنان الأسرة و الرغبة الشديدة في الأولاد التي كانت عند الإنسان في فترة ما قبل التاريخ .

هذا المشهد يتميز برمزية عالية ليس من حيث الزينات الجسدية فحسب و لكن لكثرة الرموز الدائرية حول الشخصيات وذلك يدل على سحر الخصوبة حيث أن كل من الرموز الدائرية والزينات الجسدية تعبر عن السحر ولعل الهدف منها هو حماية سحرية للأسرة و في صفار يوجد مشهد أخر يمثل امرأتين لكل واحد منهن طفل ، بينما نجد في دائرة موجودة على اليمين رجلا نائما وفوقه طفل صغير [710] ، التفسيرات لهذا المشهد متعددة فقد فسره الباحث عبد العزيز فرح على أنه يمثل الحياة و الموت باعتبار أن ذلك الطفل قد يبدوا أنه ينتحب على والده الميت [711] ، و لكن المشهد يمكن أن يعبر عن حنان الأب والابن وبالتالي فإن هذا الرجل إنما يداعب ابنه أما وجود امرأتين مع أولادهما إلى جانبه في المشهد فيمكن أن يمثل تعدد الزوجات في ذلك الوقت ، وفي أوزيناري[712]ozaneare دائما يوجد مشهد يمثل مجموعة من النساء يتشاجرن[713] ، يبدو أن هناك خلاف قد نشب بينهم على الأولاد أو الأزواج .

يمثل مشهد "الإله الكبير في صفار" مشهد نموذجيا لصور النساء في وضعية الولادة ، حيث توجد امرأة متراكمة مع الظبي الأحمر العملاق، أما وضعية الحمل فهي كثيرة في فن الرؤوس المستديرة لان معظم النساء هن ذوي بطن منتفخ ، ومن الأمثلة على ذلك "السيدة السوداء" في صفار ، و المصليات في مشهد "الإله الكبير" في صفار أيضا، وهناك مشهد آخر من صفار[714] يمثل ثلاثة نساء ذوات بطن منتفخ يبدو أنهن يمشين ببطء فهن حوامل(اللوحة رقم 55)، يتميز هذا المشهد بزينة جسدية عالية ، كما يوجد مشهد مماثل في تان زومتياك[715] حيث الزينات الجسدية للنساء تغطي الجسم كله في شكل نقاط من صفوف ثلاثية وهذا التزيين يمثل أسلوبا موحدا في كل المشاهد التي تظهر فيها نساء حوامل ، فهل لهذه الزينات الجسدية علاقة مع الخصوبة ؟ و ما ذكرناه سابقا عن العلاقة بين الزينات الجسدية والسحر هل ينطبق على سحر الخصوبة ؟ لعل تلك الزينات الجسدية تمثل رموز سحرية لحماية المرأة والمولود .

كما نجد مشاهد من نوع آخر في صفار تمثل العديد من الشخصيات منها امرأة كبيرة في السن تتوكأ على عصا و تمسك بظهرها و هي تمشي بصعوبة ينحي أمامها عدد من

---

[709] Ibid p 48.
[710] h lhote(1958) op.cit.p134fig56.
[711] Abdelaziz Farrah , op.cit.p269,fig329.
[712] أوزيناريozanéaré تقع هذه المنطقة تقع هذه المنطقة شمال جبارين تكثر بها خاصة مشاهد مرحلة البقريات .
[713] Ibid, p 207, fig 231.
[714] Alain Sèbe, Op.Cit.P73.
[715] Hg Hugot(1974) , op.cit.p275.

الرماة [716]، بقدر ما يمثل هذا المشهد من ذوق فني رفيع و تجسيدا للحياة والعواطف الإنسانية ، خاصة الأمومة ممثلة في الجدة التي يحترمها أولادها و أحفادها بشكل كبير بالقدر نفسه فإن هذا المشهد معبرا عن الخصوبة في هذه الأم الكبيرة و حولها أبناءها .

مشهد أخر في منطقة وان درباون[717] ouan derbaouan[718] من أسلوب "اهيرن تاهيلاهي" يمثل المشهد امرأة طاعنة في السن من خلال إنحاء ظهرها وهي تتجه نحو ثلاثة أشخاص يتشاجرون، فهي ذاهبة لإيقاف ذالك الشجار لان أحد الأشخاص أخبرها بذلك ، يعبر هذا المشهد على دور المرأة في الحياة القبلية في شكل "الأم الكبيرة" .



لوحة رقم 74 :مشاهد الحياة الاجتماعية للمجموعات البيضاء في موقع إهرن

إعادة رسم لمشهد في منطقة إهرن في الطاسيلي لمجموعة من الاشخاص من الجنس الابيض متحلقين حول إمرأة ، يبدو أن الامر يتعلق بمناسبة إجتماعية ربما للطفل الصغير الموجود في المشهد علاقة بذلك.

المصدر: Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs, Part 39, StoneWatch Work Februar 2012, p19

[716] J d lajoux , op.cit .pp 120-121.

[717] وان درباون ouan derbaouan هي منطقة جبلية قريبة من تين ترتيت ومن تيتراس نلياس ينظر :
H Lhote(1976)Vers… Op.Cit .P87

[718] Abdelaziz farrah,p 261.fig 321.



الشكل رقم 75: إعادة رسم لمشهد يمثل عاطفة الامومة في منطقة جبال إفدانويين Ifedaniouène غرب الطاسيلي .

المصدر : Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren … p35

2– دور المرأة في فن الرؤوس المستديرة :

النساء يقمن بدور مهم فهن يحضين بالاحترام الكبير وقد يصل الأمر إلى عبادة المرأة في شكل آلهة أنثوية، والمرأة ترتبط أيضا بالقصص الأسطورية التي تركها الإنسان مرسومة على الجدران ففي غياب النصوص فإننا نستنطق هذه المشاهد لعلنا نستخرج منها أسطورة الخلق التي لاحظنا أن المرأة لعبت دورا رئيسيا فيها[719] ، كما نجد المرأة مقنعة بقناع يمثل حيوان من فصيلة الكلبيات الذي قد يكون ابن آوى فهي في هذه المشاهد تمثل آلهة للخصوبة ،فقد لاحظنا وجود شعوب عديدة ترمز المرأة للأرض و الرجل للسماء وقدُتمثل خصوبة الأرض والسماء في شكل مشهد جنسي للمرأة والرجل، وهذا ما نجده في مشهد نادر للآلهة "نوت" آلهة السماء والإله "جب" اله الأرض في مصر[720].

إلى جانب الدور الديني قد تمثل المرأة كساحرة أو كاهنة ففي مشهد أوان تماوت uan tamaout في الاكاكوس تظهر امرأة في صورة ساحرة يأتي إليها رجلان بفتاة صغيرة كي تعلمها الأسرار الدينية في مشهد يعبر أيضا عن طقوس المسارة rite d'initiation[721] وقد تعبر صور المرأة عن الحياة والخصوبة أو الجمال[722]كما يمكن أن تظهر في مشاهد معبرة على الأمومة، و كمؤشر محتمل عن الأمومة في ما قبل التاريخ يذكر أن أربعة من كل خمسة مدافن في موقع السقاي في السودان هي لنساء، و القليل من المقابر التي نقبت في الصحراء تمثل غالية لنساء و أطفال في وان موهيجاح وفي تين هنكاتن[723].

من جهة ثانية يقول بعض الباحثين بوجود عنصر أمومة مسيطرا على حياة الإنسان و هو ما يعرف "بالأسرة الأميسية" فغالبا ما يرتبط بالنظام الأموسي بعبادة"الربة العظيمة الممثلة للخصوبة [724] أو في صفة "الأم الكبيرة "، كما أن صورة المرأة التي تظهر في الرسوم أو في المنحوتات قد تدل على الأجداد الاسطورين وتكون الطقوس في هذه الحالة موجهة إلى الربة العظيمة [725] وعند بعض الشعوب البدائية كالاستراليين وسكان الأمازون فإن المرأة خلقت قبل الرجل [726].

---

[719] لعبت المرأة دورا رئيسيا في أساطير الخلق المصرية أيضا فالآلهة "نيت"آلهة منطقة سايس في غرب الدلتا التي تعتبر من أكثر المناطق المصرية اتصالا بالليبيين ، ورد ذكرها في ما قبل الأسرات ضمن فخار نقادة ، اعتبرت أم "رع" انبثقت من ذاتها ثم صارت بقرة ثم سمكة أضاءت البصر بعينها في الوقت التي كانت الأرض مليئة بالظلمات فخلقت النور ،ينظر :خزعل الماجدى (1999) ، المرجع السابق ص81.

[720] ياروسلاف تشرني،المرجع السابق ،ص51.

[721]H G Hugot , Op.Cit.P159.

[722]Henri delporte , op.cit.pp266-267.

[723] [4]فيكتور فرناندز (2005) اربع ألاف سنة في النيل الأزرق ، ترجمة أسامة عبد الرحمان نور ، مجلة الآثار السودانية ،عدد 7،ديسمبر 2005ينظر: الموقع الالكترونيwww.arkamani.org:

[724]Claudine cohen(2007) l'art rupestre et les rôles de la femme au paléolithique Valcamonica symposium 2007,p102,copie electronique.

[725]henri delport,op.cit.,p271.

[726]E anati,Op.cit.p28.

ظلت المرأة تحضى بالمكانة الكبيرة حتى في المراحل الأخيرة من الفن الصخري ففي مرحلة العربة و الحصان تصحب الرجل في رحلاته و تبدوا في المشاهد اكبر حجما منه ، أما في طور البقريات فالمرأة أقل تأثيرا حيث أن ذلك يتوافق مع طبيعة الرعاة الذين يعطون اهتمام اكبر للأشكال الذكرية[727]، ففي مشاهد الرعاة تشارك المرأة إلى جانب الرجل في العمل ، كما أنها تتنقل معه حيث وجدنا مشهد في منطقة صفار يمثل امرأة تتبع رجلا [728] ، ويحتمل أن بعض النساء كن يحاربن إلى جانب الرجال خاصة في مرحلة العربة والحصان،ويذكر في هذا الإطار ديودور الصقلي Diodore de cicile, بأن النساء"الأمازونيات les Amazones[729]يتحكمن في الرجال[730] ، كما يذكر" الغرغونات" Les Gorgonesوهن نساء محاربات [731] أما هيرودوت فيذكر أن الاوزيس auses الذين يعيشون حول بحيرة تريتون يختارون فتاة جميلة ويقومون بتزينها في صورة الآلهة "أثينا" وُيركبوها في عربة ويطوفون بها حول البحيرة ، وان هذا الاحتفال يفعله هؤلاء مرة في السنة وقد ورثوه عن أجدادهم [732] ،ومن خلال هذا النص نستنتج وجود آلهة أنثوية تعود إلى فترة قديمة ظل الناس يحتفلون بها إلى زمن هيرودوت (484-426ق م)[733]، رغم أن هذه المعلومات ذات طابع أسطوري لكنها مع ذلك تدفعنا إلي التفكير في دور المرأة في ما قبل التاريخ وفي العصور القديمة .

ففي زمن هيرودوت كان نساء قبيلة الزواكيس zaueces يقدن العربات في القتال[734]وهناك مشاهد في تيسوكاي tissoukai و اهيرن iherenتوضح مشاركة المرأة في العمل مثل صور نصب الخيام التي تقوم بها المرأة، و اليوم لدى الطوارق المرأة هي من تصنع الخيمة [735] وهي التي تستقبل الضيوف، كما أن الطفل يرث الجاه والثروة عن طريق الأم فعند ما يموت الزعيم يخلفه ابن أخته و ليس ابنه[736].

---

[727] فيكتور فرناندز،نفس المكان.

[728]h gHugot (1974), op.cit.p 91.

[729] تعني هذه الكلمة المنزوعات الأثداء لأن هؤلاء النسوة يقومون بحرق أثداء البنات الصغار حتى يوقفن هذا العضو عن النمو فلما يكبرن يصبحن قادرات على الرمي بالنبال ،ينظرDiodore de cicile(1834)bibliothèque: historique, trad .par ferd hoefer, librairie de hachette ,paris:,III,53.

وقد ذكر ديودور الصقلي نساء أمازونيات في أماكن أخرى لكنه قال بأن الأمازونيات في ليبيا هم الأقدم في الزمن ينظر , III,52:Diodore de cicile، وحدد موطن هؤلاء في جزيرة تدعى هاسبيرا*Hespéra*تقع في بحيرة تريتونTritonis وقد حدد موقع هذه البحيرة قرب المحيط ، ينظرIII,53:Diodore de cicile ,

كما أورد ديويدور الصقلي أخبار كثيرة عن حروب الأمازونيات مع الاطلنتس،ومع الغرغونات ثم مع هرقل حيث ينتصر الإغريق دائما على أعداءهم في هذه الأخبار ذات الطابع الاسطورى، ينظر:Diodore de cicile,III,54.55

[730]Diodore de cicile,III,53.

[731]Diodore de cicile,III, 55.

[732]Hérodote,IV,180.

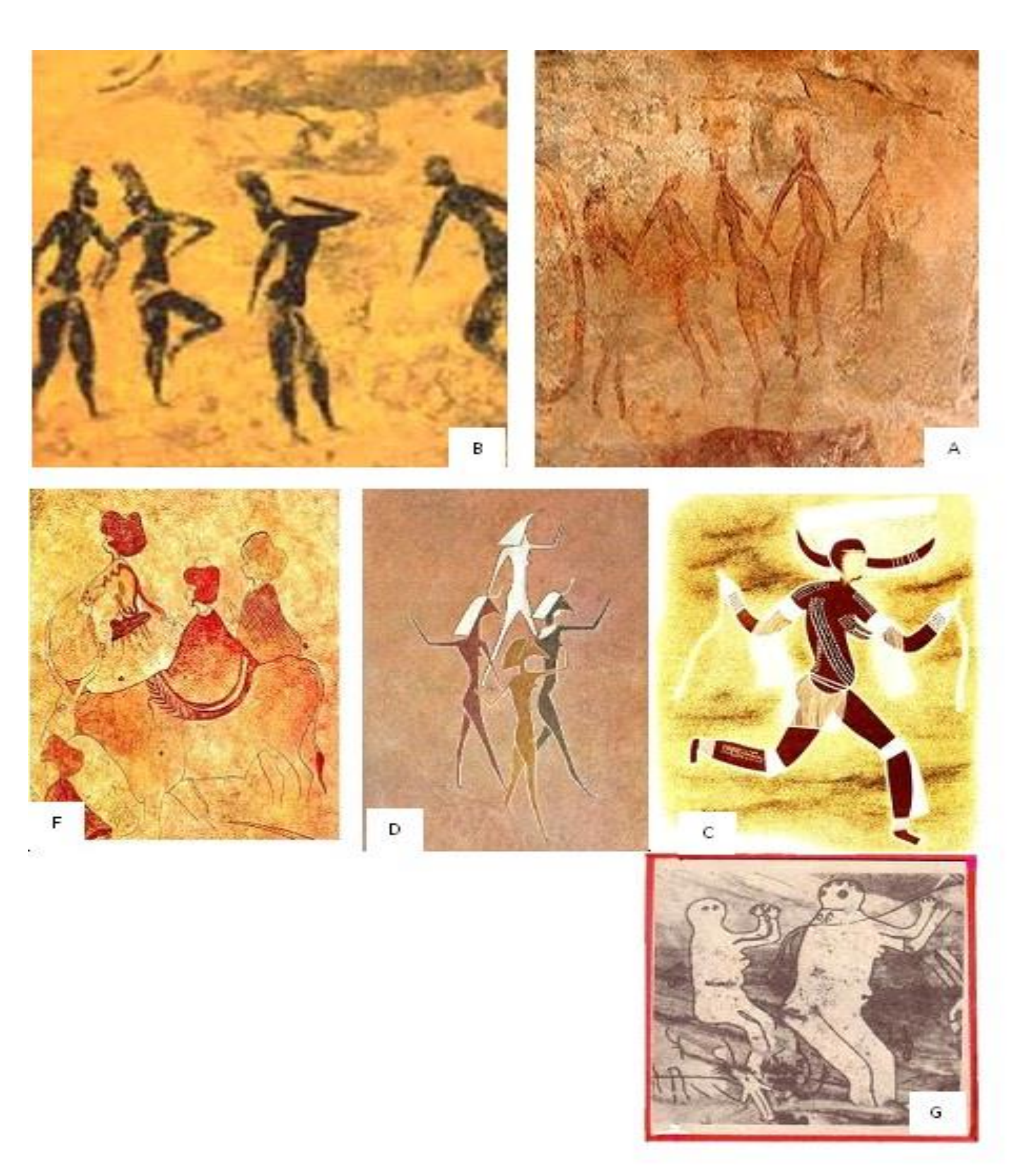
[733] عبد الإله الملاح (2001) تاريخ هيرودوت،ابوظبي : المجمع الثقافي ،ص ص22،20.

[734]Hérodote IV,194.

[735]Nagette Aïn Seba, (2002) Architectures premiers .Algérie .deux millions d'années d'histoire: un année d'Algérie en France. P4.

[736] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص177.

يميل بعض الباحثين إلى القول بوجود دور ديني وسحري للمرأة خلال العصر الحجري القديم ،ويتمثل ذلك في الخصوبة وطقوس الصيد ، وقد تكون نسبة لا بأس بها من الرسوم الصخرية من تنفيذ النساء إذ يوجد ما يدعم ذلك في مناطق من العالم التي لازال فيها الفن ينجز إلى اليوم، فلدى السكان الأصليون في استراليا مكانة المرأة كبيرة في هذا الفن الصخري ذو الطابع الديني (737).

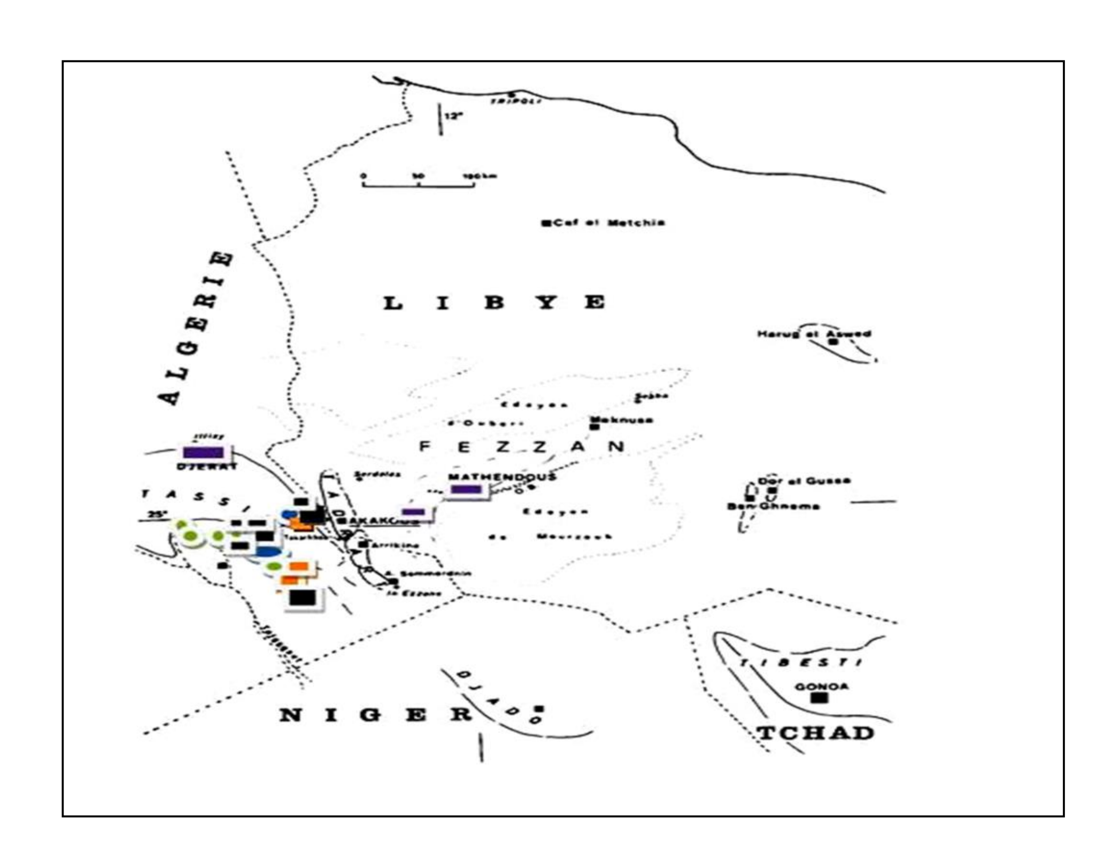


لوحة رقم 76 : مشاهد لنساء في مناطق مختلفة من الطاسيلي
A,B,D جبارين ، C أونراحات ، F إهرن ، G صفار

(737)Claudine cohen, op.cit.,p100.

أما في الطاسيلي فإننا نلاحظ كثرة مشاهد النساء الحوامل والحيوانات، وبما أن الفخار من صنع النساء و زخارفه تشبه إلى حد كبير الزينات الجسدية للشخصيات التي في معظمها من النساء، فهذا يدل على أن المرأة هي التي نفذت الكثير من المشاهد التي تتضمن الزينات الجسدية ، كما أن معظم المشاهد لا تعبر عن العنف فمشاهد القتال قليلة جدا ، و إن وجدت فهي لا تتضمن جرحى أو قتلى وذلك يتناسب مع طبيعة المرأة .

فقد اهتمت المرأة أولا بالفخار ثم بالفن الصخري الذي ساهمت في انجازه وهي مرتبطة دوما بالمشاهد الدالة على عبادة آلهة الخصوبة حيث تظهر في صورة "الربة العظيمة "كما تظهر في صورة الأم، وفي صورة الكاهنة أو الساحرة وفي مشاهد الرقص الطقسية ، وكل ذلك يدل على أهمية المرأة في المجتمعات الصحراوية في ما قبل التاري





الشكل رقم 55 : الاديان في منطقة الطاسيلي في ما قبل التاريخ

ب- الآلهة الذكرية

تمثل الآلهة الذكرية شخصيات مركزية في المشاهد ،بحيث يدور المشهد كله حول شخصية واحدة وتصبح جميع الشخصيات الأخرى ثانوية مقارنة مع الشخصية المركزية .



اللوحة رقم 77 : الإله الكبير في صفار، المصدر: hachid(1998)M op.cit.p164,fig250



اللوحة رقم 78 : الإله المريخي في جبارين ، المصدر : G Aumassip (1993)op.cit.p4

ب- الآلهة الذكرية

تمثل الآلهة الذكرية شخصيات مركزية في المشاهد ،بحيث يدور المشهد كله حول شخصية واحدة وتصبح جميع الشخصيات الأخرى ثانوية مقارنة مع الشخصية المركزية .

1- "الإله الكبير في صفار : (اللوحة رقم 76)

المشهد يغطي مساحة تقدر ب 30 $م^2$[738] و يصعب تمييز المشهد الأصلي بسبب كثرة الصور المتراكبة، و لكن على الأقل يوجد في المشهد الأصلي الإله الكبير و المصليات والحيوانات [739] ،ومن الممكن أن مشاهد الشخصيات الصغيرة في الأسفل قد تمثل الأولاد.

و كل المشهد يدور حول الشخصية المركزية، أما هؤلاء النسوة فهن يطلبن من الإله الكبير أن يمنحهن الأولاد ، فأيديهن مرفوعة بالدعاء لأن تكون ولادتهن سليمة وأن يعيش أولادهن في كنفهن طويلا ، أما الحيوانات التي تظهر في المشهد فتمثل القرابين التي تقدم للإله الكبير ، و حيث أن إحدى هذه الظباء قد رسم مقلوبا مما يدل على انه تم التضحية به فعلا، أما الظبي العملاق فهو أنثى حاملا، و إلى جانبه صورة المرأة في وضعية أفقية تمثل الولادة ، فهذا المشهد يعبر عن خصوبة النساء و تكاثر الحيوانات.

الإله الأكبر يبلغ علوه 3.25 متر[739] ، فالحجم الكبير يعبر عن القوة ،ومن الممكن أن يكون إله المطر [740]لأننا نجد سحب في المشهد كما نجد خطوط على سيقان هذا الإله تدل على الأمطار ، كما أن وجود المشهد في منطقة صفار ليس محض صدفة فهذه المنطقة الجبلية ذات التضاريس الفريدة من نوعها في شكل "غابة الحجارة " وهي التسمية التي أطلقها هنري لوت على المكان[741]، والجدار المزين تم اختياره بعناية ونحن نعتقد أن هذا المكان كان بالنسبة لهم بمثابة بيت الإله أو المكان الذي ينزل إليه من السماء[742] ، فكانوا يقيمون طقوسهم فيه ويقدمون القرابين لإرضاء الإله حتى يمنحهم الخصوبة ويحصلون على الأولاد .

والجدار المزين يتجه نحو فناء محدود بملجأ آخر فهو بمثابة ممر طبيعي ، ومن المفترض أن هذا الفناء هو الذي كانت تقام فيه الطقوس المجسدة في الجدار ، و أن تمثال الإله الكبير و مختلف الأغراض الطقسية كانت موجودة فيه أيضا ،أما المذبح فقد لا يكون بعيدا عن المكان .

---

[738]M hachid (1998) op.cit .p 192.fig 272.

[739]H lhote (1958) op.cit.p20.

[739]M hachid (1998) op.cit .p 194.fig 277.

[740]René gardi .julantha neukum tschudi,op.cit .p8.

[741]H lhote (1958) op.cit.p192.

[742] شعوب كثيرة كانت تعتقد أن المعبد هو بيت الإله مثل شعوب بلاد الرافدين، ينظر الأساطير السومرية المتعلقة بالإله"**إنليل**": صمويل نوح كريمر وآخرون،المرجع السابق ، ص78.

تقول مليكة حشيد عن هذا المشهد أنه يمثل أحد أقدم الأساطير، فالمرأة و الحيوان يمثلون وحدة رمزية لخصوبة الحياة[743] وهو يعبر عن أسطورة بدئ الحياة .

- الإله الكبير الصياد في صفار:يبلغ طول الشخصية 2 متر وهو ذو قرون وزوائد مع حلقات حول الذراعين والساقين، مع رمز للهلال ، يحمل الإله في يده عصا طويلة أما في الأخرى فيوجد سمكة لكن حاشيد وبعض الباحثين الآخرين يقولون أنها عبارة عن كيس[744]، وهذه اللوحة لا تختلف كثيرا عن المشهد السابق فهو أيضا يعبر عن مشهد لإله الخصوبة رغم عدم وجود صور لنساء في حالة حمل.

– آلهة وادي جرات: (اللوحة رقم 78).

نجد في وادي جرات الكثير من المشاهد الجنسية، وهو ما يجعل من هذه المنطقة إلى جانب منطقة صفار و اونرحات من المناطق الهامة التي انتشرت فيها عبادة آلهة الخصوبة، وقد اعتبرته مليكة حشيد موطن للخصوبة وللنساء المفرجات الساقين[745].

حيث تمثل مشاهد صخرة أهانا ahana مشهدا جنسيا متعددا[746]، يشترك فيه عدة شخصيات برؤوس من فصيلة الكلبيات théranthropes cynocéphaleبشكل غير طبيعي ،والشخصية الكبرى المركزية في المشهد تمثل كائن أسطوريا ويمكن أن يكون إله "القوة الذكرية" أو "إله الخصوبة والقوة الجنسية"، فهذه الشخصية الكبرى المقنعة وذات القرون تشرف على المشهد بأكمله ،فهو ينظر ويشير بيده إلى الأشخاص الذين هم في وضع جنسي، والجدير بالذكر أن الشخصيات الأنثوية مقنعة أيضا بقناع لفصيلة الكلبيات و يعد مشهد هذا الإله قريب الشبه بمشهد الإله المصري "بيس"bés[747] الذي يوصف بأنه حامي الُكتاب[748] كما توجد مشاهد أخرى في نفس المنطقة وتقريبا نفس العناصر الموجودة في المشهد السابق،حيث يلاحظ دائما وجود وضعيات جنسية متعددة لكائنات برؤوس من فصيلة الكلبيات مع نساء مقنعات وعملاقات ، ونحن نتساءل عن السبب في تضخيم حجم النساء وعن كونهن مقنعات؟

أما فيما يخص قناع الكلبيات فإنه يدل على ارتباط هذه الحيوانات بشخصيات أسطورية تمثل آلهة القوة الذكرية ،ونجد الدليل على ذلك في مشهد في نفس المنطقة (صخرة أهانا في الضفة اليسرى لوادي جرات) حيث أن هذا الحيوان يلامس بفمهقضيب إحدى الشخصيات ،كما نجد مشهد مطابق له لكن هذه المرة بعيدا عن وادي جرات فهو في

---

[743]M hachid (1998) op.cit.p 165.fig 250.

[744] Ibid..p297.fig 280.

[745] Ibid.p266.

[746] H lhote (1976) gravures…op.cit. T1, p 101, fig 372,station25.

[747] بيسbés :هو إله في هيئة قزم له وجه قبيح يعتبر إله للمرح والسرور وحاميا للمرأة أثناء الولادة، ينظر : ياروسلاف تشرني ،المرجع السابق ،ص226.

[748]Abdelaziz farrah , p 43.fig 176.

وادي امراوين الذي يقع في هضبة المساك البيضاء(مساك ميلي)[749]حيث يوجد نفس المشهد تقريبا[750] ،أما المشاهد المماثلة له في تين لالان بالاكاكوس فقد فسرها الباحث فابريزيو موريعلى أن وجود الحيوانات فيها من أجل التضحية، وأن هذه المنطقة كرست لعبادة الخصوبة المقترنة بالروح التعويذية الدينية المسيطرة [751].

تنتشر أيضا مشاهد الشخصيات القضيبية في الصحراء الوسطي وهي حسب الباحث بيار لوفاكPierre Levèqueمعطيات ثقافية مهمة من الصحراء الوسطى لم تنتشر كثيرا في الأطلس الصحراوي، وهي تجسد الطاقة الحية الضرورية للصيادين[752]،ولكن مع ذلك نجد أمثلة عنها في مناطق أخرى من الجنوب القسنطيني مثلا في:كاف سيدي صالح وكاف تاسنغا والكاف الطارفاني

وشعبة الهلسا chabet el heulsa[753]، وفي الجنوب الوهراني: في موقع الكريمة el karimaوموقع الرصفة الحمراء من التحت rasfat hamra min that[754].

بعض تلك الشخصيات ذات قناع و قرون [755] وقد اعتقد الباحث جيرارد جاك أن هذه المشاهد القضيبية تشبه الإله المصري "سيت" sèth وهو بمثابة إله الأرض أو الصحراء أي الأرض الواقعة في الغرب، ويعرف أيضا بارتباطه بقوة التناسل[756]، هذا الإله المرتبط عند المصريين بالشر هو عدو "ازوريس" في قصة الخلق[757] ومن الممكن أن يكون من أصول صحراوية فقد يكون نسخة عن اله الخصوبة في وادي جرات وذلك لأن المشاهد القضيبية في وادي جرات تعد بالعشرات، و كثير منها تشبه الإله "بس" bés والإله "ست" sèth[758]. (أنظر لوحات رقم 64، 79).

---

[749] منطقة المساك هي عبارة عن كتلتين تقعان على مقربة من وادي تانزروفت وهما مساك ميليmessek mellet أي مساك البيضاء و مساك ستا فتmessek stafette أي السوداء ،ينظر :بشي، المرجع السابق ،ج2،ص106.

[750]j- l le Quellec (1996) «a propos de quelques canides du fezzan (libye) » bollettino del centro studi e Museo d'Arte Preistorica di Pinerolo, Italia Survey 1993-1994-1995-1996 - Anni VII-VIII-IX-X ,p106.

[751] بشي ، المرجع السابق ، ج 4، ص 18 .

[752]Piere Levèque, op.cit.p 45.

[753] Gillette et Louis le Febebvre(1967) corpus des grauvres et des peintures rupestre dans la région de constantine , mémoire de CRAPE, n°7, paris: editions AMG, p188, fig 133,132,137, 235,165.

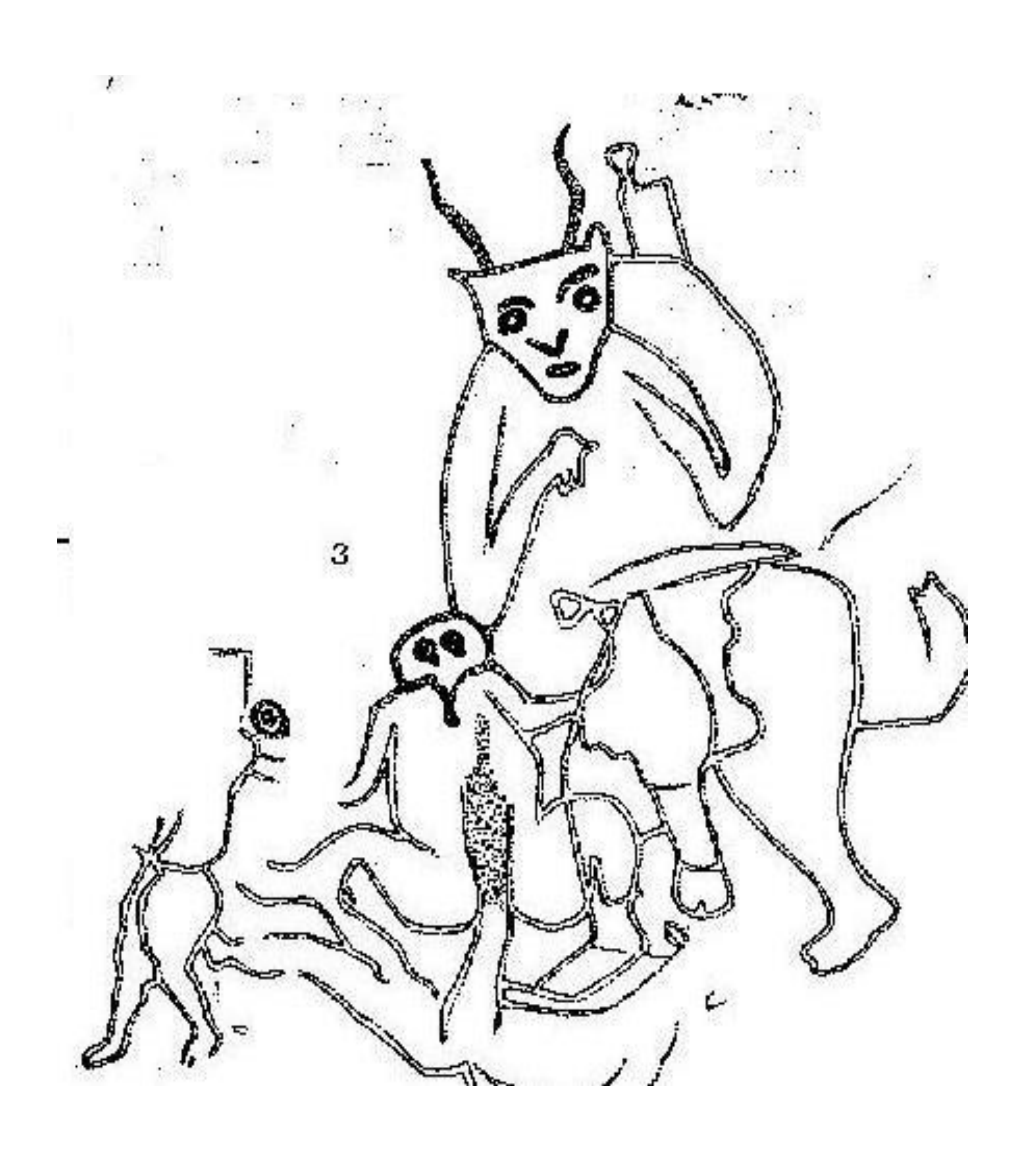
[754]H lhote (1970) les gravures rupestre du sud –oranais ,mémoire de CRAPE,n°16,paris: edition AM G , p141,76,fig19,42.

. [755]H lhote(1976)gravures …op.cit.T2 p187.fig 682.stations XVII

[756]Gerard jacque ,op.cit.p31.

[757] صمويل نوح كريمر وآخرون ،المرجع السابق ، ص ص54-55.

[758] الإله "ست":sèth له هيئة إنسان برأس كلب،ويعد أقدم آلهة مصر، مركز عبادته في آمبوس (محافظة قنا) يرمز للشر،ينظر:ياروسلاف تشرني ،المرجع السابق ،ص ص226،232.

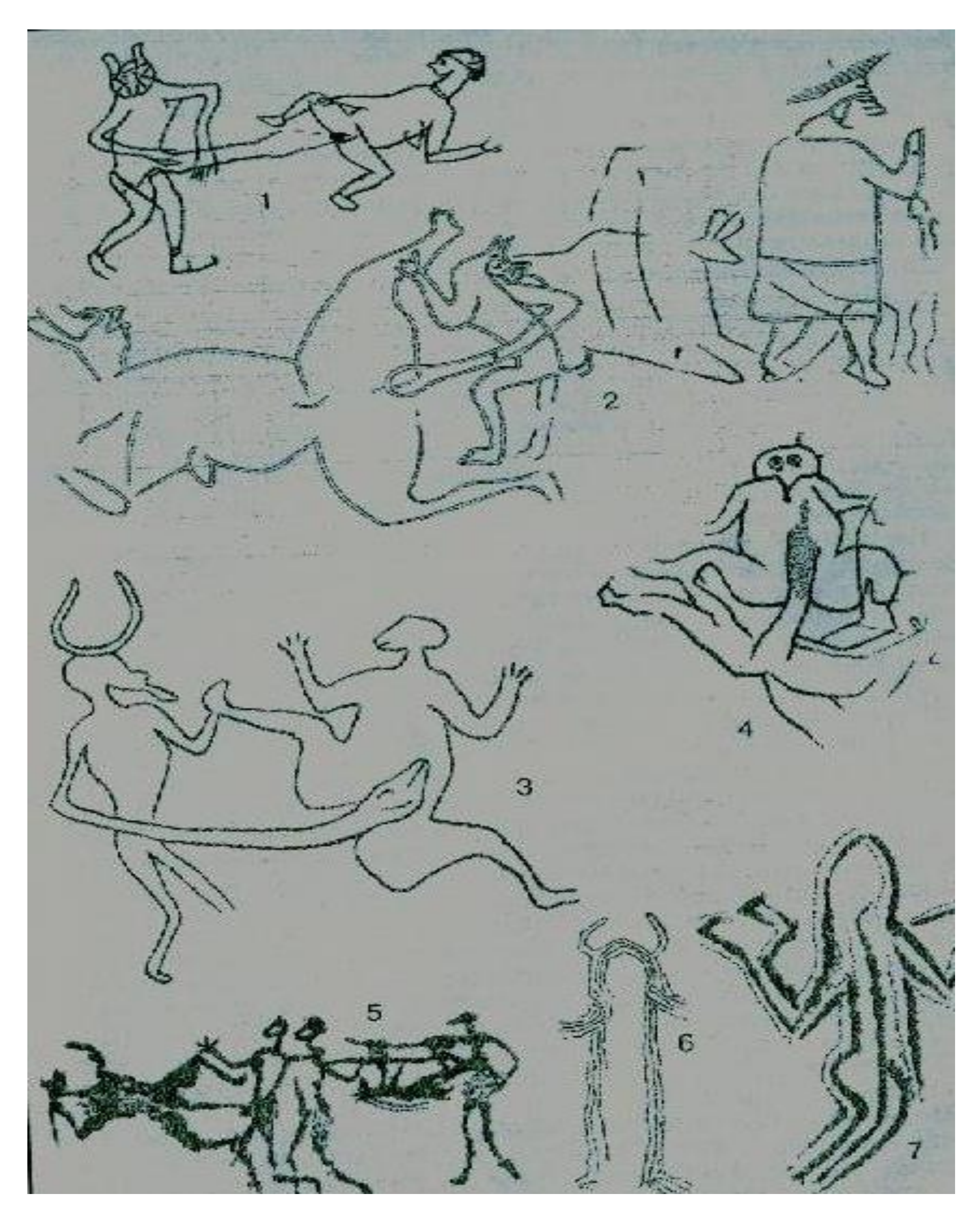


اللوحة رقم 79 :

إله الخصوبة في وادي جرات (صخرة أهانا في الضفة اليسرى لوادي جرات)

المصدر:

H lhote(1976)gravure…op.cit.T1,p100,fig372.

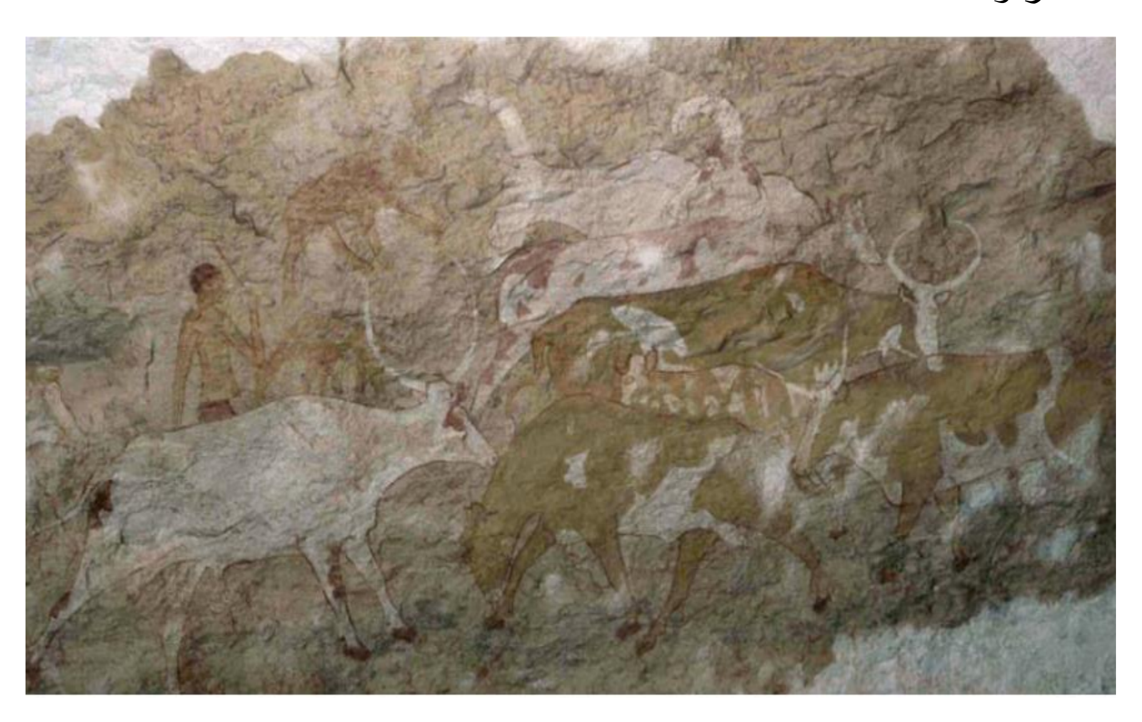


لوحة رقم 80 : مشاهد جنسية في مناطق من وادي جرات في الطاسيلي تعبر عن الخصوبة والتكاثر

ج- مظاهر الخصوبة:

تدل مشاهد القطعان الكبيرة على النماء والزيادة في أعداد الحيوانات فالاشخاص الذين رسموا هذه القطعان إنما كانوا يهدفون إلى نماء أعداد قطعانهم وزيادتها، وهم يرسمون دوما قرب القطعان رموز ودوائر وأشكال أفعوانية لحماية القطعان من الأمراض في نوع من سحر الخصوبة، مثل هذه التقاليد لا تزال موجودة لدى الرعاة من الفولاني إذ تعد الأفعي" تيانابا " tayanaba حامية القطعان لديهم (759) .

ومن مشاهد القطعان نذكر مشهد في منطقة تيكادودوماتين tekadedoumatin الذي عنونه هنري لوت باسم "مخيم للبقريات" (760) ، يلاحظ في المشهد أن الرعاة يجتهدون في جعل الأبقار تأتي في خط واحد،و في اهيرن هناك مشاهد تمثل القطعان الكبيرة من الأغنام والأبقار(761)وانتقال الرعاة بحثا عن الكلأ، كما نجد مشاهد لأبقار ذات أثداء كبيرة في تين تزاريفت(762) تدل على الخصوبة في العالم الحيواني، كما أن مشاهد الحيوانات مع أولادها تعبر أيضا عن الخصوبة الحيوانية(763)،ومشاهد أخرى تعبر مباشرة عن التكاثر الحيواني بين ذكر الحيوان وأنثاه كما في منطقة انا لدومان Analedoumen(764) الذي يمثل ذكر الماعز وأنثاه



لوحة رقم 81 : مشهد لقطيع من الابقار متعددة الالوان في وادي تاسات غرب الطاسيلي .

(759)G Dieterlen & A Hampaté Bâ ,op.cit.p146.
(760)H lhote (1976) vers d'autre…op.cit.p 92,fig 41.
(761)Ibid.p 144,.fig53,54,55.
(762) H lhote(1958).p120.fig 47.
(763)J d lajoux,op.cit.p75.
(764)h gHugot,p215.

المصدر : Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren … p35

من الممكن أن تكون مشاهد القطعان الكبيرة من الأبقار والأغنام والماعز، معبرة عن سحر الخصوبة، فالمشاهد ذات الطابع الرمزي تدل على رغبة الرعاة في نماء أعداد قطعانهم، ففي اعتقادهم أن رسم الأعداد الكبيرة من الحيوانات قد يعطيهم القدرة على امتلاكها، ووفق هذه الفكرة فالرعاة يشبهون الصيادين في مرحلة الجاموس العتيق bubaline الذين مارسوا نوع من الصيد السحري، فبرسم الحيوانات على جدران الكهوف يمارسون على الحيوان نوع من الهيمنة يساعدهم ذلك على القبض عليه، وقد كان القس بروي l'abbé brueilهو أكبر الداعمين لهذه النظرية التي تسمى" الصيد السحري"[765].

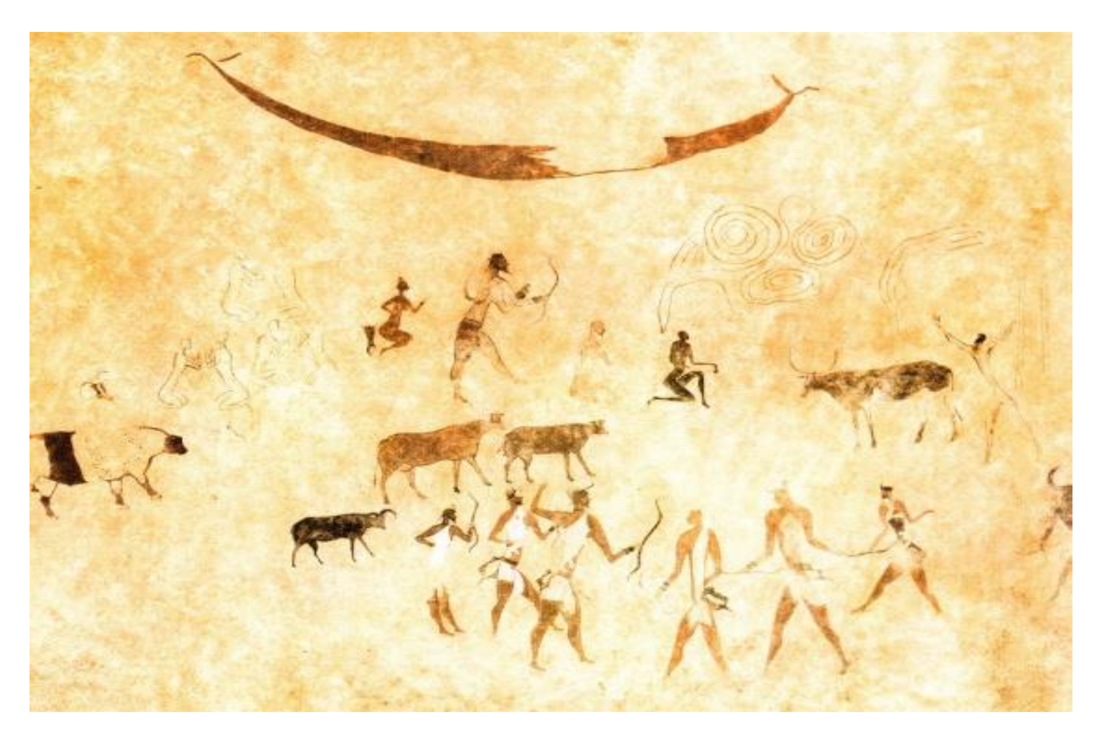
من جهة أخرى فإن بعض المشاهد تدل على انتشار الجفاف فهي تمثل طقوس من أجل استدرار المطر، ويذكر في هذا الإطار ڤزال gsell أن قلة الأمطار تعود إلى غضب الآلهة وعقابها بالجفاف، لذلك سعى الإنسان في العصور القديمة لكي يهدأ من غضب الآلهة، وقد كانوا في بلاد المغرب يخرجون في جماعات إلى الهواء الطلق ويعبرون عن رغبتهم في المطر وذلك بسكب بعض الماء على التربة، ثم يلعقونها ويعفرون وجوههم بالوحل[766]، ونحو ذلك ما ذكره هيرودوت من أن النسامون كانوا عندما لا يجدون شيئا من السوائل يأخذون التربة من الأرض ويلعقونها[767] ، وذكر في موضع آخر أن النسوة يتجمعن في الأودية القريبة حول بحيرة تريتون[768] ويستحممن في الهواء الطلق في الصباح الباكر ثم يستعطفن الآلهة لاستدرار المطر وطلب الإخصاب[769].

[765]Sophie A,De Beaune,Op.Cit.P205.
[766]gsell (1927)op.cit.p122.
[767] hérodote,IV,172.
[768] تريتون tritonis قال عنها قزال أنها منطقة السرت الصغير ،ينظر:Gsell(1927) Op.Cit ,T VI,P141 ،وقد يمثل تريتون إله نظرا لوجود طقوس يقوم بها الاوزيس auses كل سنةحول هذه البحيرة ينظر:hérodote,IV,180.
[769] غانم (2005)المرجع السابق ،ص16.



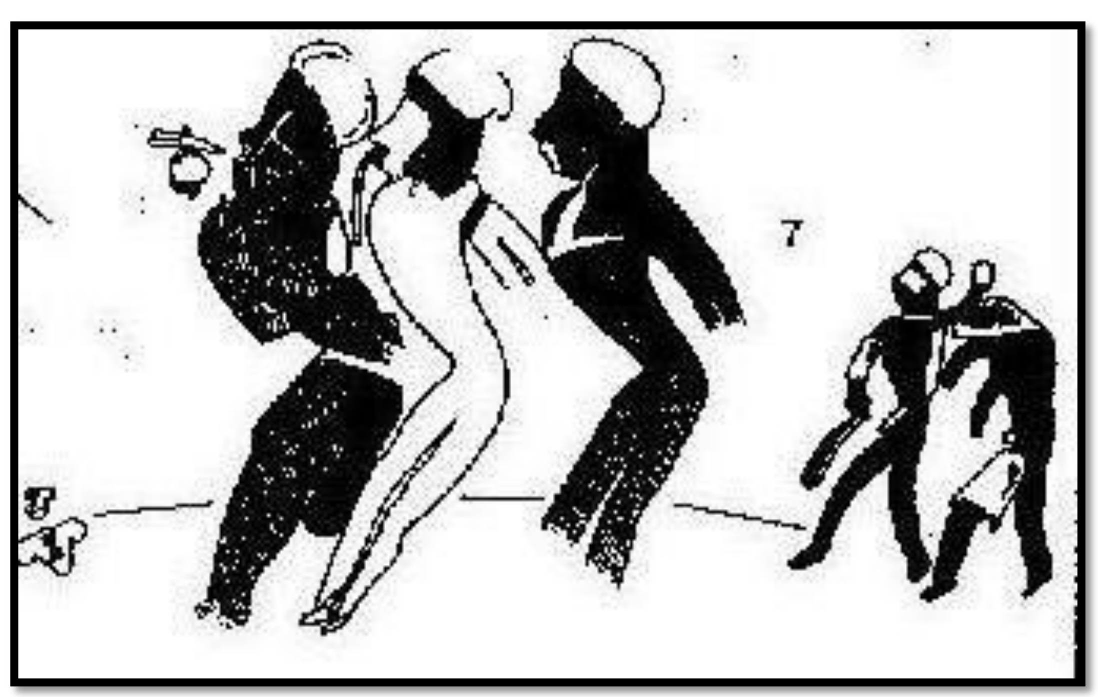
لوحة رقم 82: معركة بين الرماة في صفار

المصدر : alain sèbe (1991) op.cit .p70



لوحة رقم 83 : مشاهد من منطقة جبارين أبقار وأفاعي ترمز للخصب والحماية

المصدر : alain sèbe (1991) op.cit .p77



اللوحة رقم 84 : قضاة السلام في منطقة إن ايتنان

المصدر : Jean loic le quellec(1993) p 295 fig 87-7

المشهد يعبر عن العقاب المفروض على شخص من طرف مجموعة من الناس، وهو يدل على الصراعات التي كانت تحدث في تلك المجتمعات نتيجة النزاعات على الأرض أو الماء أو القطعان .

أما في الفن الصخري فنجد مشاهد عديدة تعبر عن خصوبة الطبيعة والأمطار منها:

- مشهد في منطقة جبارين الذي قد يعبر عن ما ذكره هيرودوت فالمشهد يضم عدد كبير من الأشخاص خاصة من النساء ينظرون إلى السماء، مما قد يدل على طقوس لاستدرار المطر، كما أن مشاهد الرقص العديدة في فن الرؤوس المستديرة يمكن أن تشكل طقوس احتفالية في بداية موسم الأمطار ولاستعطاف الآلهة من أجل خصوبة الطبيعة واخضرار الأرض وهي مجسدة على الملاجئ الصخرية، فما هو الهدف من وجودها؟

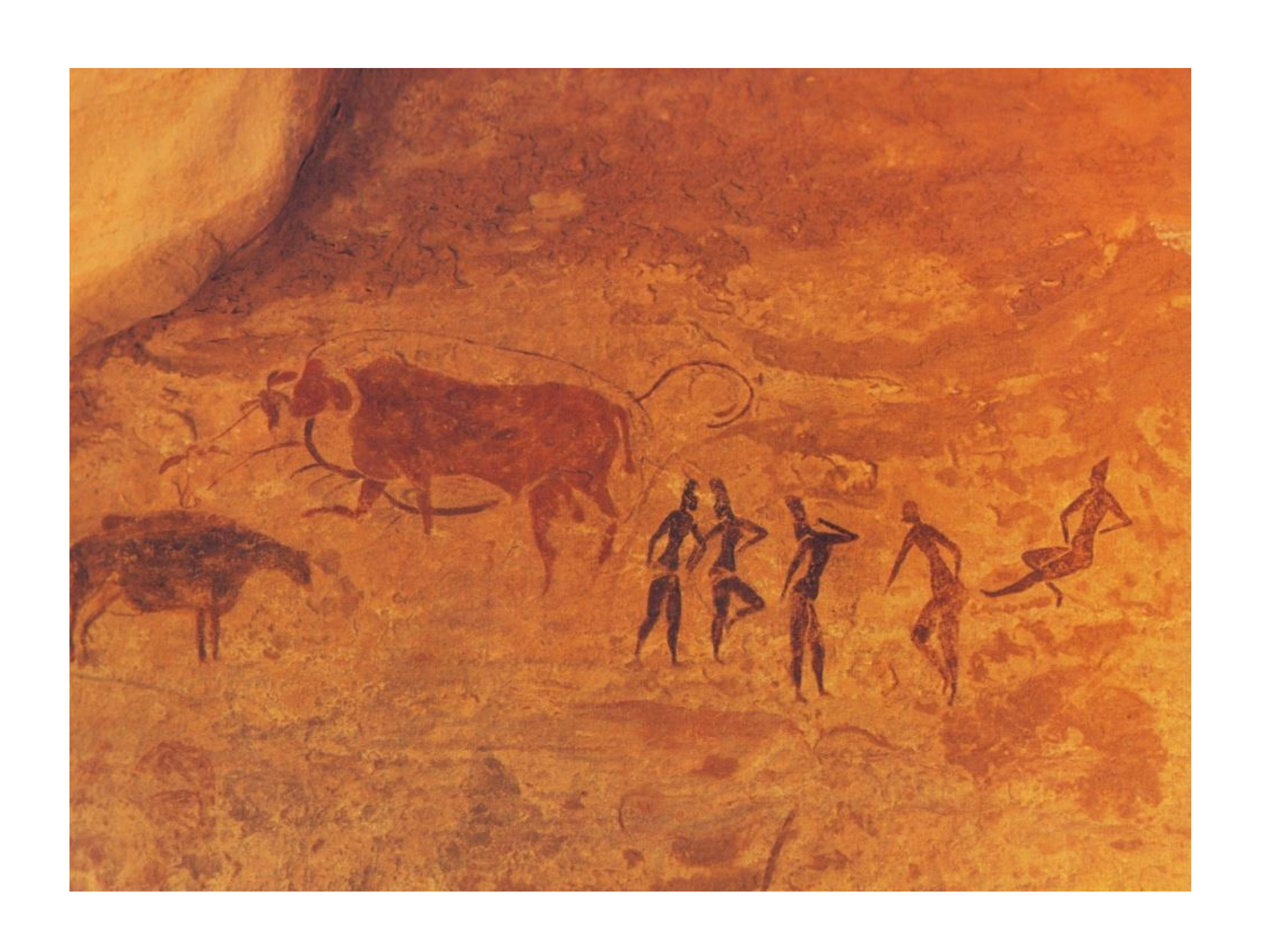
إذا اعتبرنا أن تلك الأماكن التي توجد فيها الرسوم هي نفسها التي تمارس فيها الطقوس ، فإن النسوة يتجهن إلى ذلك المكان آملين أن يحصلوا على ما يطلبونه من أولاد وهناك يقومون بطقوسهم ،والكهوف قد اعتبرت معابد للإنسان لأنها تتضمن رسوما ورموزا وربما تماثيل للآلهة مثلما تتضمن الكنائس والمعابد في زمننا الحاضر صورا ورموزا (770)، وبما أن حاجة الإنسان إلى العبادة أزلية منذ وجوده على الأرض، فأين تراه يتعبد ؟ أليست الجبال تشكل مصدر رهبة له وتجعله يعتقد بوجود الإله فيها، فجبال الأطلس مثلا كانت تمتلئ ليلا بالأنوار بينما تبدوا خالية في النهار (771).

الأدلة تأتي هذه المرة من شرق إفريقيا فموقع كاكورو kakoro في أوغندا يتضمن رموز وشبكات وأشكال بيضاوية وخطوط منحنية ودوائر لولبية بلون أحمر ، هذا الموقع يستخدم اليوم من طرف السكان المحلين من أجل جلب المطر، ويتواجد قربه تماثيل و كهنة أو مسارين initié ضالعين بالأسرار الدينية(772).

(770) أنظر أيضا حول أماكن العبادة في الفصل الثاني ص46-48.

(6)Pline L'ancien,V,7. (771)

(7) Alec compbell, j clottes, david coulson ,op.cit.pp23-24.(772)



اللوحة رقم 85 :

رقص طقوسي للنساء مع وجود أبقار وحيوانات افعوانية منطقة جبارين

M hachid(1998) op.cit.p350-351,fig,352

تكثر مشاهد الرقص في الطاسيلي التي يكون الغرض منها استدرار الأمطار و نذكر منها:

- مشاهد تمثل راقصين من أسلوب خيطي[773] في منطقة جبارين يضم المشهد ما يقرب من 20 شخصا مقنعين أغلبهم رافعين أيديهم وهم ينظرون إلى السماء وأحد هذه الشخصيات يضع قناع برأس من الكلبيات و ذيلا مستعارا ،كما يوجد مشهد آخر مشابه لهذا المشهد في نفس المنطقة حيث يقوم هؤلاء الشياطين بالرقص ، وطقوسهم غالبا هي من أجل المطر أو من اجل وفرة الصيد (لوحة رقم 85).

- مشهد في تين تزاريفت tin tazarift تمثل 6 أشخاص يرقصون[774] ويحملون في أيديهم أداة تشبه رؤوس السهام فسرها بعض الباحثين على أنها تمثل نبات الفطر[775]، رغم أن هذه الطقوس تبدوا ذات طابع سحري إلا أن الهدف منها هو الحصول على الخصوبة والأمطار وتكاثر الإنسان والحيوان، فلو نظرنا إلى المشهد بتمعن لوجدنا حيوانات الأروية في أسفل المشهد لا تظهر منها إلا رؤوسها وقرونها ونجد في الأعلى ما يمكن أن يشبه السحب.

- مشاهد منطقة صفار: تمثل مجموعة من النساء والرجال وبعض النساء ذوات بطن بارز وجميعهن ذوات زينات وبهرجة عالية (قد يكونوا من المسارين) يقومون بالرقص في شكل دائرة وهم يمسكون بخيط[776] (اللوحة رقم 32)،هذا المشهد قال عنه الباحث حامباتي با و جيروم دياترلان Dieterlen G et A Hampaté Bâ أنه يمثل أحد الأساطير المرتبطة بالأمطار وهي موجودة لدى الفولاني وهذا الحبل يعرف "بحبل الراعي"حيث يستخدمه الرعاة في طقوس المسارة [777] ، وهناك مشهد مشابه له في وادي عكري wadi Ekkiبالأكاكوس [778].

- مشاهد السحرة في منطقة أونرحات وفي متالان امازان (اللوحة رقم 18) تمثل طقوس يقوم بها هذا الشامان لاستدرار المطر، فكثير من المجتمعات الإفريقية التي تنتشر فيها الديانة الشامانية نجد عندها طقوس للمطر كالفولاني والدوغون [779] .

قد تعبر بعض المشاهد عن تذبذب المناخ حيث ترتحل القبائل بقطعانها بحثا عن الكلأ والماء وخصوبة الأرض، ومن هذه المشاهد : مشهد في جبارين يمثل المحاربون يصطحبون القبيلة في رحلة بحثها عن المراعي[780]، فهم يوفرون الحماية الفعلية للقطعان وللقبيلة أثناء سيرها، أما الرموز الأفعوانية serpentiformeفتمثل الحماية السحرية للأبقار

---

(773)H Lhote (1958) op.cit.P134.Fig 60. J d lajoux,op.cit.pp56-57.

(775) حول هذا الموضوع، أنظر الطقوس ضمن الفصل الثاني، ص71.

(776)H Lhote (1958) op.cit.P80.Fig 25.

(777)G Dieterlen, & A Hampaté Bâ ,op.cit.p149 .

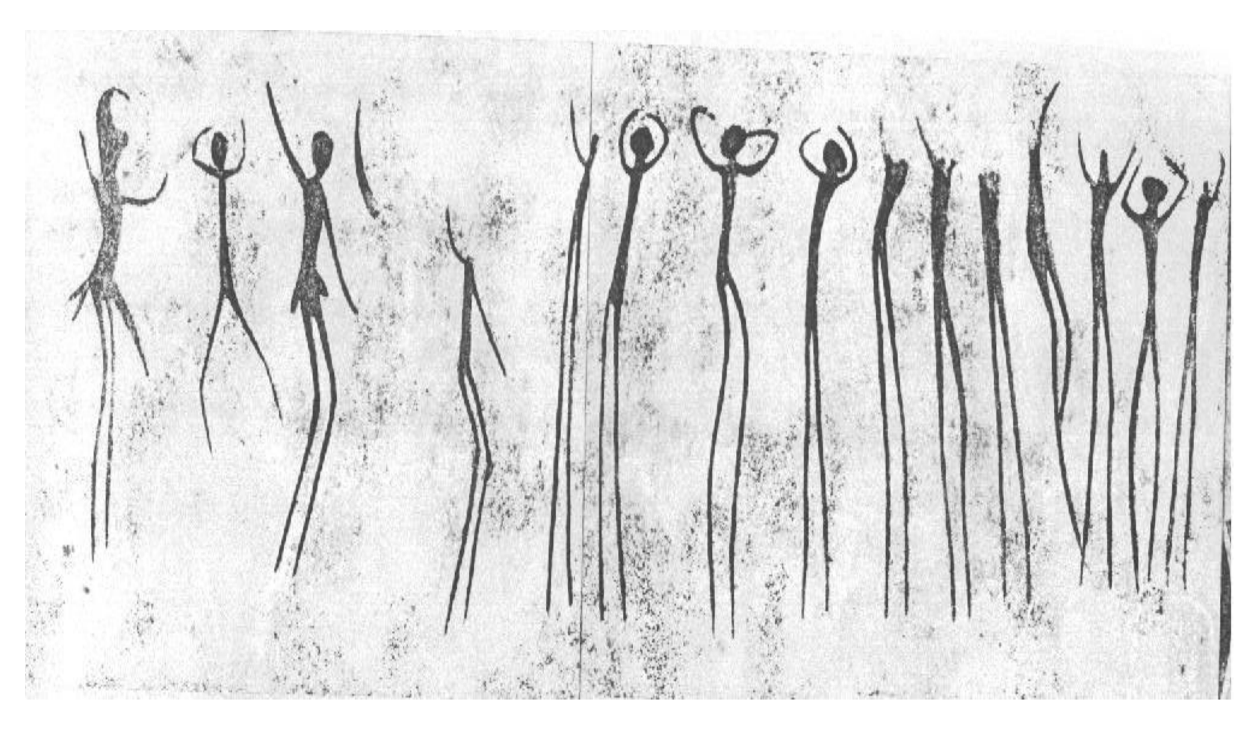
(778)J Leclant P Huard L A Huard , op.cit,T1,p128,fig24-5.

(779)G Dieterlen & A Hampaté Bâ , op.cit.p149.

(780)J d lajoux ,op.cit.p 136-137.

من الأمراض والموت ، والمشهد يتضمن رماة في وضعية الهجوم وأبقار ورموز افعوانية ، الوضعية التي يوجد فيها الأشخاص تدل على مخاطر الطريق حيث نجد مجموعة من الرماة في المقدمة وعلى الجانبين، وفي الخلف نجد النساء إضافة إلى مجموعة أخرى من الرماة يحرسون المؤخرة، كما يوجد مشهد في اوزيناري ozéneare يمثل مجموعة من الرماة في طريقهم إلى اكتشاف مراعي جديدة [781] حيث يشير الشخص الذي في المقدمة بيده إلى الأراضي من بعيد .

بسبب تذبذب المناخ خاصة في المرحلة الأخيرة من الرؤوس المستديرة تحول الإنسان إلى الزراعة واستئناس الحيوان ، و تعود إلى هذه المرحلة المشاهد التي تتضمن خصومات أو معارك وحتى المشاهد التي تدل على التحكيم، حيث أن بعض مشاهد القضاة[782] يمكن أن تبرز نوع من نظام القضاء الذي يمثله زعماء القبائل أو الكهنة.



لوحة رقم 86 : رقص طقوسي من أجل إستجلاب المطر في جبارين (أسلوب خيطي في الرسم)

المصدر : LhoteH (1958)op.cit.p80 ,fig26

[781]Ibid,pp126-127.
[782]h lhote (1958) op.cit.p80,fig30.

ومن بين المشاهد التي تدل على الصراعات التي بدأت تظهر في المنطقة مشهد لمعركة بين عدد كبير من الرماة في منطقة صفار، يستميت فيها الأشخاص للدفاع عن مراعيهم وحيواناتهم ضد المغيرين عليهم، وقد يكون هذا المشهد تخليدا للنصر الذي حققه هؤلاء على أعداءهم الذين هم من نفس جنسهم(783) ، وفي تين تزاريفت tin tazarift توجد معركة بين رماة السهام (784) ،وفي إيدو تيسوكاي iddo tissoukai يمثل المشهد نوع من المحاكمة سماه القس بروي باسم "الاتهام" (785) ، ويماثله مشهد آخر في إن إتينان(اللوحة رقم 83) ، كما يوجد مشهد في منطقة تين أبنهار tin abenher يمثل نزاع بين أشخاص(786) .

فمشاهد الرماة في مرحلة البقريات المتزامنة مع الرؤوس المستديرة خصوصا في الطبقة الأخيرة لا تعبر عن الصيد بقدر ما تعبر عن النزاعات التي كانت قائمة بين القبائل على المراعي وعلى الماء وربما كان هناك لصوص يغيرون على القبائل ويأخذون القطعان ، لذلك فإن هذه المرحلة شهدت وجود كبيرا للأسلحة في المشاهد بينما الأساليب الأخرى كانت خالية من الأسلحة وربما اقتصر الأمر على العصي فقط، فمشاهد القتال تلك تدل على أن الحياة أصبحت صعبة في الصحراء، حيث بدأ الجفاف ينتشر في المنطقة وهو ما أدى إلى الصراع من أجل الحصول على أماكن المياه والأراضي الخصبة والمراعي.

كما توجد مشاهد تدل على الزراعة ففي صفار يوجد مجموعة من الشخصيات يحملون نوع من القصب أو الأغصان الطويلة تنتهي بفروع في الأعلى فهي بمثابة مذراة(787) وربما هم يقومون بذر الحبوب، لأنه في أسفل المشهد نلاحظ وجود أشخاص جالسون يقومون بدورهم بالدرس وذلك بالسير فوق هذه الحبوب، هذا المشهد الفريد من نوعه يمثل اكتمال الحصاد والقيام بالدرس لتصفية الحبوب من الشوائب،وهو ليس الوحيد الذي يمثل الزراعة فالمشهد الذي يمثل "ربات برؤوس الطير" في جبارين نجد فيه سنابل (788)، بعض تلك السنابل تحملها هذه الشخصيات مما قد يدل على أن هذه الشخصيات قد تمثل آلهة أنثوية للزراعة .

وفي أونرحات ouanrhat يوجد مشهد عنونه هنري لوت باسم "السباق" (789) ولكننا قد نقرأه من جانب آخر فهو يمثل أشخاص يقومون بالخدمة في الأرض كالزراعة أو الحصاد، كما يوجد مشهد آخر في صفار يمثل شخصيتان منهمكتان في العمل في الأرض(790) وعلى الجهة اليسرى لهذا المشهد يوجد رجل يشير إليهما بيديه وكأن هؤلاء من العبيد الذين يعملون في الأرض لدى السيد، وعلى العموم فإن هذا المشهد يفسر

(783)J d lajoux , op.cit.p 134-135.
(784)op.cit.p112,fig42. h lhote (1958)
(785)H lhote (1962) L'abbé Breuil.… op.cit, p70.
(786)abdelaziz farrah ,op.cit. p 253,fig308.
(787)op.cit. p 134,fig 59.H Lhote (1958)
(788) ibid.p80,fig26.
(789) ibid.p96,fig 38.
(790)Alain Sèbe , Op.Cit.P72.

بالزراعة وفي منطقة جبارين يوجد مشهد يمثل ثلاثة أشخاص يعملون في الأرض وشخص رابع واقفا يوضح لهم كيفية العمل وكأنه يريهم الطريقة بيده[791].

هـ- العلاقة بين خصوبة النساء وخصوبة الأرض والحيوان:

لا يوجد شك لدينا من أن مشاهد تلك الربات مرتبطة بالخصوبة، فمثلا يوجد في ساق السيدة البيضاء خطوط، كما أن النقاط على جسمها والتي تشكل صفوف وكذلك النقاط حول قرنيها وفوق رأسها، ومظهرها يدل على أنها تنظر من مكان عالي إلى الناس في الأرض كربة الخصب فهي التي تهب الأمطار للناس، ومثلها مشاهد "الربات ذات رؤوس الطيور" في جبارين ، وكذلك الأمر مع مشاهد الفينوسات vénus والراقصات ويذكر في هذا الإطار الباحث مارسيا إلياد :«أن خصوبة الأرض متضمنة الخصوبة النسوية وبالنتيجة فإن النسوة أصبحن مسؤولات عن وفرة المحاصيل فالحقل مثل المرأة والعمل الزراعي أصبح يمثل بالفعل الجنسي »[792] .

المشاهد السابقة الذكر في وادي جرات مشابهة لرسوم في أونرحات[793] وجبارين[794] وتيمنزوزين timenzouzin[795] لا تمثل مشاهد منفردة بل نجد إلى جانبها حيوانات، كما أن تلك الآلهة الانثوية هي إما برؤوس حيوانات أو على الأقل تحمل رموزا حيوانية فالقرون التي ترمز دائما إلى القوة الذكرية إلا أنها تهدى للآلهة الأنثوية[796] وهذا ما نجده في مشهد السيدة البيضاء في أونرحات.

هذا الارتباط الوثيق بين المرأة التي تمثل الخصوبة الإنسانية مع الحيوانات ، يدل على العلاقة المباشرة بين خصوبة الإنسان وتكاثر الحيوان والأمر لا يتوقف على هذا الحد، فإلى جانب تلك المشاهد التي تمثل المرأة والحيوان نجد رموز كونية كالهلال وهو منتشر بكثرة في رسوم الرؤوس المستديرة أو رموز هندسية وخاصة الأشكال الدائرية والبيضاوية أو الأشكال الحلزونية و اللولبية، ومعظم تلك الرموز تعبر عن الماء أو الطبيعة أو القمر أو الشمس، الأرض، الجبال.

يصبح المشهد معبرا عن الحياة بكل تفاصيلها، ففي اعتقاد هؤلاء الأقوام خصوصا في المرحلة الأخيرة أن الكون وحياة الإنسان والحيوان تتحكم فيها آلهة أنثوية، هي التي تحافظ على استمراره من خلال خصوبة المرأة وتكاثر الحيوان، وبذلك نلاحظ تطور في معتقدات الرؤوس المستديرة من الاعتقاد بالآلهة الذكرية، في المرحلة القديمة التي جسدتها كائنات

---

[791] hg hugot ,op.cit.p 173.

[792] مارسيا الياد ، المرجع السابق ،ج1،ص59.

[793] J d lajoux, op.cit.p 103.

[794] J-l le Quellec (1993)symbolisme…op.cit. p 348,fig110-2,4.

[795] H lhote(1976) vers…op.cit.p144,fig52.

[796] J- L Le Quellec (1993) symbolisme…op.cit.p 187.

أسطورية عملاقة وأرواح وآلهة كبرى كإله صفار، إلى الاعتقاد بوجود آلهة أنثوية، ويدل ذلك أيضا على تغير في نشاط الإنسان من الصيد إلى الزراعة واستئناس الحيوان.

أما الرعاة فمشاهدهم عديدة وقد سيطرت على تفكيرهم عبادة القوة الذكرية المرتبطة بحيوانات ذات قوة التناسل الكبيرة كالثور والكبش، فرغبتهم الشديدة في تكاثر الحيوانات دفعتهم إلى عبادة القوة الذكرية الإنسانية فربطوها هذه المرة بحيوانات أخرى هي ابن آوى من فصيلة الكلبيات أو القط البري أو الكلب البري حسب الحالة وحسب المنطقة، وأصبح لهم رصيد أسطوري كبير حول هذه الحيوانات فجسدوا هذا الاعتقاد على مشاهد النقوش الصخرية في وادي جرات وفي مناطق هضبة المساك الليبية المجاورة له.

لا يمكننا تفسير سبب ارتباط هذا الحيوان مع هذه المشاهد، وحيث أن هذه الأقوام هاجرت إلى الشرق من بين وجهات أخرى اتجهت إليها بعد الجفاف الذي ضرب المنطقة بقوة ابتداء من 2500 ق م[797]، فنشرت معها هذه الثقافة ونعني بها ثقافة الكائنات الأسطورية برؤوس حيوانات التي ظهرت في مصر في شكل آلهة متعددة[798].

وفي هذا الإطار يقول الباحث بيار لوفاك Pierre levèqueأن الآلهة المصرية في العصر التاريخي ما هي إلا نتاج لثقافة الصيادين في النيل والصحراء[799]، وعند ملاحظة مشاهد وادي جرات خاصة مشهد "صخرة أهانا" ، ومشاهد وادي إمراوين في مساك ميليفي فزان[800] و الرموز الشبه الدائرية في كلا المشهدين، وبربطه مع غياب هذا الحيوان (فصيلة الكلبيات) في مطابخ إنسان ما قبل التاريخ[801] نظرا لعدم وجود بقاياه، أي أنه لا يؤكل ولا يشكل حيوانا للقرابين، يصبح عندئذ التفسير الوحيد لوجوده في هذه المشاهد هو أنه من الحيوانات المقدسة للإنسان وهو مرتبط بطقوس الخصوبة والقوة الجنسية للرجال.

---

[797] أنظر المناخ القديم في التاسيلي ،ص ص5-7.

[798] معظم الآلهة المصرية هي برؤوس حيوانية ينظر:

René Lachaud (1995) magie et initiation en egypt pharaonique,France : éditions dangles pp 100-105.

[799] Pierre levèque , op.cit. pp 49-50.

[800] ينظر موضوع آلهة وادي جرات ، ص100-101.

[801] J-l le quellec (1998).op.cit. pp 70-71.

خاتمـــــــة :

ذوي الرؤوس المستديرة هم مجموعة من الشعوب تميزت بأسلوب فنيا موحد وهو رسم الشخصيات الإنسانية برأس دائري وبدون ملامح الوجه، وقد ثبت أنهم مجموعات ذات أصول وملامح فيزيولوجية متعددة سكنت في وقت واحد ، أو تعاقبت على المنطقة عبر الزمن.

وهذه التسمية التي أطلقها القس بروي وهنري لوت قد لا تكون صحيحة تماما حيث يميل هنري لوت إلى إطلاق ألفاظ مدوية من قبيل المريخيين وقضاة السلام والسيدة البيضاء وغيرها من التسميات،وقدم هذه المرحلة من عدمه هي محل جدال كبير بين الباحثين، فمنهم من يرجعه إلى أواخر عصر البلايستوسان،أي إلى مابين 14 ألف و10الاف سنة ، وهناك من يحدده في الألف الرابعة قبل الميلاد ، ففي ضوء قلة التواريخ المطلقة المسجلة من الملاجئ الصخرية ، فإن هذه الآراء تبقى مجرد تخمينات في انتظار أن يتم تطبيق تقنيات متطورة قد تضع الإطار الزمني الصحيح لهذه المرحلة وكل مراحل الفن الصخري الأخرى .

يقول بعض الباحثين أن التغير في الأسلوب الفني يدل على التغير في المعتقد ولكننا نعتقد انه إضافة إلى التغير في المعتقد هناك التغير البشري ، فالمنطقة شهدت تجاذبات سكانية كبيرة، فقد هاجرت إليها مجموعات سكانية سوداء وبيضاء على مر الزمن وان كانت الغالبية لمجموعات سوداء ، خاصة في مرحلة الرؤوس المستديرة أما في طورها النهائي والذي يتناسب أيضا مع المرحلة النهائية للبقريات فقد شهدت تواجدا لمجوعات بيضاء .

و يجمع الباحثون على أن فن الرؤوس المستديرة سادت فيه الرمزية والتجريد فهو مختلف عن المرحلة الطبيعية التي مثلتها مرحلة الجاموس العتيق ، حيث تعبر المشاهد عن مواضيع تتراوح بين الجوانب الدينية والسحرية والخصوبة و عدد قليل من مشاهد الصيد، كما تميز بوجود الزينات الجسدية للشخصيات النسوية خاصة تلك التي لها دورا دينيا ، حيث تمثل السيدة البيضاء في اونرحات نموذجا لهذا التزين الذي يبدوا انه أسلوبا فنيا موحدا.

وقد يكون لذاك التزين الجسدي علاقة بالفخار وبالمرأة بالسحر لحماية المرأة من الأرواح الشريرة التي نعتقد أنهم آمنوا بوجودها، كما شهدت هذه المرحلة الفنية تواجد كبيرا للأقنعة الطقوسيةالتي قد تكون الأقدم في العالم ، بالإضافة إلى رموز مختلفة تعددت أراء الباحثين حول معانيها.

من الصعب معرفة معتقدات الإنسان في ذلك الزمن إلا أن مشاهد الفن الصخري تقدم لنا صور يمكن بواسطتها إعادة بناء الجانب الفكري للإنسان، بالاعتماد أيضا علىمعطيات أخرى من الشعوب التي لازالت تعيش نمط حياة مشابه للرؤوس المستديرة سواء في إفريقيا أو لدى السكان الأصليين في استراليا وأمريكا .

وقد لاحظنا وجود مشاهد ذات طابع أسطوري تبرز فيها كائنات إنسانية برؤوس حيوانات تمثل آلهة للخصوبة،وهي بذلك شبيهة بصور الآلهة المصرية التي تصنف في مرحلة زمنية لاحقة، وذلك يدل أولا على تأثيرات صحراوية باتجاه مصر،و ثانيا على التطور الذي وصل إليه الفكر الديني في الطاسيلي، فقد اعتقدوا بوجود كائنات أسطورية ذات قوى فوق الطبيعية فجسدوها بصور ذات جسم آدمي ورأس حيواني .

إلى جانب هذه الآلهة توجد مظاهر سحرية يمثلها أشخاص في وضعيات تدل على ممارستهم لطقوس رقص سحرية وهم ذووا بهرجة كبيرة ، أو تلك التي تظهر فيها شخصيات منفردة تارة ومع شخصيات أنثوية تارة أخرى ، وقد فسرها بعض الباحثون أنها تمثل الشامانات في النشوة والتي تهدف إلى الاتصال بالأرواح ، بشكل يشبه ما هو موجود اليوم لدى شعوب مختلفة في سيبيريا و في جنوب إفريقيا .

إضافة إلى الجوانب السحرية توجد الطوطمية وتقديس الحيوانات خاصة الأبقار وقد لاحظنا أن بعض الحيوانات تحضى بمكانة كبيرة لديهم فقد كانت الظباء مرادفة للخصوبة لكونها تظهر في المشاهد ببطن منتفخ ، كما أن حيوانات الأروية كانت المفضلة للتضحية في المرحلة القديمة فهي تمثل في المشاهدة دوما بلون احمر أو ابيض، أما في الأساليب المتطورة المعاصرة لمرحلة البقريات فقد أصبح للأبقار أهمية كبرى وصلت إلى درجة العبادة.

المواقع الرئيسية لفن الرؤوس المستديرة هي منطقة صفار وجبارين وتين تزاريفت وتيسوكاي وتان زوميتاك، فإضافة إلى قربها من بعضها البعض فهي تتميز بطبيعة جبلية، ونفترض أنها كانت معزولة بالغابات الكثيفة وقد ساهمت التضاريس الصعبة في عزلتها وفي ظهور معتقدات روحانية وسحرية في تلك المجتمعات ، فقد مثلت تلك الملاجئ معابد مظلمة، كانوا يمارسون فيها طقوسهم التي جسدوها على الصخور.

ولعبت المرأة دورا كبيرا في فن الرؤوس المستديرة ،إضافة إلى أن الرسوم الصخرية من الممكن أنها من تنفيذ النساء أو على الأقل نسبة منها ، فإن الفخار كان من صنع أيديهن ،حيث ُتظهر المشاهد دورا كبيرا للمرأة فهي تمثل آلهة الخصوبة ، ونعتقد أن تغيرا كبيرا قد حدث على معتقداتهم فبعد مشاهد المريخيين والآلهة الكبرى الذكرية ، تغير الأمر إلى وجود آلهة أنثوية ومواضيع الخصوبة مما يدل على تغير في النشاط البشري من الصيد إلى الرعي والزراعة .

وفي المرحلة الأخيرة تظهر بعض المشاهد التي تدل على تغير المناخ وانتشار الجفاف وقد يمثلها بقايا الرؤوس المستديرة أو شعوب مرحلة البقريات، متمثلة في مشاهد الهجرة و الصراعات حول مناطق الرعي والمياه .

بيبلوغرافيا الكتاب

أولا: المصادر:

1-Bouyssone J. Colection Préhistorique .Planches Albume, N°1,Paris :Editions A.M.G.

2-Diodore de sicile (1834) bibliothèque historique, trad .par ferd hoefer, paris: librairie de hachette.

3 - Hérodote (1948) histoires,trad par E legrand ,paris :les belles lettre .

4-Pline l'ancien(1950) histoire naturelle , trad. Beaujeu j ,paris: Edition hachette.

ثانيا:المراجع

أ- الكتب:

1- الكتب العربية:

01- ايلينيك يان (1994) الفن عند الإنسان البدائي، ترجمة جمال الدين الخضور، دمشق:دار الحصاد.

02- البرغوثي محمود عبد اللطيف(1971) التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي بيروت :دار صادر.

03- بشي إبراهيم العيد (2009) تاسيلي ناجر، البنية الجغرافية والحضارية، الجزائر: دار الحبر.

04- الجوهري يسري و غلاب محمد السيد (1968)الجغرافيا التاريخية :عصور ما قبل التاريخ وفجره،مصر:المكتبة الانجلو مصرية.

05- الجوهري يسري (1973) الإنسان وسلالاته ، مصر:دار المعارف.

06- وافي علي عبد الواحد(1959)الطوطميةأشهر الديانات البدائية. مصر : دار المعارف.

07- لحسن رابح (2004) أضرحة الملوك النوميد والمور ،الجزائر : دار هومة للنشر.

08- الماجدي خزعل (1997) أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ،الأردن: دار الشروق .

09- الماجدي خزعل (1999) الدين المصري،الأردن: دار الشروق.

10 -الميرا اسماعيل على (1982)السلالات البشرية، بيروت : دار عز الدين للطباعة .

11- السواح فراس (2002) دين الانسان ، دمشق : منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة .

12-سحنوني محمد (1990) ماقبل التاريخ ،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

13- عبد العليم مصطفي كمال (1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم،ليبيا:المطبعة الأهلية.

14- العربي اسماعيل (1983) الصحراء الكبري وشواطئها ،الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.

15- غانم محمد الصغير (2003) مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، الجزائر: دار الهدى.

16- غانم محمد الصغير(2005) الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر: دار الهدى.

2- الكتب المترجمة:

1 - بولمدونيس (1980) الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين،بيروت: دار الحياة.

2- الياد مرسيا (1986)تاريخ المعتقدات والافكار الدينية. ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، سوريا: دار دمشق

3-بيدج والس (1988)كتاب الموتى الفرعوني"برت إمهرو"مترجم من الهيروغليفية ، الترجمة العربية فيليب عطيةالقاهرة: مكتبة مدبولي ،نسخة الكترونية.

4- برنارد جيفري (1993) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الكويت :علم المعرفة .

5- كرومر نوح صمويل وآخرون(1983)أساطير العالم القديم،ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مصر: مطابع الهيئة العامة للكتاب .

6- تشرنى ياروسلاف (1996)الديانة المصرية القديمة ،ترجمة أحمد قدري ،الأردن: دار الشروق.

7- خشيم على فهمي (1967) ،نصوص ليبية ، ليبيا: دار الفكر.

3- الكتب الاجنبية :

01- Anati E(1999),La Religion Des Origines , Trad Patrick MichelParis:.Editions Bayard .2° Edi.

02- Aumassip Ginette (1993), Chronologie De L'art Rupestre Saharien Et Nord Africain,Paris :Edition Jacque Gardini.

3- Aumassip g(2001), L'Algérie des premiers hommes Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme, 2001,paris: المصدر

03- Beuf, S Et All (1971), Les GresDu Paléozoique Inferieur Au Sahara,Paris:Technip.

04- Binant .Pascal.(1991),La Préhistoire De La Mort .Les Premiers Sépultures En Europe Paris :Editions Errance.

05- Lucien- Lévy (2007)le surnaturel et la nature dans la montalité primitive, paris: Brühl Edition Flammarion.

06- Camps G (1961), Monuments Et Rites Funéraires Protohistoriques, Paris: A M G ,Presse De La S R I P.
07- Camps G (1974),les civilisation Préhistorique de L'afrique du nord etdu sahara. Paris:Edition Doine .
08- Cornovin Robert. (1964) Histoire De L'histoire De L'afrique Des Origine À La Deuxième GuerreMondiale, ,Paris:Petit Bibliothèque Payot.
09-Delport H (1993)L'image De La Femme Dans L'art Préhistorique , Paris: Edition Picard.

10-Dida Badi (2004),les Régions D'haggar Et Du Tassili –N-Ajjer Réalité D'une Mythe Algérie :Edition A N E P .
-DubiefJ (1999) l'Ajjer Sahara Central ,Paris: Edition Karthala.11

12-EmpraireA Laming (1962)la signification de l'art rupestre paléolithique ,méthode et

Applications,paris: Edition picard.

13- FerrahAbdelaziz. (2005), L'algerie Civilisations Anciennes Du Sahara , Algerie:Edition A N E P.
14- Gardel Gabrial (1961), Les Touareg Ajjer. Alger: Edition Baconnier.

15- Gardi .R . Neukom .Julantha .Tchudi .Y(1969), Peintures Rupestre Du Sahara.Tassili-N-Ajjer.Suisse:Edition Hallwag Berné.
16-gaudionAttilio (1967) les civilisations du sahara dix millénaires d'histoire ,de culture et de grande: commerce,collection marabout,paris: Edition gérard & c ,verviers.
17- Gourhan A L (1964),les Religions De La Préhistoire (Paléolithique): Presses Universitaires De France.
18-griaulemecel (1975) dieu d'eau : entretien avec ogotemmeli, paris:librairie arthrne Fayard.
19- gsell s t(1915)., Hérodote: Texte Relatifs A L'histoire De L'afriqur Du Nord ,Adolphe jourdanimprimeur- libraire de l'université d'Alger.

20- gsell s t(1920), H. A. A. N. T1,Paris: Libraire Hachette.
21- gsell s t(1927), H. A. A. N.T5Paris: Libraire Hachette.
22-Hachid M(1992),Les Pierres Ecrite De L'atlas Saharien,Algerie:Edition .E N A G.
23-Hachid M(1998) Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, France:Edition Paris –Mediterranean.

24- Hachid M (2000), Les Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili -Et Nil .Paris: Edisud-Ina-Yas.
25-HéryFrançois Xavier, Thierry Enal (1993), Animaux De Nil-Animaux De Dieu, Paris:EditionEdisud.

26- huetMichel (1994),danses d'Afrique .textes de claude savary, paris: Edition de chêne hachettelivre.
27 -Hugot Hg (1974),Le Sahara Avant Le Désert, France:Editions Des Héspérides,
28- Ki-Zerbo Joseph (1972),Histoire De L'Afrique Noire, d'hier à demain, Paris:Edition Hatier .
29- LachaudRené (1995) Magie Et Initiation En Egypt Pharaonique,France:Edition Dangles.
30-LancelSerge (2003) l'Algérie Antique De Massinissa A Saint Augustin,paris: Edition Mengés .

31- Lajoux J D (1977),Tassili-N-Ajjer. Art Rupestre Du Sahara Préhistorique Paris :.Edition Du Chène , 2°Ed..
32- Laureano Pietro (1991), Sahara Jardin Méconnu, Paris:Edition Larousse.
33- Le Quellec.J L (1993), Symbolisme Et Art Rupestre Du Sahara,France: Edition Harmattan.
34- Le Quellec.J L (1998),Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara.Le Messak,Paris:Payot.
35-Le Quellec(2006) «Chamanes Et Martiens: Même. Combat! Les Lectures Chamaniques Des Arts Rupestres Du Sahara.». Dans Michel Lorblanchet, Jean-Loïc Le Quellec, & Paul G. Bahn (Eds.), *Chamanismes Et Arts Préhistoriques : Vision Critique*:Paris: Errance,
36-LhoteH (1958),*A La Découverte Des Fresques De Tassili.*, Paris:Arthaud.

37- Lhote H (1976),Vers D'auters Tassilis .Nouvelles Découvertes Au Sahara:Paris:Edition Arthaud.2°Edi .
38-LhoteH (1984), Les Gravures Rupesties De L'atlas Saharien Monts Des Ouled Nail Et Region De Djelfa, Algerie: Office Du Parc National Du Tassili.
39-markariusRaoul et laura levi (1974)l'origine de l'exogamie et de totamisme, paris:éditions Gallimard.
40-Nugier louisR (1963),La Préhistoire. Essai De Paléosociologie Religieuse, Belgique:Edition Bloude et Gay.
41-PernetHenry (1988) Mirages Du Masque,Paper Back, Suisse:Editions Labor Et Fides.
42-Pritechard E.F. Evans (1965) Le Religion Des Primitives A Travers Les Théories Des Anthropologies ,: Paris: Petite Bibliothèque Payot .

- Sahnouni Mohamed (2004)On the earliest human occupation in North Africa: a response

to Geraads et al Journal of Human Evolution 46 (2004) , pp763–775

43-Saoudi .N D (2002), Les Temps Préhistorique En Algerie, Alger:Edition Dalimen.

44-SèbeAlain (1991) Tikatoutine .6000ans L'art Rupestre Saharien .Collection Tagoulmoust Imprimé En Italie: Par Antegrafica .Silva.

- vernet rebert (2004)Le Sahara préhistorique entre l'afrique du Nord et Sahel : état des connaissances et perspectives,paris ,edition Sépia ,2004.

ب- المجلات

1- المجلات العربية:

01-جيهان ديزانج (1985)«البربرالاصليون» تاريخ إفريقيا العام ،المجلد الثاني ،جون أفريك و اليونسكو ،إيطاليا : مطابع كانالي.

02- هوجوش ج (1985) « الصحراء في ما قبل التاريخ »تاريخ إفريقيا العام،المجلد الأول، باريس:جون أفريك واليونسكو.

03-كي زربو جوزيف(1985) «الفن الافريقي» تاريخ إفريقيا العام ،المجلد الاول،باريس:جون افريك و اليونسكو،.

2- المجلات الأجنبية:

- Balout Lionel (1972) Chronologie absolue et préhistoire saharienne. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972

01- Camps G(1988),« La Faune De L'afrique Nord Et Du Sahara D'après Hérodot " Espacio, Tiempo Y Forma» ,Serie 2.Ha Angigua ,T,1, ,

02- Camps G (1990, «Des Incertitudes De L'art Au Erreurs,D'hérodote. La Faune Des Temps Néolithiques Et Protohistoriques De L'afrique Du Nord »C.R.A.I, Vol: 134. n°2.

- Camps H Faber(1962)Fegurations Animales Dans L'art Mobilier
Préhistorique d'Afrique Du Nord , Libyca, Vol. IX-X:101-113, p104

03- Chaix, Louis (2004) « Le Boeuf Africain A Cornes Déformées».*Anthropozoologica*vol: 39 ,n°1.

04- Compbell Alec. J Clottes .David Coulson (2007), Utilisation Moderne D'abrés Ornés Au Kenya Et en Ouganda , INORA ,n°49 , 2007 .

05- CorhanA-L (1976) «Interprétation Esthétique Et Religieuse Des Figures Et Symboles Dans La Préhistoire », A. S. S. R, Vol :42, n° 1,1976,

06-De BeauneSophie (1998) «Chamanisme Et Préhistoire Un Feuilleton A Episode» L'homme, Vol:38,n°147, 1998,

07- Dieterlen G A,Hampaté Bâ « Les Fresques D'epoque Bovidienne Du Tasili Et Les Tradition Des Paul », J.S.A,Vol:36,n°1.

08- Eliade Mercia (1949),« Le Probleme Du Chamanisme »,R. H .R, Vol :131,n° 1.

10 – lantier Raymond (1969), «La Vie Préhistorique D'après Les Peintures Rupestre Africaines Et Espagnoles»,C.R.A.I, Vol: 113. n° 3.

11-Le QuellecJ L (1999), «Répartition De La Grande Faune Sauvage Dans Le NordDu l'Afrique Durant L'holocène», L'Anthropologie: Paris, Vol :103, n° 1.

12- Le QuellecJ-L (2007), «La Bête Aux Source De La Religion Pharaonique » Archeologia Sa, n°441 ,Février2007.

13- Le Quellec J-L (2008) «A Propos Les Molettes Zoomorphes Du Sahara Central» ,Sahara. N°19, 2008,.

14- Leveque P.(1981), «A Propos Des Chasseurs Du Nil Et Du Sahara , La Pensée Des Chasseurs .Archaiques» , Dialogues D'histoire Ancienne , Vol: 7 n° 1.

15- Lhote H (1966), «Les Peintures Pariétales D'époque Bovidienne Du Tassili, Éliment Sur La Magie Et La Religion». J.S.A, Vol: 36.n°1.

16-Lhote H (1970), « Le Peuplement Du Sahara Néolilithique D'après L'interprétation Des Gravures Et Des Peintures Rupestres »J.S.A, Vol: 40.n°2.

17-lorblanchetMichel (1980) «art rupestre australien »archeologia sa n°147, octobre1980 France:Imprimé par darantiere dijon.

18-Metais P (1951),«Essai Sur La Signification Du Terme Totem ».Revue De L'histoire De Religions. Vol 140 N° 1,

19-Muzzolini A(1981), « Le Groupe Europoide D'iheren- Tahilahi, Etage Bovidien Final Des Peintures Du Tassili»,R. O.M.M, , Vol: 32.

20-MuzzolniA (1991), « Masques Et Théromorphes Dans L'art Rupestre Du Sahara Central »Archeonil ,Mai 1991.

21-muzzolini A (1995) «les deux époques dans la trame symbolique des figurations rupestres saharien, l'anthropologie, 1995, vol:33, n°3

22- SoleilhavaupF (2007), « Investigation Rupestre Au Fazzan,Libye Du Sud Ouest» INORA, n°49, 2007.France: Imprimerie Nuance.
23- Tauveron Michel (1986), «L'art Pariétal Des Tètes Ronde .Problème De Synchronisme » Lybica n°32-34,1984-1986.
24-Ziegler Ch(1980) « La Vie Au Bord Du Nil », Archeologia,Sp.,n°149, Décembere
,Imprimé Par Darantiaire. Dijon: France.

ج- الأبحاث والدراسات:

01-Aïn Seba, Nagette(2002) ,Architectures Premiers .Algérie .Deux Millions D'années D'histoire Un Année d'Algérie En France.

02- Camps Henriette fabrer (1966), Matière et Art Mobilier Dans La Préhistoire Nord Africaine Et Saharienne .Mémoire de C. R. A. P. E,n°5 ,Paris : Presse dela S R I P .
03- Chamla M C (1968), les Population Anciennes Du Sahara Et Des Région Limitrophe.Mémoire de C.R.A.P.E .n°9, Paris:A M G.
04- ChristianDupuy (2007) «Etude Thématique Sur L'art Rupestre» ICOMOS, UNISCO.

05 -Gauthier Yves (2007) «Sous Zone4" Libye-Egypt-Nord Du Sudan»ICOMOS, UNISCO.
06- Hachi Slimane (2003), Aux Origines Des Arts Premiers En Afrique Du Nord, Les Figurines Et Objets Modèles D'afalou C, N, R, P, A,H,2003,
07-Hachi Slimane (2003), Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou ,Les Gisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors ,Algérie),Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2.
- Hallier Ulrich W. & Brigitte C. Hallier (2009) ,The People of Iheren and Tahilahi
The World of Petroglyphs, Part 39, StoneWatch Work Februar 2012.
08- Harris Memel Foté(1962) «Rapport Sur La Civilisation Animiste» ,Colloque Sur Les Religions .Abijan 5-12 Avril 1961 ,Paris: Edition Présence Africaine .
09- KerzabiSid Ahmed (1986) Conservation Et Gestion Du Park National De Tassili, DansL 'Art Rupestre Saharien Concervation Et Méthodologie Et Gestion, UNESCO,1986.
10- Leclant .J .,Huard .P L Allard(1980),La Culture Des Chasseur Du Nil Et Du Sahara Mémoire De C.R.A.P.E,n°.29. 2 Vol.
11-Le Febebvre Gillette Et Louis (1967), Corpus Des Grauvres Et Des Peintures Rupestre Dans La Région De Constantine , Mémoire De CRAPE, N°7,Paris:Editions AMG.
12-Le Quellec J-L (2006) «L'adaptation Aux Variations Climatiques Survenues Au Sahara

Central Durant l'Holocène.», In M'hammed Hassine Fantar (Ed.), *Le Sahara Et l'Homme: Un Savoir Pour Un Savoir-Faire. Actes Du Colloque Organisé A Douz Du 27 Au 29 Décembre 2003*,Tunis: Université De Tunis El Manar.

13- Le Quellec J L (2007) «Ni Hommes, Ni Animaux: Les Théranthropes Un Aliment Pour L'esprit?». In Jean-Pierre Poulain (Ed.), *L'homme, Le Mangeur, L'animal. Qui Nourrit L'autre? Actes Du Colloque Organisé Par L'ocha Avec La Participation Du CETSHA Du CR 17 De L'aislf Et De L'erita (EA 3683) De l'Université De Toulouse 2 – Le Mirail, Les 12 Et 13 Mai 2006 A l'Institut Pasteur A Pari.s.*

14 -Leredde C(1957),Etude Écologique Et Phylogéographies Du Tassili Et Nil, Travaux L'IRS, Alger.T2.

15-LhoteH (1970),Les Gravures Rupestre Du Sud –Oranais ,Mémoire DeC.R.A.P.E,n°16 Paris: EditionAM G .

16- Lhote   H (1976), Les Gravures Rupestres De L'oued Djaret .Tassili-N-Ajjer,Mémoire DeC. R. A .P .E,n°25,2 vol.

17-Mahsas Houria :Bijoux Et Mobilier Funéraire De Tin –Hinan Abalessa:.Algérie:Edition DuMusée National Du Bardo , N,D

18-Rognon Pierre (1989) «Les Périodes Arides Au Sahara Durant Le Dernier Cycle Climatique » Dans L'homme Maghrébin Et Son Environnement Depuis 10000 Ans, Actes ColloqueInternational De Maghnia Du 27-30 Novembre 1989[Dir] , A, Ben Naoum.

19- SimonisReberta et al.(2007) « Sous Zone3.Tchad»ICOMOS,2007.

20-Souville Georges (1992) « Aspects Religieux Des Gravures Rupestre De Haut Atlas Marocain » Histoire Et Archéologie .De L'Afrique Du Nord .Actes De 5em Colloque International ,.Spectacles Vie Portuaire Religions , Avignon ,9-13 Avril 1990,Paris: Edition Du C.T.H.S.1992 .

د - الموسوعات والقواميس.

01-Andréa Dué (1994).Le Sahara Vert Et L'egypte Prédynastique La Révolution Du Néolithique Premiers Vilages Premiers Cultures, Paris:Edition Hatier.

02-bernusE (1992)« bœuf(préhistoire)»,encyclopédie berbère,n°10,,France:edisud

03-campsG (1992)«Dépots Rituals» Encyclopédie Berbère ;n°11 ,Paris: Édisud

04-campsG «bubalus antiquus» encyclopédie berbère,n°11 ,France :edisud.

05- Dictionnaire Encyclopédique Petite Larousse 1985 Libraire Larousse.

06-MuzzoliniA (2004) «L'art Rupestre Au Sahara»,Le Monde De L'art ,Uncyclopédia Universalis:France Sa 2004.

هـ - الرسائل الجامعية.

- عمراني سميرة ، دراسة اركيوبالينولوجية لأوساط الهلوسان بمنطقة تين هناكاتن، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار جامعة الجزائر2002.

و- المواقع الالكترونية

- CalombelPierre (2000) « Le Tassili n'Ajjer Mémoire De Sahara » Les Lettres De Clio :Http:www.Clio.Fr.
-GauthierYves (2000):Algérie Et Libye Sanctuaire De L'art Rupestre Saharien, Les Lettres De Clio,Juin2000.

الفهـــــــــــــارس

أولا - فهرس الأعلام:

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

ثانيا - فهرس أسماء الآلهة:

ثالثا- فهرس القبائل والشعوب:

(و)

رابعا- فهرس المواقع والأماكن:

(أ)

خامسا - فـــــــهرس اللوحات :

سادسا - فهرس الأشكال:

سابعا - فهرس الجداول :

فهرس محتوى البحث